

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

العُجالة السَّنيَّة كلِّ

أُمِّيَّة السيرة النبوية

للمناظر زين الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين العراقي المتوفى ٨٠٧ هـ



تأليف

العلامة الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج الدارين بن علي

الداودي الحائري الشافعي

المتوفى ٨٠٧ هـ

مقدمة

متمم لكتاب الخصال

مستوفات

مكتبة دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رفيع
عبد الرحمن السجدي
أسكنه الله الفردوس
العجالة السنية

عالم

الفيترة السيرة النبوية

للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي

المتوفى ٨٠٦ هـ

تأليف

العلامة الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي

المنادي القاهري السافعي

المتوفى ١٠٣١ هـ

تحقيق

سعد عبد الغفار علي

مستورات

مختار

لشركة الطباعة والنشر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

مستشارات الدكتور بركات



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية ببيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
جزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحتري - بناية ملكاوت

الإدارة العامة: بمرمرين - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩١٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ramf Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box. 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Ramf Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P. 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4201-1



9 782745 142016

<http://www.el-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن سيرة نبينا محمد ﷺ كانت ولا تزال معينا لا ينضب، ومنبعا ثرا يفيض بالخير والبركة على هذه الأمة.

والسيرة النبوية -على صاحبها الصلاة والسلام- عبارة في الحقيقة عن الرسالة التي حملها رسول الله ﷺ إلى المجتمع البشري، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وقد مر على الإنسانية حين من الدهر وهي تتخبط في هوة من الضلال متسعة الأرجاء، وتسير في غمرة من الأوهام وفوضى الأخلاق وتنازع الأهواء، ثم أراد الله لهذه البشرية المعذبة أن ترقى وتسعد بوحى من السماء عملاً أرجاء المعمورة نورا، وذلك لأن الله ﷻ نظر إلى أهل الأرض جميعاً فمَقَّتَهُمْ -عربهم وعجمهم- إلا بقايا من أهل الكتاب.

فقد أظلمت الدنيا على أهلها، وامتألت بالشرك والوثنية والشرور والآثام، فأدركها الله ﷻ ببعثة محمد ﷺ.

ولقد اصطفى الله ﷺ رسوله الكريم، وأعدّه إعداداً كاملاً ليتحمل أسمى رسالة، فأنزل عليه كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد حث الله المسلمين على اقتفاء آثار هذا النبي العظيم ﷺ، واتباع سنته، وجعل هذا الاتباع شرطاً في الظفر بحب الله، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

والمؤلفات في السيرة كثيرة وغزيرة، استطاع كتابها على مدى عمر أمة الإسلام أن يسجلوا فيها - لحظة بلحظة - كل ما قام به النبي ﷺ من فتوحات، وكل ما كان يتميز به من أخلاق وشمائل

فقاموا بهذه المهمة خير القيام، وأدوها حق الأداء، ومن نال شرف التصنيف في سيرة النبي ﷺ، العلامة الإمام زين الدين العراقي - رحمه الله - فنظم فيها أبياتاً رائعة من الشعر الجميل يجمع فيها - بإيجاز - أحداث السيرة النبوية معتمداً فيها على أصح ما ورد فيها من روايات.

وقد قام بشرحها العلامة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرؤوف المناوي، موضحاً إشكالاتها، ومبيناً مفرداتها، لييسر على القارئ فهمها.

فجزى الله المؤلف والشارح خير الجزاء على هذا العمل الجليل، وجعله الله في ميزان حسناتهما وحسانتهما، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

سعد عبد الغفار علي



ترجمة المؤلف^(١)

اسمه ونسبه ومولده:

هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الزين أبو الفضل الكردي الرازياني الأصل المهراسي المصري الشافعي، والد الولي أحمد، وجويرية، وزينب، ويعرف بالعراقي.

ولد في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

طلبه للعلم:

سَمِعَ في سنة سبع وثلاثين من الأمير سنجر الجاولي، والقاضي تقي الدين الأحنائي المالكي وغيرهما من ذوي المجالس الشهيرة.

وحفظ القرآن وهو ابن ثمان، والتنبه وأكثر الحاوي، وكان رام حفظ جميعه في شهر فملاً بعد اثني عشر يوماً.

وكذا حفظ الإمام لابن دقيق العيد وكان ربُّما حفظ منه في اليوم أربعمئة سطر... إلى غير ذلك من المَحَافِظ.

ولازم الشيوخ في الدراية، فكان أول شيء اشتغل به القراءات وكان من شيوخه فيها: ناصر الدين محمد بن أبي الحسن بن عبد الملك بن سَمْعُون أحد القدماء.

والبرهان الرشدي، والسراج الدمنهوري، والشهاب السمين.

ومع ذلك فلم يتيسر له إكمال القراءات السبعة إلا على التقي الواسطي في إحدى مجاوراته بِمَكَّة.

ونظر في الفقه وأصوله:

فحضر في الفقه دروس ابن عدلان، ولازم العماد مُحمَّد بن إسحاق البليسي والجمال الإسنوي، وعنه وعن الشمس بن اللبان أخذ الأصول وتقدم فيهما بحيث كان الإسنوي يثني على فهمه ويستحسن كلامه في الأصول ويصفي لمباحثه فيه ويقول: "إن ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ".

(١) انظر ترجمته في: البدر الطالع (١/٣٥٤ - ٣٥٦)، حسن المُحَاضَرَة (١/٣٢٠ - ٣٦٢)، شذرات الذهب (٧/٥٥ - ٥٧)، الضوء اللامع (٤/١٧٧، ١٧٨).

اهتمامه بعلم الحديث:

وفي أثناء ذلك أقبل على علم الحديث بإشارة العز بن جماعة فإنه قال له وقد رآه متوغلًا في القراءات: "إنه علم كثير التعب قليل الجدوى وأنت متوقد الذهن فاصرف همتك إلى الحديث".

فأخذ بالقاهرة عن: العلاء التركماني الحنفي وبه تخرج وعليه انتفع.

وببيت المقدس وبمكة عن: الصلاح العلائي.

وبالشام عن: التقي السبكي. وزاد تفننًا باجتماعه بهما وأكثر فيها وفي غيرها من البلاد كالبحار عن شيوخها.

شيوخه وأساتذته:

للحافظ العراقي - رحمه الله - شيوخ عدة، منهم:

- الحافظ ابن سيد الناس أخو الحافظ فتح الدين.

- وناصر الدين مُحَمَّد بن إسماعيل الأيوبي ابن الملوك.

- وبمصر ابن عبد الهادي، ومُحَمَّد بن علي بن عبد العزيز القطرواني.

- وبمكة أحمد بن قاسم الحرازي، والفقيه خليل إمام المالكية بها.

- وبالمدينة العفيف المطري.

- وبيت المقدس العلائي، وبالخليل خليل بن عيسى القيمري.

- وبدمشق ابن الخباز، وبصالحيتها ابن قيم الضبائية، والشهاب المرادوي.

- وبحلب سليمان بن إبراهيم بن المطوع، والجمال إبراهيم بن الشهاب محمود...

تصانيفه ومؤلفاته:**وتصدى للتخريج والتصنيف والتدريس والإفادة فكان من تَخاويجه:**

فهرست مرويات البياني، ومشيخة التونسي، وابن القاري، وذيل مشيخة القلانسي، وتساعيات للسيدومي، وعشاريات لنفسه، وتخرّيج الإحياء في كبير ومتوسط وصغير وهو المتداول سماه: "المغني عن حَمَل الأسفار في الأسفار في تَخريج ما في الإحياء من الأخبار".

ومن تصانيفه: الألفية في علوم الحديث، وفي السيرة النبوية، وفي غريب القرآن وشرح الأولى وكتب على أصلها ابن الصلاح نكتًا.

وكذا نظم الاقتراح لابن دقيق العيد، وعمل في المراسيل كتابًا، وهو من أواخر ما

جمعه، وتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد في الأحكام، واختصره وشرح منه قطعة نحو مجلد لطيف، وكذا أكمل شرح الترمذي لابن سيد الناس فكتب منه تسعة مجلدات ولم يكمل أيضًا.

وفي الفقه: الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعيتين في مكان واحد، وتاريخ تحريم الربا، وتكملة شرح المذهب للنووي بنى على كتابة شيخه السيكي فكتب أماكن واستدرك على المهمات للإسنوي وسماه: "تتمات المهمات".

وفي الأصول: نظم منهاج البيضاوي...

ثناء العلماء عليه:

قال العز بن جماعة: "كل من يدعي الحديث في الديار المصرية سواء فهو مُدَّعٍ". وقال اليرهان الحلبي: كان عالمًا بالنحو واللغة والغريب والقراءات والحديث والفقه وأصوله غير أنه غلب عليه فن الحديث فاشتهر به وانفرد بالمعرفة فيه مع العلو، قال: وذهنه في غاية الصحة، ونقله نقر في حجر، وكان كثير الكتب والأجزاء لم أر عند أحد بالقاهرة أكثر من كتبه وأجزائه، ويُقال أن ابن الملقن كان أكثر كتبًا منه وابن الحب كان أكثر أجزاء منه، وله نظم وسط وقصائد حسان ومحاسن كثيرة.

وذكره ابن الجزري في طبقات القراء، فقال: "حافظ الديار المصرية ومحدثها وشيخها".

وفاته:

مات عقب خروجه من الحمام في ليلة الأربعاء من شعبان سنة ست وثمانمائة بالقاهرة ودفن بترتهم خارج باب البرقية وكانت جنازته مشهورة وقُدِّمَ للصلاة عليه الشيخ شهاب الدين الذهبي، ومات وله إحدى وثمانون سنة وربع سنة.



ترجمة الشارح^(١)

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الملقب زين الدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، صاحب التصانيف السائرة.

ولد في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة.

كان إماماً فاضلاً زاهداً عابداً قانتاً لله خاشعاً له، كثير النفع، وكان متقرباً بحسن العمل مثابراً على التسيب والأذكار، صابراً صادقاً، وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام.

وقد جمع العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره.

حياته ونشأته وطلبه للعلم:

ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن قبل بلوغه، ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية وألفية ابن مالك وألفية سيرة العراقي وألفية الحديث له أيضاً، وعرض ذلك على مشايخ عصره في حياة والده، ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده علوم العربية وتفقه بالشمس الرملي، وأخذ التفسير والحديث والأدب عن النور علي بن غانم المقدسي، وحضر دروس الأستاذ مُحَمَّدُ البكري في التفسير والتصوف، وأخذ الحديث عن النجم الغيطي والشيخ قاسم والشيخ حَمْدَانُ الفقيه والشيخ الطبلاوي لكن كان أكثر اختصاصه بالشمس الرملي وبه برع.

جلوسه للتدريس:

وولي تدريس المدرسة الصالحية، وشرع في إلقاء مُختَصَرِ المزني ونصب الجدل في المذاهب وأتى في تقريره بما لم يسمع من غيره، فأذعنوا لفضله وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضوره، وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ سليمان البابلي، والسيد إبراهيم الطاشكندي، والشيخ علي الأجهوري، والولي المعتقد أَحْمَدُ الكلبي، وولده الشيخ مُحَمَّدٌ وغيرهم.

(١) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٢٢٠/٥)، البدر الطالع (٣٥٧/١)، الأعلام للزركلي (٢٠٤/٦)، فهرس الفهارس (٥٦٠/٢-٥٦٢).

مصنفاته:

وتأليفه كثيرة منها:

تفسيره على سورة الفاتحة، وبعض سورة البقرة، وشرح على شرح العقائد للسعد التفتازاني سماه "غاية الأمان" لم يكمل، وشرح على نظم العقائد لابن أبي شريف، وشرح على الفن الأول من كتاب "النقاية" للجلال السيوطي، وكتاب سماه "إعلام الأعلام بأصول فني المنطق والكلام"، وشرح على متن النخبة كبير سماه "نتيجة الفكر"، وآخر صغير، وشرح على شرح النخبة سماه "اليواقيت والدرر"، وشرح على الجامع الصغير ثم اختصره في أقل من ثلث حجمه وسماه "التيسير".

وشرح قطعة من زوائد الجامع الصغير وسماه "مفتاح السعادة بشرح الزيادة". وله كتاب جمع فيه ثلاثين ألف حديث وبين ما فيه من الزيادة على الجامع الكبير وعقّب كل حديث ببيان رتبته وسماه "الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور"، وكتاب آخر في الأحاديث القصار عقّب كل حديث ببيان رتبته سماه "المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق"، وكتاب انتقاه من لسان الميزان وبين فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ورتبه كالجامع الصغير، وكتاب في الأحاديث القصار جمع فيه عشرة آلاف حديث في عشر كراريس كل كراسة ألف حديث، كل حديث في نصف سطر يقرأ طرّداً وعكساً سماه "كتر الحقائق في حديث خير الخلائق".

وله شروح كثيرة منها شرح على ورقات إمام الحرمين، وآخر على ورقات شيخ الإسلام ابن أبي شريف، واختصر التمهيد للإسنوي لكنه لم يكمله، وله كتاب في الأوقات سماه "تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف".

وله شرح على رسالة الشيخ ابن علوان في التصوف، وكتاب "منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواغين"، وكتاب التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده، وكتاب في دلائل خلق الإنسان، وشرح على ألفية ابن الوردي في المنامات، وشرح على منظومة ابن العماد في آداب الأكل وسماه "فتح الرعوف الجواد" وهو أوّل كتاب شرّحه في الآداب، وكتاب في آداب الملوك سماه "الجواهر المضئية في بيان الآداب السلطانية".

وكتاب في الطب سماه "بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج"، وكتاب سماه "الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود"، وكتاب في تاريخ الخلفاء، وتذكرة فيها رسائل عظيمة النفع ينبغي أن يُفرد كل منها بالتأليف.

وله مؤلفات أآر غير هذه، وبالجملة فهو من أكثر علماء الإسلام آثاراً، ومؤلفاته غالبها متداولة وأشهرها شرحاه على الجامع الصغير، وشرح السيرة المنظومة للعراقي.

وفاته:

وتوفي صبيآة يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وألف وصلي عليه بآامع الأزهر يوم الجمعة ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم المبارك. وقيل في تاريخ موته: مات شافعي الزمان رحمه الله تعالى.



وصف النسخة المخطوطة

وهذه النسخة الخطية مصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة العامة بالرباط تحت رقم [٥٥٩/ جلاوي].

وتقع في: ١٤٠ ورقة.

في الورقة صفحتان.

في الصفحة: ١٤ سطرًا تقريبًا.

وقد كتبت بخط نسخ جميل، ومشكول.

وذلك في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة وألف (١١٥٧هـ)

من الهجرة النبوية على يد ملا علي بن عبد الله -غفر الله له-.



هَذَا كِتَابُ الْفَيْةِ السَّيَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَحَ الصُّدُورَ وَنَظَّمَ شَمْلَ الْإِسْلَامِ وَسَيَرَتِهِ وَالضَّلُوكَ
 وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ شَرَفَهُ اللَّهُ بِمَجْنَسِ الشَّيْخَانِ وَخَصَّهُ بِمَجْمُوعِ الْقَضَائِلِ وَالْقَوَائِلِ
 عَلَى حَلِيقَتِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الثَّابِتِينَ لَهُ عَلَى مَنَاجِدِهِ وَطَرِيقِهِ وَبَعْدَ هَذِهِ
 عَجَالَةِ سَنِيَةِ عَمَلِ الْفَيْةِ السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْحَاوِيَةِ مَعَ ذَلِكَ الْعَجْزَاتِ وَ
 الْخُصَاصِ الْمُصْطَفَوِيَةِ، نَظَّمَ حَاجِبَنَا الْأَعْدَاءُ قَبْلَ الْأَمْرِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ حَافِظَ
 مِصْرَ الْحَرَمَيْنِ وَالشَّامِ عَبْدَ الرَّحِيمِ الْعِرَاقِيَّ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِتَرْكِه وَبِهِمْ
 مَفَادُهُ مَعَ الْأَخْيَارِ وَالْأَفْضَارِ، وَاللَّهُ بِاسْتِئْذَانِنَا يُنْفَعُ بِقَبُولِهِ
 وَيُخَشِّرُنَا فِي زُمْرَةِ رَسُولِهِ آمِينَ

يَتَوَلَّى رَاجِي مِنْ إِلَيْهِ الْمَهْرَبُ	عَبْدُ الرَّحِيمِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمَذْنِبُ
أَخَذَ رَسِيدِي بِأَتَمِّ الْحَمْدِ	وَالضَّلُوكَ وَالسَّلَامَ أَمْدِي
إِلَى نَبِيِّهِ وَأَرْجُو اللَّهَ	فِي نَجْمٍ مَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا
مِنْ نَظْمِ سَبِيحَةِ النَّبِيِّ الْأَمَّامِ	الْفَيْةِ حَاوِيَةٍ لِلْقَصْدِ
وَلِيَعْلَمَ الطَّالِبُ أَنَّ السَّيْرَ	تَجْمَعُ مَا مَعَ وَمَا قَدْ أَنْكَرَ

وَلَمَّا دُعِيَ عَلَى الْإِثْمَارِ وَالْعَلَّةِ كَانَتْ لَهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرٌ لَا تَامُ وَعَلَى آلِهِ وَاصِحَائِهِ الْكَرَامِ
 الثَّانِيْنَ لِمُعْتَابِ بْنِ أَبِي نُورٍ الْيَمَامِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَاصِحَائِهِ وَارْزُقِهِ
 وَدُرَرُ ثِيَابِهِ وَسَلِّمْ مَا أَشْرَقَ صَبَاحُ وَعَقْدَ ظِلَامُ وَتَدْرَقُ الْفَرَاحُ
 مِنْ مَحَبَّةِ هَذِهِ الْبَيْتَةِ الْبَنُوَّةِ يُرَمِّ الْأَمْدَ لِرُقِيَا الْعَمِيِّ
 اثْنَا عَشَرَ شَعْرًا كَيْفَ الْأَوَّلِ لِسِتَّةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ
 مِائَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْمَحْرَةِ الْبَنُوَّةِ كُلِّ
 صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ وَلِلَّهِ

لِلَّهِ رُبُّهُ

الْمَالِكِينَ

عَمَّ

مَنْ عَلَى يَدِ الْفَقِيرِ مُلَاذٍ عَلَى مِنْ عَبْدِ اللَّهِ

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ مَالَهُ نَجَاتُهُ

الْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ

١٥٧ النسخة

رفع
عبد الرحمن السجري
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح الصدور بنظم شمل الإسلام وسيرته، والصلاة والسلام على من شرفه الله بحسن السمائل وخصه بعموم الفضائل والقواضل على خليقته، وعلى آله وصحبه التابعين له على منهاجه وطريقته، وبعد فهذه عمالة سنية على ألفية السيرة النبوية الحاوية مع ذلك للمعجزات والخصائص المصطفوية، نظم جدنا الأعلى من قبل الأم شيخ الإسلام حافظ مصر والحرمين والشام عبد الرحيم العراقي الشافعي -رحمه الله-، يبين مراده ويتمم مفاده مع الاختصار والاقتصار، والله أسأل أن يُنعم بقبوله ويحشرنا في زمرة رسوله، آمين.

قال الناظم -رحمه الله تعالى:-

يقول راجي من إليه المَهْرَبُ	عبد الرحيم بن الحسين المَذْنَبُ
أحمدُ ربي بأتمِّ الحمد	وللصلاة والسلام أهدي
إلى نبيه وأرجو الله	في نُجَح ما سألتُه شفاهَا
من نظم سيرة النبي الأمجد	ألفيّة حاويةً للمَقْصِد
وليعلم الطالب أن السِّيرَا	تَجَمُّع ما صحَّ وما قد أنكرَا
والقصد ذكر ما أتى أهل السِّير	به وإن إسناده لم يُعْتَبَر
فإن يكن قد صحَّ غير ما ذكر	ذكرت ما قد صحَّ منه واستطر

الشرح: ناظم هذه الألفية هو الشيخ الإمام الحبر الهمام أبو الفضل زين الدين

عبد الرحيم ابن الشيخ الإمام العابد الزاهد القدوة المسلك حسين بدر الدين بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازياني الأصل ثم المصري الشافعي المعروف بالعراقي نسبة إلى عراق العرب.

قال جدنا قاضي القضاة شيخ الإسلام الشرف المناوي: (نسبه متصل بالفاروق رضي الله عنه)، لكن الشيخ كان لا يذكر ذلك تورعاً، كانت إقامة أسلافه ببلدة يُقال لها رازيان من أعمال إربل، ولهم هناك مناقب ومآثر مشهورة وكرامات مأثورة، ومنهم جماعات من العلماء وجماعات من الصلحاء. وسبب إتيان جده إلى مصر أن عميه انجفلا في نوبة غازان

ملك التتار إلى مصر فلما استقروا بها أرسلوا إليه فأحضروه إلى مصر وهو طفل، فنشأ بها على الاشتغال بالعلم والإقبال على شأنه، فولد بها هذا الإمام في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ونشأ بها، فحفظ القرآن وهو ابن ثمان والتنبه والإمام وأكثر الحاوي، وأراد حفظه كله في شهر فمل بعد اثني عشر يوماً، وكان يحفظ كل يوم أربعمئة سطر.

ثم أخذ الفقه وأصوله عن ابن عدلان والسبكي والأسنوي والعلائي وابن كثير، وتوغل في القراءات فقال له العز بن جماعة: «إنه علم كثير التعب قليل الجدوى وأنت متوقد الذهن فاصرف نفسك للحديث»^(١)، فأقبل عليه حتى مهر وبرع فيه وفاق أهل عصره؛ حتى وصفه مشايخه بأنه حافظ الوقت، ونقل عنه شيخه في المهمات وغيرها وترجمه في طبقات الشافعية ولم يذكر فيها أحداً من الأحياء سواه، وامتنع السبكي حين قدم القاهرة من التحديث إلا بحضوره، وأولع بتخريج أحاديث الإحياء ورافق الزيلعي الحنفي في تخريج أحاديث الكشاف وأحاديث الهداية فكانا يتعاونان، كذا ذكره ابن قاضي شهبه^(٢).

وكان مفرط الذكاء جداً بحيث يضرب به المثل في ذلك، وتصدى للتخريج والتصنيف والتدريس، فمن تصانيفه تخريج أحاديث الإحياء في كبير ومتوسط وصغير يُسمى المغني وهو المتداول، وخرج أربعين متبينة البلاد، والألفية في علوم الحديث ثم شرحها، والألفية في السيرة هذه، وتقريب الأسانيد واختصره وشرح منه قطعة وكمله ولده، وشرح البخاري ولم يكمل ولو كمل لم يكن له نظير في بابيه، وشرح سنن أبي داود ولم يكمل وبعضها عندي بخطه، وشرح مختصر ابن الصلاح، وكمل شرح الترمذي لابن سيد الناس فكتب منه عشر مجلدات نحو ثلثي الجامع ولم يكمله فكمله ولده، وكمل تكملة السبكي لشرح المذهب ولم تكمل، ونظم منهاج البيضاوي والاقتراح، وذيل على الميزان للذهبي فأوعب، ونظم غريب القرآن، واستدرك على المهمات في الفقه كتاباً سماه تنمات المهمات، وعمل للوفيات ذيلاً على ذيل أبي الحسين، وأملى أكثر من أربعمئة مجلس من حفظه، وله غير ذلك ممّا كمل وممّا لم يكمل.

(١) انظر: ذيل طبقات الحفاظ (ص ٢٢٢).

(٢) انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه (٣٠/٤).

وطار صيته وعلا ذكره وحج مراراً وولي قضاء المدينة المشرفة وخطابتها وإمامتها، ثم عاد إلى القاهرة فولي عدة تداريس، ثم انجم وتقلل مع تواضع وعفاف وكفاف ومروءة ونخوة وصدع بالحق لا يهاب سلطاناً ولا غيره، وصار المنظور إليه في فن الحديث من بين أهل عصره، وانتفع به الأصاغر والأكابر، وصاهره جدنا المناوي على ابنته بعد موته لما أخذ عن ولده شيخ الإسلام الولي العراقي فتزوج كل منهما أخت الآخر وأتى منها بأولاد.

وكان عالماً باللغة والنحو والفقه والأصول لكن غلب عليه علم الحديث وانفرد بمعرفته. وأخذ عنه علماء الديار المصرية وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر: «ولم أر في جميع مشايخي أحسن صلاة منه»، وقد أفرد ولده ترجمته في مؤلف حافل، وفي هذا القدر كفاية. مات في شعبان سنة ست وثمانائة عقب خروجه من الحمام ودفن في تربة خارج باب البريقة.

قال الحافظ نور الدين الهيتمي: «رأيت المصطفى ﷺ في النوم وعيسى عليه السلام عن يمينه والشيخ زين الدين العراقي عن يساره».

وقوله: (أحمد ربي بأتم الحمد) أي بأكمله، والحمد الثناء باللسان على الجميل الاختياري، والصلاة من الله رحمة مقرونة بتعظيم، والسلام التسليم من الآفات المنافية للكمالات. والإضافة في قوله: (نبيه) للتشريف ومزيد التعظيم. والنبي إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر فرسول أيضاً، وإن لم يكن له كتاب ونسخ بعض شرع من قبله فإن كان فرسول أيضاً قولان ثالثهما هما بمعنى، ولفظه بالهمز من النبأ وهو الخبر لإخباره عن الله، وبدونه من النبوة بالفتح وهي الرفعة.

وقوله: (وأرجو الله في نجاح ما سألته) إلخ أي: أومل من الله في قضاء حاجتك التي سألتني أيها الطالب فيها وهي نظم السيرة النبوية في ألف بيت، وقوله: (حاوية للمقصد) بكسر الصاد أي: المقصود.

ثم أفاد أن السير يذكر فيها من الأخبار ما صحَّ سنده وما أنكر ولا يعتبر أهله صحة الإسناد، فجرى في هذه الأرجوزة على طريقتهم لكن زاد أنه إن كان ورد من طريق صحيح أو متمسك غير ما ذكره ثبَّ عليه فهذا هو المراد بقوله: (ذكرت ما قد صح منه واستطر) بالبناء للمجهول يُقال: سطر، واستطر: كتب، وهذه أرجوزة من أساطير الأولين مما سطوروا من أعاجيب حديثهم، وسطر فلان: قص علينا من أساطيرهم، والأساطير الأباطيل، والألف من قوله: (السير) و(أنكرا) للإطلاق.

أَسْمَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ

أي هذا باب ذكر أسماء نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، والأسماء جمع اسم وهو كلمة وضعت بإزاء شيء متى أطلقت فهم منها:

مُحَمَّدٌ مَعَ الْمُقْفِيِّ أَحْمَدًا الْحَاشِرُ الْعَاقِبُ وَالْمَاحِي الرُّدَا
وهو الْمُسَمَّى بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي مُسْلِمٍ وَبِنَبِيِّ التَّوْبَةِ
له ﷺ أسماء كثيرة ذكر الناظم منها ثلاثين اسماً ولا ينافيه حديث البخاري: «إن لي خمسة أسماء»^(١) لأن مراده خمسة اختصت لي لَمْ يتسم بها أحد قبلي أو معظمة أو مشهورة في الأمم الماضية أو الكتب السالفة، فليس المراد الحصر فيها.

الأول: محمد، وابتدأ به لكونه أشهر أسمائه وأشرفها لإنبائه عن كمال الحمد المُنْبِي عن كمال ذاته، سمي به مع كونه لَمْ يُولَفْ قَبْلُ إما لكثرة خصاله الحميدة وإما لأنه تعالى وملائكته حَمَدُوهُ حَمْدًا كَثِيرًا بِالْعَا غَايَةِ الْكَمَالِ.

قال القاضي عياض^(٢): «وقد حمى الله هذا الاسم فلم يتسم به أحد ممن ادعى النبوة في الإسلام مع كثرتهم وَلَمْ يتسم به أحدٌ قبله، وإلّاما سمّت العرب محمداً قرب ميلاده لما أخبر الأخبار والكهان أن نبياً يُبعث في ذلك الزمان يُسمى محمداً فسمّوا أبناءهم بذلك»، قال: وهم ستة، واستدرك عليه الحافظ ابن حجر نحو خمسة عشر.

الثاني: المقفّي بكسر الفاء المشددة أي التابع للأنبياء فكان آخرهم، وقافية كل شيء آخره، أو جعله الأنبياء عقبهم.

الثالث: أحمد، وأخره الناظم عن المقفّي لضرورة الوزن وإلا فحقه التقديم إذ محمد وأحمد أعظم أسمائه وأبلغها وإليهما ترجع سائر صفاته لأن صيغة المبالغة تؤذن بالتضعيف والتكثير، وصيغة أفعال تُنبئ عن الوصول إلى غاية ليست وراءها غاية إذ معناه أحمد الحامدين لربه، وسببه ما في الصحيح^(٣) أنه يفتح عليه في المقام الحمود بمحامد لم يُفتح بها على أحد قبله، ويقال: الأنبياء حَمَادُونَ وهو أحمدهم أي: أكثرهم حمداً وأعظمهم في صفة الحمد.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٣) من حديث جابر بن مطعم ؓ.

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٢٩/١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ؓ.

قال عياض^(١): «كان المصطفى أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع في الوجود لأن تسمية أحمد وقعت في الكتب القديمة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب والدعاء والقُدوم من السفر، وسُميت أمته بالحمّادين فجُمعت له معاني الحمد وأنواعه فلذلك كان أحمد».

الرابع: الحاشر أي الذي يحشر الناس على قدمه أي على إثر زمن نبوته إذ لا نبي بعده، أو على إثره في الحشر لأنه أول من تشق عنه الأرض.

الخامس: العاقب أي: الذي خلف من قبله في الخير، أو الذي لا نبي بعده إذ العاقب هو الآخر وهو عقب الأنبياء أي: آخرهم.

السادس: الماحي ولفظُ رواية البخاري: «أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر»^(٢) أي: أهله وهو المشار إليه بـ(الردا) بفتح الراء والدال المهملة في عبارة الناظم، وهذا محمولٌ على الأغلب لأن الكفر ما انمَحى من جميع البلاد أو أنه سينمحي أولاً فاولاً إلى أن يضمحل بعد نزول عيسى فإنه يُرفع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

وفي رواية نافع بن جبير: «أنا الماحي فإن الله يمحو بي سيئات من اتبعني»^(٣)، قال الحافظ ابن حجر^(٤): "وهذا يشبه أن يكون من قول الراوي".

السابع: نبي الرحمة أي: نبي للرحمة كما ورد تسميته به في صحيح مسلم وغيره^(٥) أي نبي التراحم بين الأمة، أو مخبرٌ عن رحمة الله لرحمة دينه، أو جعل ذاته نفس الرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الثامن: نبي التوبة كما في حديث مسلم^(٦) أيضاً أي نبي مخبر عن الله بقبوله التوبة أي بشروطها، أو آمرٌ بها، أو كثير التوبة أي الرجوع إلى الله تعالى.

(١) انظر: فتح الباري (٥٥٥/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٢) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٠٤/٤)، وابن سعد في الطبقات (٨٤/١).

(٤) انظر: فتح الباري (٥٥٧/٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وفيه أيضاً نبي المَلَحَمَه وفي رواية نبي المَرَحَمَه التاسع: نبي الملحمة كما سمي به في حديث مسلم أيضاً^(١)، والملاحمة الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك التدي باللحمة، سمي به لحرصه على الجهاد ومسارعته إليه، وفي الحديث: «جعل رزقي تحت ظل رمحي»^(٢).
 العاشر: نبي الرحمة كما جاء في رواية أخرى.

طه ويس مَعَ الرسول كذلك عبدُ الله في التنزيل الحادي عشر والثاني عشر: طه ويس حكامها مكّي وغيره^(٣)، وقد قيل في بعض التفاسير: طه إنه يا هادي ويا طاهر، وياسين يا سيد، حكامها السلمي وغيره^(٤).
 الثالث عشر: الرسول أي: رسول الرحمة هكذا رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلًا، ورسول الملاحم كما رواه عنه أيضاً^(٥).

الرابع عشر: عبد الله، ووصف العبودية أشرف الأوصاف وقد جاء وصفه به في التنزيل: ﴿وَأَلَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وهو العبد المطلق ولم يوصف به غيره فيه إلا مضافًا.

والمتوَكِّلُ النبي الأمي والروُفُ الرحيم أي رُحِمَ الخامس عشر: المتوكل سماه به في التوراة، أي الذي يكل أموره إلى الله.
 السادس عشر: النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وذلك في حقه معجزة وفي حق غيره عجز.

السابع عشر والثامن عشر: الرؤوف الرحيم بشهادة ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والرأفة شدة الرحمة فهو شديد الرحمة على المؤمنين كما

(١) لم يرد هذا اللفظ في المطبوع من صحيح مسلم، وقد أورده المزي - رحمه الله - في «تحفة الأشراف» بمعرفة الأطراف» (٤٧٢/٦)، وذكر لفظ: «نبي الملحمة»، وعلق عليه محققه بأن في المطبوعة: «نبي الرحمة». والله أعلم

(٢) جزء من حديث، أخرجه: أحمد في المسند (٥٠٩٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢١٢/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥/٢) وغيرهم، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٣) انظر: الشفا (٢٣١/١).

(٤) انظر: الشفا (٢٣١/١).

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٨٤/١).

أشار إليه بقوله: (أَيُّ رُحْمٍ) بشد الياء المضمومة وضم الراء وسكون الحاء المهملة.
 وشَاهِدًا مُبَشِّرًا نَذِيرًا كَذَا سِرَاجًا صِلَ بِهِ مُنِيرًا
 التاسع عشر: الشاهد يوم القيامة للأنبياء على أمهم بالتبليغ والشاهد على أمته قال
 تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

العشرون والحادي والعشرون: المبشر لأهل الإيمان بالرضوان في هذه الدار وفي دار
 القرار، والمنذر لأهل الكفر بالخذلان والهوان في دار البوار.

الثاني والثالث والعشرون: السراج المنير قال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، إذ به انجلت ظلمات الشرك كما ينجلي ظلام الليل بالسراج واهتدت بنور نبوته
 البصائر كما يهتدي بنور السراج الأبصار، ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يكون
 نيرًا. وقوله: (صل به) أي اجعله متصلًا بما عد قبله من الأسماء، وفي نسخة (سل به)
 بالسين أي: أسأل الله به يعني اجعله وسيلتك وشفيعك إليه، وكيف ما كان (فهو) حشو
 لإكمال الوزن.

كَذَا بِهِ الْمُرْمَلُ الْمُدْتَرَا وَدَاعِيَا لِلَّهِ وَالْمُدْكُرَا
 الرابع والخامس والعشرون: المزمّل والمدثر كما في سورتيهما.
 السادس والعشرون: الداعي إلى الله بإذنه كما في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
 يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ [الأحزاب: ٤٦].
 السابع والعشرون: المذكر بفتح الذال وكسر الكاف قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾
 [الغاشية: ٢١]، فقوله: (كذا به) أي: كذا صل بما تقدم من الأسماء هذه الأسماء الأربعة
 وهو حشو كمل به كما تكرر.

وَرَحْمَةً وَنِعْمَةً وَهَادِي وَغَيْرَهَا تَجَلُّ عَنْ تَعْدَادِ
 الثامن والعشرون: نبي الرحمة أي رحمة للعالمين، فهو رحمة.
 التاسع والعشرون: نعمة الله إذ هو نعمة على من آمن به في الدارين.

الثلاثون: الهادي إلى الصراط المستقيم بواضح الحجج وساطع البراهين حسبما ذكر
 في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ تَهْدِي﴾ [الشورى: ٥٢] الآية، وله غير ذلك من الأسماء التي (تجل)
 بكسر الجيم أي: تعظم عن العد لكثرتها، و(التعداد) بفتح التاء كما قال الحافظ ابن حجر،
 ومن أسمائه المشهورة المختار والمصطفى والشفيع والصادق والمصدق وغير ذلك.

وقد وَعَى ابْنُ العربي سبعة من بعد ستين وقيل تسعة من بعد تسعين ولابن دحية الفحص يوفيه ثلاثمائة وكونها ألفاً ففي العارضة ذكره عن بعض ذي الصوفية أفاد الناظم أن القاضي أبا بكر محمد بن العربي المالكي قد وعى أي جمع في كتابه المسمى بعارضة الأحوذ في شرح الترمذي: للمصطفى سبعة وستين اسمًا، قال: وأوصلها بعضهم إلى تسعة وتسعين موافقة لعدد الأسماء الحسنى، وأوصلها ابن دحية إلى ثلاثمائة، وبعضهم إلى أربعمائة، وبعض الصوفية إلى ألف، بل قال ابن فارس: هي ألفان وعشرون، وأكثرها من قبيل الصفات. وقوله: (دحية) بكسر الدال المهملة، و(يوفيه) بالفاء المكسورة.

تتمة: نقل الجلال السيوطي عن البارزي أن من خصائصه عليه السلام أن أسماءه توقيفية كأسمائه تعالى وهو غريب.

فائدة: نقل الحافظ ابن حجر عن بعض شيوخه أن المصطفى وإن كان ذا أسماء كثيرة لكن لا ينبغي أن يُنادى بشيء منها بل يُقال: يا رسول الله^(١)، ثم أشار إلى التوقف فيه.



(١) وذلك لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

باب ذكر نسبه الزكي الطيب الطاهر

يُقال: نسبته إلى أبيه نسباً: عزوته إليه، وانتسب إليه: اعتزى، والاسم النسبة بالكسر وتجمع على نسب كسدره وسدر، قال ابن السكيت: "ويكون من قبل الأب ومن قبل الأم".

وهو ابن عبد الله عبد المطلب
أبوه عمرو هاشم والجد
ابن كلاب أي حكيم يا أخي
وهو ابن غالب أي ابن فهر
وأبوه كنانة ما أبركه
وهو ابن إلياس أي ابن مضر
ذكر في هذه الآيات ما هو متفق عليه من نسبه، فهو محمد بن عبد الله وأبو عبد الله هو عبد المطلب، ويُسمى شعبة الحمد على الأصح وقيل عامر، فقول الناظم: (نسب أي: سمي، وقوله: (شعبة الحمد) مفعول مقدم، وإنما سمي به لأنه ولد وفي رأسه شعبة أي شعرة بيضاء وكانت ترى في ذؤابته، وكنيته أبو الحارث وقيل أبو البطحاء، وفي نسخة: وهو ابن عبد الله والأب انتسب لشعبة الحمد اسم عبد المطلب وأبو عبد المطلب اسمه عمرو ولقبه هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه، وهاشم هو ابن عبد مناف سمي به لطوله من قولهم مائة ونيف واسمه المغيرة بن قصي مصغراً واسمه زيد وقيل يجمع بن كلاب بكسر الكاف مخففاً لقب به لأنه كان أكثر صيده بالكلاب فكان يجمعها لذلك واسمه حكيم كما فسره الناظم بقوله: (أي حكيم) وقيل حكيمه، وقيل عروة. وقوله: (يا أخي) بالتصغير حشو كمل به الوزن.

وكلاب هو ابن مرة بضم الميم وشد الراء ابن كعب بن لؤي بضم اللام وبالهزمة وتسهل، ابن غالب بن فهر بكسر فسكون واسمه قريش وإليه نسبت قريش فيما فوقه كناني، وهو ابن مالك بن النضر بفتح النون وسكون المعجمة واسمه قيس لقب به لنضارة وجهه أي حسنه، وأبوه اسمه كنانة سمي به لأنه كان سترًا على قومه كالكنانة أي الجمعية الساترة للسهام وكان عظيم البركة عندهم يتبركون به كما أشار إليه الناظم بقوله: (وأبه كنانة ما أبركه)، وقوله: (أبه) بضم الموحدة والهاء على لغة النقص كقوله:

بأبيه اقتدى عدي في الكرم

ويأتي له نظائر كثيرة في كلامه.

والده اسمه خزيمة - مصغراً - ابن مدركه - بضم فسكون - واسمه عمرو وهو ابن إلياس - بكسر الهمزة - أو فتحها ولامه للتعريف و همزته للوصل عند الأكثر، وهو ابن مضر - بضم ففتح - معدول عن ماضر واسمه عمرو بن نزار - بكسر النون والتخفيف - وهو ابن معد بغير شك كما أشار إليه الناظم بقوله: (لا مرا) أي بلا شك وهو حشوّ كمل به الوزن، ومعد هو ابن عدنان كما في أول الأبيات المذكورة بقوله:

وهو ابن عدنان وأهل النسب قد أجمعوا إلى هنا في الكتب
وبعدته خلف كثير جم أصح حواه هذا النظم

يعني أن النسابين قد أجمعوا في كتبهم على أنه لا يجاوز في نسبه عدنان كما حكاه ابن دحية عنهم، قال ابن قدامة: هذا مما لم يختلف فيه أحد.

وبعد عدنان أي فوفه إلى آدم (خلف) بضم الخاء المعجمة أي خلاف كثير جم متشتر لكونه من كلام المؤرخين ولا ثقة بقولهم، ومن ثم أنكر مالك على من رفع نسبه إلى آدم وقال: من أخبره به؟ وأخرج ابن سعد^(١) عن ابن عباس أنه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان، ثم أصبح هذا الخلاف على ضعفه ما جمعه الناظم في قوله:

عدنان في القول الصحيح ابن أدّ وبعضهم يزيد أدّا في العذّ
بينهم وأدّ والعدّ مقوم ناحور بمعد جدّه
وهو ابن تيرج أي ابن يعربا وأن يعرب هو ابن يشجب

عدنان هو ابن أدّ بضم ففتح من الوّد أصله وُدّ فأبدل من الواو همزة، قال السهيلي وهو مصروف، وزاد بعض علماء النسب بينها أدّا بضم فتشديد نقله ابن عساكر وغيره وأشار ابن عبد البر إلى تفرد قائله به، وأدّ بن مقوم بفتح القاف والواو مشدداً من قوم تيرج المرح أقومه فهو مقوم، هذا ما جرى عليه الناظم تبعاً للحافظ عبد الغني وغيره^(٢)، واختار الدمياطي أن والد أدّ هو اليسع، ومقوم بن ناحور بنون وحاء مهملة هذا هو الصحيح.

وقول الناظم: (بعد جدّه) بضم دال بعد أي وبعد ذلك فجاء أدّ المذكور هو ابن تيرج

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤٧/١). وقال العلامة الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (٤٣٥١): موضوع.

(٢) انظر: سيرة النبي ﷺ للحافظ عبد الغني (ص ٢٤).

بمشاة فوقية وراء فيعل من الترح الحزن كأنه حزن على الأعداء، وترج هو ابن يعرب بضم الراء من أعرب في كلامه: أصلح وأبان، أو من قولهم: الثيب تعرب وتبين، أو غير ذلك، وزاد الناظم أي المفسرة تكملة للوزن.

وقوله: (وأن يعرب هو ابن يشجب) بفتح همزة أن وشدة النون على الأصح، أي: والأصح أن يعرب هو ابن يشجب من غير تكرار يعرب ويشجب مرتين، ومقابل الأصح ما في سيرة الحافظ عبد الغني^(١) عن ابن إسحاق من أنه مكرر. ويشجب بشين معجمة وجيم مضمومة من شجب يشجب: هلك، والعرب تسمي باللفظ المكروه تفاؤلاً به للأعداء، وألف يعرب ويشجب للإطلاق.

وهو ابن نابت وإسماعيل
إبراهيم بن تارح أي آزر
وهو ابن ساروخ بن أرغو فالخ
أب له وجد الخليل
وهو ابن نابت بنو من نبت الزرع نبأ، ونابت هو ابن إسماعيل على الصحيح ابن إبراهيم الخليل فيعل بمعنى مفعول من الحلة بضم الحاء المعجمة الصداقة، سمي به لما تخلل قلبه من حب الله، فإبراهيم جد نابت وهو ابن تارح بمشاة فوقية وراء مفتوحة، وتارح هو آزر على ما جرى عليه الناظم تبعاً للسُّهَيْلي، وهو ابن ناحور بنون وراء وخاء مهملتين من النحر، وناحور هذا آخر غير ناحور المتقدم، وناحور هو ابن ساروخ بمهملات ويُقال ساروخ بغين معجمة (كذا ضبطه النووي، وضبطه الحافظ بشين معجمة وخاء معجمة، وقال الملك المؤيد: وربما قيل بالعين المهملة).

وهو ابن أرغو بعين مهملة وقيل معجمة، وهو ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة وخاء معجمة وقيل فالع بعين مهملة أو معجمة، وقوله: (أب له) إلخ أب لأرغو، وفالغ هو ابن عير بمهملة مفتوحة فمشاة تحتية ساكنة فموحدة تحتية ويُقال عابر، وهو ابن شالخ بمعجمتين بينهما ألف ولام مفتوحة. وقوله: (إبرهم) بحذف الألف والياء لغة في إبراهيم وهو سرياني ومعناه بالعربية أب رحيم، سمي به لمزيد رحمته سيما بالأطفال، ولذلك جاء

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ للحافظ عبد الغني (ص ٢٤).

في حديث^(١) أنه هو وزوجته سارة كافلان من مات من أولاد المؤمنين طفلاً إلى يوم القيامة.

وهو ابنُ أَرْفَخْشَدَ أبوه سَامُ أبوه نُوحٌ صائمٌ قَوَّامٌ
وهو ابنُ لَامَكْ بنِ مَتُوشَلَحَا ابنُ خَنُوحَ وهو فيما وَرَّحَا
إدريسُ فيما زَعَمُوا يَرْدُ أَبُوهُ وهو ابنُ مَهْلِيلَ بنِ قَيْثَانَ يَعْقُبُهُ
يانشُ شَيْثُ أَبُهِ ابْنُ آدَمَا صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا

أي: وشاخ هو ابن أرفخشذ بفتح الهمزة وراء ساكنة وفاء مفتوحة فحاء معجمة ساكنة فشين معجمة ذكره النووي، وقيل غير ذلك، وتفسيره مصباح مضيء، وأبو أرفخشذ هو سام أبو العرب ابن نوح عليه السلام وهو الصائم بالنهار والقوام بالليل، ونوح هو ابن لامك بفتح الميم وكسرهما ابن متوشلخا ميم مفتوحة ومثناة فوقية مشددة وو او ساكنة فشين معجمة ولام مفتوحتين، وقيل غير ذلك، وهو ابن خنوخ بناء معجمة مفتوحة ونون مضمومة وحاء معجمة وقيل مهملة، وخنوخ هو ابن إدريس النبي على ما ذكره المؤرخون، وقيل إدريس في عمود النسب، بل هذا إدريس ابن إلياس لقول إدريس في خبر الإسراء: «رحمًا بالأخ الصالح»^(٢)، وتعبه النووي^(٣) بأنه قاله تلطفاً وإلا بأخوة (الدين) إذ المؤمنون إخوة.

وقوله: (يرد أبه) بضم الباء أي وإدريس أبوه يَرْدُ بمثناة تحتية مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة وهو ابن مهليل بفتح الميم وسكون الهاء ابن قَيْنَ بفتح القاف وسكون المثناة تحت ونونين أولاهما مفتوحة، (ويعقبه) أي يتلوه في النسب يانش بمثناة تحتية ونون مفتوحة وشين معجمة وقيل بكسر النون، وقوله: (شيث أبه ابن آدم) أي وشيث هو أبو يانش وشيث ابن آدم عليه السلام من الأدمة أو الأدم وغير ذلك.

خاتمة: كره مالك رفع الأنساب إلى آدم والأكثر على جوازه، وفي حديث رواه

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم للنوري (٢/٢٢٠).

أبو نعيم وغيره^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «علم النسب علم لا يتفع وجهالة لا تنضر»، لكن حملة الأكثر على التعمق فيه والاشتغال به عما هو أهم.

أما قريش فالأصحُّ فهُرُ جَاعَهَا والأكثرُونَ النَّضْرُ
وَأَمُّهُ آمَنَةُ وَالِدُهَا وَهَبٌ يَلِي عَبْدُ مَنْفٍ جَدُّهَا
وَهُوَ ابْنُ زُهْرَةَ يَلِي كِلَابُ وَفِيهِ مَعَ أَبِيهِ الْإِنْتِسَابُ
الأصح الذي عزاه البيهقي للحلة أن جماع قريش الذي يجمعها كلها هو فهر بكسر
الفاء ابن مالك فمن لم يُلده فليس بقريشي، وقال الأكثر وجرى عليه الشيخان الرافعي
والنووي إنهم أولاد النضر بن كنانة فمن لم يُلده فليس من قريش، وأصل القرش الجمع
وتفرشوا: تجمعوا، وبه سميت قريش، وقيل: قريش دابة تسكن البحر وبها سمي الرجل
وينسب إلى قريش بحذف الياء فيقال قريشي للضرورة.

وقوله: (وأمه) أي وأم النبي ﷺ آمنة وصرفه للضرورة، ووالدها وهب ويلى وهباً
في النسب عبد مناف، وجدها أي جد آمنة الرابع وهو جد أبيها زهرة وصرفه للضرورة^(٢)،
ويلى زهرة في النسب كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وقوله: (وفيه) إلخ أي: ويجتمع نسبه ﷺ من أمه مع نسب أبيه في كلاب،
والقول بأن زهرة اسم امرأة نسب إليها ولدها دون الأب زيفوه، وسكّن الناظم عين (مع)
للوزن.



أبي هريرة رضي الله عنه، وضعفه

(١) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣، ٢٤)

العلامة الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (٣٧٢٥).

(٢) ولا ضرورة هنا؛ لأن الوزن مستقيم مع المنع من الصرف، والله

ذكر مولده الشريف وإرضاعه - عليه السلام -

وما وقع فيهما من العجائب والآيات الخوارق الغرائب

وَوُلِدَ النَّبِيُّ عَامَ الْفِيلِ أَيُّ فِي ربيعِ الأولِ الْفَضِيلِ
لِيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مُبَارَكًا أَتَى لِلْيَلِيتَيْنِ مِنْ ربيعِ خَلَّتَا
وَقِيلَ بَلْ ذَاكَ لثَنِي عَشْرَهُ وَقِيلَ بَعْدَ الْفِيلِ ذَا بَفْتَرَهُ
بِأَرْبَعِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَهُ وَرُذًا ذَا الْخُلْفُ وَبَعْضُ وَهْنَهُ

ولد ﷺ بمكة داخل الزقاق المعروف بزقاق المدك بالدال المهملة في دار كانت بيد عقيل بن أبي طالب ثم باعها ولده من أخي الحجاج ثم جعلتها الخيزران أو زبيدة حليلة الرشيد مسجداً وهو المشهور الآن بمسجد المدك، وقيل ولد: بالردم، وقيل: بالشعب، وقيل: بعسفان وهو شاذ، وذلك عام الفيل كما في المستدرك^(١) عن ابن عباس.

قال ابن عبد البر: «ويحتمل أن يريد بعامة اليوم الذي حبس فيه الفيل عن الحرم»، وقال مغلطاي: ولد عند طلوع الفجر يوم أرسلت الطير الأبايل، ومن قال ولد ليلاً أرادَ بحجاز المجاورة، وقصة الفيل مشهورة.

وقوله: (أي في ربيع الأول) الذي ورد الشرع بتفضيله لا في صفر ولا في ربيع الآخر ولا رجب ولا رمضان، ولا يوم عاشوراء على الأصح، و(الفضيل) بمعنى الفاضل والمفضل، واللام في قوله: (ليوم) بمعنى: في كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: (مباركاً أتى) أي: من بركة يوم الاثنين كون النبي أتى أي ولد فيه ولهذا جاء في السنة تفضيله وتفضيل الصوم فيه، ففي المستدرك أن أعرابياً سأل المصطفى عن صوم الاثنين قال: «ذاك اليوم الذي ولدت فيه وأنزل عليّ فيه»^(٢)، وفي الخبر^(٣): «ولد ﷺ يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين».

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٥٨/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٠٢) موقوفاً على ابن عباس - رضي الله عنهما -

وكانت ولادته عند طلوع الفجر كما تقرر لليلتين مضتا من ربيع الأول على الأصح عند الأكثر، ولم يذكر الحافظ عبد الغني في سيرته غيره^(١)، وقيل: بل ولد لثني عشرة ليلة خلت منه وهو الأشهر وعليه العمل، لكن الأصح عند الجمهور الأول، وقيل: لثمان، وقيل: لعشرة، وقيل: لسبعة عشرة، وقيل: لثمان بقين منه، وقيل: ولد بعد عام الفيل بزمان طويل وهو مراد الناظم بقوله: (وقيل بعد الفيل ذا بفترة) أي: وكان هذا بعد فترة طويلة بين وقعة الفيل وبين مولده، واختلف في ذلك فقيل بعشر سنين، وقيل: بأربعين، وقيل: بثلاثين، وقيل: بخمسين، وقيل: بخمسة وخمسين يوماً، وقيل: غير ذلك. وقوله: (ورد) بضم الراء وشد الدال، وقوله: (الخلف) بضم الخاء المعجمة أي رد ابن الجزار على هذا الخلاف وحكى الإجماع على أنه ولد عام الفيل، وقوله: (بعضٌ وهنه) أي: وبعضُ العلماء ضعف الخلاف جدًّا وقطع بأنه عامُ الفيل. تنبيه: لم يولد في يوم جمعة ولا شهر حرام ولا رمضان دفعا لتوهم تشرفه بذلك الزمان الفاضل.

وقد رأت إذ وضعتَه نورًا خَرَجَ منها فأضأ القصورا
قصورٌ بُصِرَى قَدْ أَضَاءَتْ ووضِعَ بَصْرُهُ إلى السماء مُرْتَفِعُ

وقع في حال ولادة المصطفى خوارق منها: أن أمه آمنة رأت حين وضعتَه نورًا خرج منها أضواء وانتشر حتى رأت القصور أي قصور بصرى بضم الموحدة التحتية وسكون الصاد المهملة وفتح الراء المهملة مدينة بالشام وهي حوران أو قيسارية، وقد أضاءت تلك القصور من ذلك النور كما ورد في عدة أخبار عند أحمد وغيره^(٢)، ووقع من بطن أمه على الأرض شاخصًا رافعًا بصره إلى السماء لكونها أعلى الآيات الباهرة الدالة على وحدانيته تعالى ومهبط الوحي ومنزل الملائكة.

أخرج ابن عساكر عن أبي الحسن التنوخي: كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ (ص ٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧١٢)، من حديث العرياض بن سارية رضى الله عنه، وضعفه العلامة الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (٢٠٩١) ولفظه: «... أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت حين وضعت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام...».

إلى نسوة فيكفين عليه بُرمة، فلما ولد المصطفى فعلن به ذلك، فلما أصبحن وجدن البرمة انقلبت عنه وهو مفتوح العينين شاخص ببصره إلى السماء.

وفي حديث مخزوم بن هاني، عن أبيه وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة قال: «لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَلِدَ فِيهَا انْكَسَرَ إِيوَانُ كَسْرَى وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةِ شَرْفَةً، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارَسٍ وَلَمْ تَحْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةٌ سَاوَةً، وَرَأَى الْمَوْبِذَانَ وَإِبْلًا صَعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا قَدْ قَطَعَتْ دَجَلَةً وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ كَسْرَى أَفْزَعَهُ مَا وَقَعَ فَسَأَلَ عُلَمَاءَ مَمْلَكَتِهِ عَنْ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ إِلَى سَطِيحٍ^(١) فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا، أَخْرَجَهَا ابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرِهِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ بِسَنَدِهِ.

تتمة: ذكر القيرواني المعبر في البستان أن عبد المطلب كان رأى في منامه سلسلة فضة خرجت منه أضواء لها العالم، لها طرف بالسماء وطرف بالأرض وطرف بالشرق وطرف بالمغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة نور وأهل المشرق والمغرب متعلقون بها، فعبرت له بمولود يتبعه أهل الأرض وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قال ابن حزم وغيره: (ولم يلد أبواؤه غيره)^(٢).

مَاتَ أَبُوهُ وَلَهُ عَامَانِ	وَتَلَّثَّ وَقِيلَ بِالنَّقْصَانِ
عَنْ قَدَرِ ذَا بِلْ صَحَّ كَانَ حَمَلًا	وَأَرْضَعْتُهُ حِينَ كَانَ طِفْلًا
مَعَ عَمِّهِ حَمْزَةَ لَيْثِ الْقَوْمِ	وَمَعَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِ
تُوبَةَ وَهِيَ الَّتِي أَبُو لَهَبٍ	أَعْتَقَهَا وَإِلَهُ حِينَ انْقَلَبَ
هَلْكَاءُ رُئِي نَوْمًا بِشَرِّ حَيَّةٍ	لَكِنْ سُقِيَ بِعَتَقِهِ تُوبَةَ

مات والد المصطفى وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين، وقيل: ثمانية وعشرين وللمصطفى سنتان وأربع أشهر، وقيل: كان عمره أقل من ذلك، فقيل: ابن سبعة أشهر، وقيل: ابن شهرين، وقيل: في المهد، قال السهيلي والدولابي: وعليه الأكثر بل صح عند الحاكم في مستدركه أنه كان حملًا^(٣). وأرضعته ثوية بضم المثناة مع عمه حمزة

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٢٦).

(٢) انظر: جوامع السير (ص ٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٦).

وأبي سلمة عبد الله المخزومي زوج أم سلمة، وثوية منسوبة إلى أبي هب أي كانت رقيقة لأبي هب وأعتقها لما بشرته بولادته، وقد عدّها ابن منده في الصحابة^(١)، ونوزع بأنه لم ير لغيره.

ولمّا مات أبو هب رثي في المنام بشر حبيّة أي حالة لكنه سقي في جهنم في مثل النقرة وهي ما بين السبابة والإجماع جزاء بعثته ثوية لما بشرته بولادة المصطفى^(٢) وهو معنى قول الناظم: (وإنه) إلخ، فقلوه: وإنه بكسر الهمزة لأنها بعد واو الحال.

وقوله: (حين انقلب) أي: انتقل إلى الله، و(هلكاً) بضم الهاء مصدر من الهلاك الموت، و(رثي) مبني للمفعول، و(نوما) أي في المنام، و(بشر حبيّة) بكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وباء موحدة أي في شر حالة، والرثي له العباس أو غيره، و(سقي) بالبناء للمجهول، وهذا الماء الذي يسقاه ليس ماء الجنة لحمة شرها على الكافر.

وبعدّها حليلة السعدية فَظَفَرَتْ بِالذُّرَةِ السَّيِّئَةِ
نَالَتْ بِهِ خَيْرًا وَأَيَّ خَيْرٍ مِنْ سَعَةِ وَرْغَدٍ وَمَقْبَرٍ
أَقَامَ فِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ عِنْدَهَا أَرْبَعَةَ الْأَعْوَامِ تَحْنِي سَعْدَهَا
وأرضعته بعد ثوية حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية نسبة إلى جدّها سعد بن بكر ففاضت حين أرضعته بالدرّة السنية أي المضئفة المرتفعة القيمة، شبهه بها لإشراق لونه وضياء جسمه وعلو منصبه، وقد جاء في وصفه أنه أزهَر اللون في صفاء الفضّة كما سيأتي، فنالت برضاعته خيراً كثيراً وأَيَّ خَيْرٍ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ وَرْغَدِ الْعَيْشِ وَكَثْرَةِ الْمَيِّرَةِ، روى ذلك ابن حبان والحاكم في قصة رضاعه عليه السلام بإسنادهما إلى حليلة في حديث طويل، وفيه من العلامات كثرة اللبن في ثديها، ووجود اللبن في شاربها بعد الهزال الشديد وسرعة مشي حمارها، وكثرة الدر في شياهاها وخصب أرضها وغير ذلك. وأقام في بلاد سعد بن بكر عند حليلة أربعة أعوام على الصحيح تحني سعدها أي عزاها وشرفها وتعرف من الله بالخير والبركة.

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر - رحمه الله - (٢٥٧/٤).

(٢) وهذه الرؤيا المنامية لا يُعْمَلُ عليها، ولا يصح أن تكون معارضة لصريح الأدلة الثقلية من أن العذاب لا يخفف عن الكافرين. ويكفي أن أبا هب نزلت فيه سورة تبشره بأن له ناراً ذات لهب خالداً فيها أبداً، بسبب عداوته الشديدة لله ورسوله، ومحاربه لدين الله ﷻ!!

وقول الناظم: (وأي خير) بنصب أي المشددة المضافة لخير النكرة وهي الدالة على معنى الكمال، فالعنى هنا نالت حليلة به كمال الخير. وقوله: (سعة) بفتح السين، و(رغد) بفتح الغين المعجمة، والرغد العيش الهنيء، والميرة الطعام الذي يجلب من البدو إلى الحضر، والعام الحول والنسبة إليه على لفظه، ولم يفرق العوام بين السنة والعام بل جعلوهما بمعنى، قال ابن الجواليقي: (وهو غلط بل السنة من أي وقت عدده إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفاً وفي التهذيب نحوه):

وَحِينَ شَقَّ صَدْرَهُ جَبْرِيلُ	خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَّثًا يَأْوُلُ
رَدَّتُهُ سَالِمًا إِلَى أَمْنَةٍ	وَخَرَجَتْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
تَزَوَّرُ أَخْوَالًا لَهُ فَمَرَضَتْ	رَاجِعَةً فَقَبِضَتْ وَدُفِنَتْ
هَنَّاكَ بِالْأَبْوَاءِ وَهُوَ عَمْرٌ	سِتُّ سَنِينَ مَعَ شَيْءٍ يَقْدَرُهُ
ضَابِطُهُ بِمِائَةِ أَيَّامًا	وَقِيلَ بَلْ أَرْبَعَةٌ أَعْوَامًا

أي ولما أقام في بني سعد أربع سنين جاء جبريل وميكائيل وعليهما ثياب بيض فأخذهما وأضجعهما وشق جبريل صدره الشريف واستخرج قلبه فشقه وأخرج منه علة سوداء فطرحها ثم غسله بثلج حتى أنقاه والتأم كما كان، قال السبكي: (وتلك العلة خلقت في قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فبإزالتها من قلبه لم يبق فيه محل قابل لإلقاء الشيطان).

فلما علمت حليلة بشق صدره خافت أن يكون ذلك حدثاً يؤول إلى شيء يُصاب به فأعادته إلى أمه سالماً، ولما بلغ ست سنين خرجت به أمه ومعها أم أيمن المدعوة بركة إلى المدينة الشريفة تزور به أخواله من بني النجار فأقامت به عندهم شهراً ثم رجعت فمرضت في الطريق فماتت حال كونها راجعة به إلى مكة ودفنت بالأبواء بفتح فسكون ومد موضع معروف بين الحرمين وهو إلى المدينة أقرب وعمره حينئذ ست سنين ومائة يوم، وقيل: كان عمره سبع سنين، وقيل: ثمان، وقيل: أربع، وهذا معنى قول الناظم: (وهو عمره ست سنين) إلى آخره.

وقوله: (مع شيء) أي: من الأيام زائد عليها، وقوله: (يقدره) بفتح الياء وسكون القاف وضم الدال، وقوله: (ضابطه بمائة أياماً) أي: وهذا القدر ضبط بمائة من الأيام.

وَحِينَ مَاتَتْ حَمَلَتُهُ بِرُكَّةٍ لَجَدَهُ بِمَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ
كَفَّلَهُ إِلَى تَمَامِ عُمرِهِ ثَمَانِيًا ثُمَّ مَضَى لِقَبْرِهِ
لَمَّا دَفِنَتْ أُمُّهُ رَجَعَتْ بِهِ أُمُّ أَيْمَنَ بِرُكَّةٍ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بِمَكَّةَ فَكَفَّلَهُ إِلَى أَنْ صَارَ
عمره ثَمَانِيًا سَنِينَ، ثُمَّ هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عَنْ سِنٍ عَالِيَةٍ مُخْتَلَفٍ فِي قَدَرِهَا، وَمَضَى بِهِ أَهْلُهُ
إِلَى قَبْرِهِ فَدَفَنُوهُ، وَلَمَّا احْتَضَرَ وَكَانَ ضَبْنًا بِهِ ضَمَّهُ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَكَّدَ الْوَصِيَّةَ بِهِ.



باب ذكر كفالة أبي طالب له ومتعلقات ذلك

والكفالة القيام بامر الطفل وتربيته

أَوْصَى بِهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِلَى أَبِي طَالِبِ الْحَامِي الْحَدْبِ
يَكْفُلُهُ بَعْدَ فَكَانَتْ نَشْأَتُهُ طَاهِرَةً مَأْمُونَةً غَائِلَةً
لَمَّا احْتَضَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ أَوْصَى بِالْمُصْطَفَى إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لِأَنَّهُ كَانَ شَقِيقَ أَبِيهِ،
فَصَارَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الْحَامِي لَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَالْحَدْبُ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ الْمَهْمَلَتَيْنِ أَيْ
الْشَفُوقِ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعِشِيَ أَوْلَادَهُ يَقُولُ: (مَكَانَكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنِي
مُحَمَّدٌ)، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ فَقِيرًا فَأَثَرِي وَكَثُرَ مَالُهُ بِبِرَّةِ كِفَالَتِهِ لِلْمُصْطَفَى.
وَكَانَتْ نَشْأَتُهُ طَاهِرَةً مَطْهُرَةً مِنْ دَنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ وَجَمِيعِ الْعُيُوبِ وَالْأَخْلَاقِ
الرَّدِيَّةِ وَالنَّقَائِصِ الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنُوبَةِ، مَأْمُونَةً غَائِلَةً أَيْ: خَدِيعَتَهُ وَمَكْرَهُ. وَقَوْلُ
النَّاظِمِ: (يَكْفُلُهُ بَعْدَ) بِالضَّمِّ لِحَذْفِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ أَيْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: (طَاهِرَةً) بِالنَّصْبِ
خَيْرٌ كَانَ.

وَكَانَ يُدْعَى بِالْأَمِينِ وَرَحَلَ
بُصْرَى رَأَى مِنْهُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ
مُحَمَّدَ نَبِيٍّ هَذَا الْأَمَّةِ
مَنْ أَنْ يَرَى بَعْضُ الْيَهُودِ أَمْرَةً
مَعَ عَمِّهِ لِلشَّامِ حَتَّى إِذْ وَصَلَ
مَا دَلَّ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَاقِبُ
فَرَدُّهُ تَخَوُّفًا مِنْ ثَمَّةَ
وَعُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثَا عَشْرَةَ
كَانَ الْمُصْطَفَى يُدْعَى فِي قَوْمِهِ بِالْأَمِينِ لَمَّا شَاهَدُوا مِنْ أَمَانَتِهِ وَصَدَقَ حَدِيثُهُ، وَلَمَّا

بلغ من العمر اثنتي عشرة في قول ابن سعد^(١)، وثلاث عشرة في قول ابن عبد البر، وتسع سنين في قول الماوردي، رحل عليه السلام مع عمه أبي طالب في ركب إلى الشام في تجارة فسار حتى وصل إلى بصرى وكان بها راهب يُسمى بجيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وزيادة ألف بعد الراء، وكان قد انتهى إليه علم النصرانية، فتأمله فرأى من آياته ما دل على أنه النبي العاقب الهادي نبي هذه الأمة وذلك لأنه رأى غمامة تُظله من بين القوم وهو راكب، فلما نزل تحت شجرة تهصرت^(٢) أغصانها عليه حتى أظلتها، فصنع بجيرا للقوم طعاماً وأضافهم وقال لعمه أبي طالب: (ارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود أن يروا بعض صفاته فيعرفوا أنه النبي المبعوث من العرب فرموا تحيلاً على اغتiale فإنه كائن له شأن عظيم) فرده عمه، (من ثم) بفتح الثاء وشدة الميم وهاء السكت أي من هناك خوفاً عليه، فأسرع به إلى مكة.

وما في جامع الترمذي^(٣) من أن عمه والصديق بعثا معه بلالاً وزودهما بجيرا كعكاً وزيتاً، فقالوا: إنه متن منكر؛ لأن بلالاً لم يكن لأبي بكر حينئذ ولأن أبا بكر كان سنه إذ ذاك دون العشر فإنه أصغر سناً من المصطفى والمصطفى كان سنه إذ ذاك اثني عشرة على ما تقدم.

والراهب عابد النصارى^(٤) من رهبان خاف فهو راهب من الله، والله مرهوب والأصل مرهوب عقابه، والجمع رهبان، وترهب الراهب انقطع للعبادة.

ثُمَّ مَضَى لِلشَّامِ مَعَ مِيسِرَةٍ فِي مَتَجَرِّ السَّامِ مِنْ خَدِيجَةٍ مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِ بِهَا فَبَلِغَا بُصْرَى فَبَاغَ وَتَقَاصَا مَا بَعَا

ثم لَمَّا بَلَغَ مِنَ الْعَمْرِ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً مَضَى مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى الشَّامِ مَعَ مِيسِرَةٍ غَلَامِ خَدِيجَةٍ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فِي مَتَجَرِّ الْمَالِ الَّذِي يَتَجَرُّ فِيهِ مِنْ مَالِ خَدِيجَةٍ وَذَلِكَ أَنَّ عَمَّهُ قَالَ لَهُ: (أَنَا لَا مَالَ لِي، وَخَدِيجَةٌ تَرْسُلُ مِنْ يَتَجَرُّ لَهَا فَيَصِيبُونَ مَنَافِعَ فَلَوْ جِئْتُهَا لِأَسْرَعْتَ

(١) طبقات ابن سعد (١/٩٧).

(٢) تَهَصَّرَتْ، أي: مالت وانحنت.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٢٠) من حديث أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه.

(٤) ويُطْلَقُ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَتْبَاعِ سَيِّدِنَا عِيسَى عليه السلام وَعَلَى مَنْ بَدَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ.

إليك) فبلغها فأرسلت إليه فقالت: (أعطيك ضعف ما أعطي غيرك لأمانتك) فأجابَ وخرج مع غلامها ميسرة وذلك من قبل تزويجه بها، حتى بلغا بصرى لأربع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل فنزل ظل شجرة بقرب صومعة راهب يسمى نسطورا فاطلع فقال لميسرة: (من هذا؟) قال: رجلٌ من قريش، فقال: (ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي)، فوعاها ميسرة^(١)؛ ثم حضرا سوق بصرى فباع النبي المتاع وتقاضى أي طالب بثمانه وقبضه واشترى ما بغى بموحدة أي طلب، يُقال: بغيته أبغيه طلبته، والاسم البُغاء وزان غراب.

وقد رأى ميسرة العجائباً منه وما خصَّ به مواهباً
وحدثت السيدة الجليلة خديجة الكبرى فأحصت قيلةً
ورغبت فخطبتُ مُحَمَّدًا فَيَا لها من خطبة ما أسعدا
وكانَ إذْ زوجها ابنَ خمس من بعد عشرين بغير لئس
ثم لَمَّا باعَ النَّبِيُّ واشترى رجع وقد رأى ميسرة منه العجائب الكثيرة منها: أنه اختلف مع رجل في بيع سلعة فقال له الرجل: أتخلفُ باللات والعزى، قال: ما حلفتُ بما قط ولا أفعل، فعاد الرجل وصدقه، ورأى ميسرة أيضاً ما خص به من الآيات وذلك كله مواهب من الله لا بطريق الكسب ولا من جهة الاستعداد، ومن ذلك أن الغمامة كانت تظله فحدثت ميسرة السيدة الجليلة خديجة الكبرى، وفي نسخة: (الفضلى) -بضم الفاء- كالحبلى، بقول ذاك الراهب وبما أبصره من الخوارق والعجائب التي من تبشير النبوة وآياتها (فأحصت) أي ضبطت خديجة قيله -بكسر القاف وسكون التحتية- أي قول ميسرة، ثم رأت ربح التجارة ضعف ما كان يربحه غيره فرغبت في نكاحه فخطبته (فيا لها من خطبة) بكسر الخاء ما أسعدا وأبركها، فزوجها منه أبوها، وقيل: إنه كان قد مات وإِذَا زوجها منه عمها، وقيل: أخوها، (وكانَ إذْ) أي: حين زوجها بالبناء للمفعول ابن خمس وعشرين سنة، (بغير لبس) أي: شك واشتباه أي بالنسبة للسنين الكاملة، أما الشهور فكان بعدها شهران وعشرة أيام من يوم الفيل على ما ذكره ابن عبد البر.

ونفي الناظم الشك في ذلك يوهم أنه لا خلاف فيه والأمر بخلافه بل وراء ذلك

أقوال آخر فقيل: كان سنّه يومئذ ثلاثين سنة، وقيل: إحدى وعشرين وعليه الزهري، نعم ما جرى عليه الناظم هو الأصح.

وكان عمرها هي نحو أربعين سنة، وتزوجت برجلين قبله، وأتت بولدين، وألف (العجائب) و(مواهب) للإطلاق، و(زوجها) مبني للمجهول، وقوله: (ابن) بالنصب خبر كان، ولام لبس بالفتح بضبط الناظم، والرؤية معاينة الشيء بحاسة البصر، والرغبة إرادة الشيء والحرص على تحصيله، والخطبة بكسر الحاء اسم من خطب إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم.



باب قصة بناء الكعبة الشريفة

أي البيت الحرام وسمي بذلك لتكعبه أي ترعّبه، والقصة بكسر القاف الشأن والأمر، يُقال: ما قصتك؟ أي ما شأنك، والجمع قصص كسدره وسدر.

وَإِذْ بَنَتْ قَرِيشُ الْبَيْتَ اخْتَلَفَ مَلَأُوهُمْ تَنَازَعًا حَتَّى وَقَفَ
أَمْرُهُمْ فِيمَنْ يَكُونُ يَضَعُ الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ حَيْثُ يُوضَعُ
إِذْ جَاءَ قَالُوا كُلُّهُمْ رَضِينَا لَوْضَعَهُ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ
فَحُطُّ فِي ثَوْبٍ وَقَالَ يَرْفَعُ كُلُّ قَبِيلٍ طَرَفًا فَرَفَعُوا
ثُمَّ أَودَعَ الْأَمِينُ الْحَجْرَ مَكَانَهُ وَقَدْ رَضُوا بِمَا جَرَى

لَمَّا اجتمعت قريش لبناء الكعبة خشية أن يهدمها السيل بين كل فرقة جانباً فلَمَّا وصلوا إلى محل الحجر الأسود اختلف ملأؤهم أي أشرافهم فِيمَنْ يضع الحجر موضعه فكل قبيلة تريد رفعه دون الأخرى، وتنازعوا تنازعاً كثيراً حتى وقف أمرهم أي في ذلك الشأن، واستمروا على ذلك نحو خمس ليال وأعدوا للقتال وتعاهدوا على الموت فقال أسنهم أبو أمية بن المغيرة: حَكِّمُوا فيما بينكم أول داخل إلى المسجد ففعلوا فكان أول داخل رسول الله، فقالوا: (هذا الأمين رضيانا به)، فحكم بينهم فقال: (هلم ثوباً)، فأتوه به فحط أي: وضع الحجر الأسود فيه ثم قال: (لترفع كل قبيلة منكم طرفاً) فرفعوه جميعاً ثم لَمَّا بلغوا به محله أخذه بيده فوضعه مكانه وبني عليه، فرضوا كلهم بما جرى من حكمه بذلك، وكان ذلك يوم الاثنين عام خمس وثلاثين من مولده الشريف.

وقوله: (فحط) بالبناء للمفعول بضبط الناظم أي: وضع، والواضع له المصطفى.

وقوله: (ثم) بزيادة تاء التأنيث على ثَمَّ العاطفة، قال السيوطي: وكان ارتفاع الكعبة تسعة أذرع وهي بلا سقف فزادها قريش تسعة، ورفعوا بابها عن الأرض بحيث لا يصعد إليها إلا بدرج، وزادها ابن الزبير تسعة فصارت سبعاً وعشرين وألصق بابها بالأرض وجعل لها باباً من ورائها وأدخل الحجر فيها، ووقع بناؤها خمس مرات الأولى بناء شيث، الثانية إبراهيم، الثالثة قريش، الرابعة ابن الزبير حين احترقت بشرارة طارت من أبي قبيس فهدمها حتى انتهى إلى قواعد إبراهيم فرأوا ناراً وأهوالاً أفرعتهم فأمرهم أن يقرؤا القواعد وأن ينووا من ثَمَّ، الخامسة عبد الملك بن مروان وذلك أنه لما قدم مكة قال: لسنا من تخليط أبي خبيب في شيء فهدمها وردّها إلى ما كانت عليه في عهد المصطفى فلما فرغ حدثه بحديث عائشة الصحيح: «لولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية»^(١) الحديث فندم، ولما حج الرشيد سأل مالكاً عن هدمها وردّها إلى بناء ابن الزبير للخبر المذكور فقال مالك: (أنشدك الله يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك فتذهب هيئته من القلوب) فأمسك، فهذا ما كان من بناء الكعبة وما نقل عن جرهم إنما كان إصلاحاً.



باب كيف كان بدء الوحي

أي الإرسال إليه ﷺ، وأول ما بُدئ به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح واضحة، وحُبب إليه الخلاء والانفراد عن الناس. والوحي أصله إلقاء المعنى في النفس في خفاء ثم قيل للكلام الإلهي الذي يلقي إلى الأنبياء وحي وذلك إما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه، وإما بسماع كلام بغير معاناة، وإما بإلقاء في الرُوع.

حتى إذا بلغ الرسول وهو بغار بحراء مُختَلِي في يوم الاثنين وكان قد خلت وقيل في سابع عشري رجب قال له اقرأ وهو في المار ففطمه ثلاثة حتى بلغ الأربعين جاءه جبريل فجاءه بالوحي من عند العلي من شهر مولد ثمان أن ثبت وقيل بل في رمضان الطيب يُجيبُ نطقاً ما أنا بقاري الجهد فاشتدّ لذاك وانصغ

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

لَمَّا بَلَغَ سَنَ الْمُصْطَفَى أَرْبَعِينَ سَنَةً تَحْدِيدًا أَوْ يَوْمًا، أَوْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، أَوْ وَعِشْرِينَ، أَوْ وَأَرْبَعِينَ، أَوْ وَسْتِينَ يَوْمًا، أَوْ وَنِصْفَ سَنَةٍ، أَوْ إِلَّا نِصْفَهَا، أَوْ تِسْعًا وَثَلَاثِينَ، أَوْ ثَنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ عَامًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، أَتَاهُ جَبْرِيلُ الطَّيِّبُ وَهُوَ مُخْتَلٍ بِغَارِ حِرَاءَ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ وَيَجُوزُ صَرْفُهُ وَعَدْمُهُ جَبَلٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ أَوَّلُ مَوْضِعٍ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْلُو فِيهِ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْرًا يَتَحَنَّتْ أَيْ: يَتَعَبَّدُ فِيهِ وَيُطْعَمُ مِنْ جَاءَةِ مِنَ الْفُقَرَاءِ، فَإِذَا قَضَى جَوَارَهُ يُفَيْضُ فَيَطُوفُ ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى بَيْتِهِ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِكْرَامَهُ بِالْإِسْرَاءِ جَاءَهُ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَلِيِّ شَأْنَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْخَيْرِ مُسْلِمًا: «وَأَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهِ»^(١).

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّبِّ: وَكَانَ قَدْ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَهُوَ شَهْرُ مَوْلَدِهِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْذُ الْفِيلِ، وَاعْتَرَضَهُ النَّازِظُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتِمُّ إِنْ ثَبِتَ بِتَوْقِيفٍ صَحِيحٍ وَأَنْ بِهِ، وَقِيلَ: أَوَّلُ رَبِيعٍ، وَقِيلَ: فِي سَابِعِ عَشْرِي رَجَبٍ، وَقِيلَ: بَلْ فِي رَمَضَانَ الطَّيِّبِ ذَكَرَهُ الْعَطَرُ غَيْرُهُ وَنَشَرَهُ الْعَظِيمَةُ بِرُكْنِهِ وَسَرَّهُ سَابِعُ عَشْرَةَ أَوْ ثَامِنُ عَشْرَةَ أَوْ تَاسِعُ عَشْرَةَ.

وَقَالَ ابْنُ الشَّحْنَةِ: وَكَوْنُهُ فِي رَمَضَانَ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: أَقْرَأْ، وَكَرَّرَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَهُوَ فِي الْمَرَارِ الثَّلَاثِ يُجِيبُ جَبْرِيلَ نَظْفًا بِاللِّسَانِ بِقَوْلِهِ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» أَيْ: مَا أَحْسَنُ الْقِرَاءَةَ، فَغَطَّه أَيْ: عَصَرَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنْهَا يَقُولُ لَهُ: أَقْرَأْ، فَيَقُولُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ، أَيْ: بَلَغَ الْغَطُّ مِنْهُ غَايَةَ الْوَسْعِ، فَاشْتَدَّ أَيْ قَوِيَ وَصَلَبَ جِسْمُهُ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَانْصَبَغَ أَيْ: اكْتَسَى جِلْدًا وَقُوَّةً عَلَى مُخَالَطَةِ الرُّوحَانِيَّاتِ بِالضَّمِّ وَيَجُوزُ الْفَتْحُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الرُّوحِ أَوْ الرُّوحِ مِنْهَا شَبَّهَ بِالثَّوْبِ الْمَصْبُوغِ.

وَمَا فِي قَوْلِ النَّازِظِ: (مَا بَلَغَ) زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَ(الْمَرَارِ) بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَالبَاءُ فِي (بِقَارِئٍ) مُزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ النَّفْيِ، وَغَطَّه -بَعَيْنٍ مُعْجَمَةً وَطَاءَ مُشَدَّدَةً-، وَ(الْجَهْدُ) -بِالنَّصْبِ وَفَتْحِ الْجِيمِ-.

تَنْبِيْهِه: قَالَ فِي سَفَرِ السَّعَادَةِ فِي سِيَاقِ هَذَا الْبَابِ: كَانَ الْمُصْطَفَى فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ بَعِيدًا جَدًّا مِنَ الْمُخَالَطَاتِ حَتَّى مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْعِيَالِ بِالْكَلِيَّةِ، وَاسْتَفْرَقَ فِي بَحْرِ الْأَذْكَارِ الْقَلْبِيَّةِ فَانْقَطَعَ عَنِ الْأَصْدَادِ فَاسْتَشْعَرَ حُصُولَ الْمَرَادِ وَظَهَرَ لَهُ الْأَنْسُ وَالْخُلُوةُ فَغَدَرَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْجُلُوءَ، وَلَمْ يَزَلْ فِي فَلَكَ الْأَنْسِ وَمِرَاءَةِ الْوَحْيِ تَرْدَادٍ مِنَ الصَّفَاءِ وَالصَّقَالِ حَتَّى

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١١٦٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بلغ من درجات الكمال ما بلغ فظهرت بشائر صبح الوحي، وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وتألقت فكان لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال بلسان فصيح ونطق صحيح: (السلام عليك يا رسول الله) فينظر يميناً وشمالاً ولا يرى شيئاً، فينما هو ذات يوم قائماً على جبل حراء ظهر له شخص بين السماء والأرض، وقال: (أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله إلى هذه الأمة)، ثم أخرج له قطعة غمط مرصعة ببجوهر ووضعها في يده وقال: يا محمد اقرأ، فقال: «ما أنا بقارئ ولا أرى في هذه الرسالة كتابة»، فغضه وغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أطلقه وقال: اقرأ، فقال: «لست بقارئ»، فعل ذلك ثلاثاً، ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، ثم نزل عن الجبل إلى قرار الأرض فأجلسه على دُرُنُوك^(١) أبيض وعليه ثوبان أخضران ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وأمر النبي أن يفعل كفعله، فلَمَّا تم وضوؤه أخذ جبريل كفاً من ماء فرش به وجه رسول الله ثم قام فصلى ركعتين والرسول مقتد به ثم قال: الصلاة هكذا، وغاب عنه؛ فجاء الرسول إلى مكة وقص على خديجة القصة ففعلت ما سيأتي ذكره.

أَقْرَأَهُ جَبْرِيلُ أَوَّلَ الْعَلَقِ قَرَأَهُ كَمَا لَهُ بِهَا نَطَقٌ
وَكُونُ ذَا الْأَوَّلِ فَهُوَ الْأَشْهُرُ وَقِيلَ بَلْ يَأْتِيهَا الْمُدْثَرُ
وَقِيلَ بَلْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَالْأَوَّلُ الْأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ

روى الشيخان^(٢): «أول ما نزل به جبريل وأقرأه إياه سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، فأقرأه قراءة حصل بها كماله حين نطق أي بالمقروء، ثم حفر جبريل بعقبه فنبع ماء فتوضأ وعلمه الوضوء وصلى ركعتين. روى أحمد والدارقطني والحاكم مرفوعاً أنه ﷺ قال: «أتاني جبرائيل في أول ما أوحى إليّ فعلمني الوضوء والصلاة فلَمَّا فرغ أخذ غرفة بها من الماء فنضح فرجها»^(٣)، وكون هذا هو الأول مما أنزل من القرآن هو القول الأشهر الذي عليه الأكثر، وحكمة خصوص هذه الآيات بالأولية تضمنها أطوار آدمي من الخلق والتعليم والإفهام فناسب تقديمه رعاية التلقسم الطبيعي.

(١) الدرونوك: ضرب من الثياب أو البسط له حمل قصير كخمل المناديل. انظر: لسان العرب (٤٢٣/١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٠٢٦) من حديث زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وقيل: بل أول ما نزل سورة المدثر، روي من حديث جابر مرفوعاً: «جاءت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن يساري فلم أر شيئاً فنظرت من خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك بين السماء والأرض قائمٌ تخديجة فقلت: دثروني دثروني، فصبوا علي ماءً بارداً فنزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]»^(١) رواه مسلم.

وقيل: أول ما نزل الفاتحة، روى البيهقي^(٢) مرسلًا «أن خديجة قالت لأبي بكر: يا عتيق اذهب بمحمد إلى ورقة فذهب به فقال له: «إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا مُحَمَّد، فأنتقل»، فقال: لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ثم اتني فأخبرني، فلما ناداه ثبت فقال له: قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها، قل لا إله إلا الله، فأتى ورقة فأخبره، فقال: أبشر فإنني أشهد بأنك الذي بشر به ابن مريم، وأنت على مثل ناموس موسى وعيسى وأنت نبي مرسل، وأنت تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركت ذلك لأجاهدن معك. انتهى

قالوا: وفيه غرابة والأول أقرب إلى الصواب بل قال النووي^(٣): القول بأن أول ما نزل المدثر باطل.

جَاءَ إِلَى خَدِيجَةَ الْأَمِينَةِ يَشْكُو لَهَا مَا قَدْ رَأَى مِنْهُ
فَنَبَّيْتُهُ إِنَّهَا مَوْفَّقَةٌ أَوَّلُ مَنْ قَدْ آمَنَتْ مُصَدِّقَةٌ
ولمَّا أقرأه جبريل ما ذكر جاء إلى زوجته خديجة بنت خويلد الأمانة على وحي الله وأمر رسوله لأنّها كانت صاحبة سره لأمانتها وصدقها، فشكا إليها ما قد رآه من نزول الملك عليه وغطه إيّاه بشدة وما قاله له في حينه ذلك وهو بكسر الحاء زمن بلوغ الشيء وحصوله، والمراد به هنا زمن الغط، وقال لها: «والله لقد خشيت على نفسي»^(٤) فثبتته بأن قالت له: أثبت يا ابن عم وأبشر إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٢) حديث ضعيف: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وقال: هذا منقطع (١٥٨/٢).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢٠٧/٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على النوائب، وفي رواية^(١) أنّها قالت له: أتستطيع أن تخبرني بصاحبك؟ فجاءه فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل»، قالت: قم فاجلس على فخذي اليسرى، فجلس فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: تحول فاقعد على فخذي اليمنى، فقعد فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: تحول فاجلس في حجرى ففعل، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: «لا»، قالت: أثبت وأبشر فوالله إنه ملك ما هذا بشيطان. انتهى

وإنّما كانت موفقة بتوفيق الله وهي أول من آمن بالله ورسوله من النساء حالة كونها مصدقة له فيما جاء به، وهذه الأولوية المذكورة في عدة أخبار وصرح بها أهل الآثار.

ثُمَّ أَتَتْ بِهِ تَوْثُماً وَرَقَةً قَصَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى فَصَدَّقَهُ
فَهُوَ الَّذِي آمَنَ بَعْدَ ثَانِيَا وَكَانَ بَرًّا صَادِقًا مَوَاتِيَا
وَالصَادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ إِنَّهُ رَأَى لَهُ تَخَضُّعًا فِي الْجَنَّةِ

ثم إن خديجة أتت به توثم أي تقصد به ورقة بن نوفل ابن عمها وكان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب العبرانية فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقصد عليه ما رآه فصدقه وقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال: «أو مخرجي هم»، قال: نعم لم يأت رجل بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا^(٢)، فورقة هو الذي آمن بعد أي بعد خديجة كما جرى عليه الناظم، فقول الناظم: (بعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه، وقوله: (ثانيًا) أي هو ثاني من آمن به، فقد ورد في رواية أنه قال: "أشهد إنك الذي بشر به ابن مريم وإنك نبي مرسل" كما مر.

وقوله: (وكان برًّا) بفتح الموحدة أي: طائعًا لله، وقوله: (صادقًا) أي: مصدقًا لما أخبر به، وقوله: (مواتيًا) أي: مترفعًا متطلفًا، وقد أخبر الصادق المصدوق رسول الله ﷺ أنّه رأى له تخضعًا أي تحركًا واضطرابًا في الجنة حين اطلع عليها، وورد في حديث النهي

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٥١/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

عن سبه، وفي آخر أنه رأى له في الجنة درجتين^(١)، وفي آخر أنه رآه فيها وعليه لباسٌ أخضر، وقد قرن ابن كثير له بين الترحم والترضي وجزم بإسلامه، قال ابن الشحنة: وهو الراجح عند جهابذة أئمة الأثر. انتهى

وقد مرَّ ما يعلم منه أن المصطفى كان يرى أولاً في النوم ثم صار يسمع الصوت والتسليم عليه بالنبوة، وكان لا يرى أحداً، ثم استعلن له جبريل في حراء، ثم ظهر له على صورته بين السماء والأرض وقال له: أنا جبريل وأنت رسول الله، وهذا المقام لا يليق به إيراد أكثر من هذا.

فائدة: ذكر شيخنا الشعراوي أن رجلاً أتاه برأس خروف مشوية فأكلَ جلدها فرأى فيها مكتوباً بخط فوق الحاجبين والأنف لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء من عباده قال: وهذا علم من أعلام النبوة ولو لم يكن دليلٌ على صحة شرع المصطفى إلا هذه الكتابة لكفى.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٦٦/٢) من حديث عائشة -رضي الله عنها-. وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٧٣٢٠) ولفظه: «لا تسبوا ورقة فإني قد رأيت له جنة أو جنتين».

باب ذكر قدر إقامته - عليه السلام - بمكة بعد البعثة

أي الإرسال.

أقام في مكة بعد البعثة ثلاث عشرة بغير مرية
وقيل عشرًا أو فخمس عشره قولان وهنهما بمرّة

أقام رسول الله بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة على الأصح كما أشار إليه الناظم بقوله: (بغير مرية) يعني: هذا هو الأصح بغير شك لخبر البخاري^(١) في كتاب البعث عن ابن عباس بذلك، وقيل عشرًا لخبره أيضًا في المغازي وفصائل القرآن به^(٢)، وقيل خمس عشرة لحديث ابن سعد بذلك^(٣)، وهذان القولان وهنهما أي ضعفهما المحدثون وأهل السير بمرّة^(٤)، كذا قال الناظم وليس بجيد فقد حملا على ما يوافق الأول فجمع بأن القول الأول أراد قائله أنه مكث بها ثلاث عشرة، ثلاثًا نبيًا وعشرًا رسولًا، والثاني: أراد قائله الرسالة فحسب، والثالث: حسب معها الستين اللتين كان يرى فيهما الضوء والنور ويسمع الصوت ويرى الرؤيا فتجيء كفلق الصبح وبذلك يحصل الجمع بين الأقوال ويزول التعارض بلا إشكال، وإذا أمكن تنزيل الكلام على محمل صحيح فالعدول إلى تزييفه من ضيق العطن كما لا يخفى على أهل الفطن.

فكان في صلاته يستقبل بمكة القدس ولكن يجعل البيت من بين يديه أيضًا
وبعد هجرة كذا للقدس عامًا وثلاثًا أو نصف سُدس
وحولت من بعد ذاك القبلة لكعبة الله ونعم الجهة
كان رسول الله يستقبل مدة إقامته بمكة القدس وهو بيت المقدس ومع ذلك لا يستدبر الكعبة بل يجعل البيت الحرام بين يديه تلقاء وجهه أيضًا ويستقبله في كل ما أتى به أي فعله من الصلوات تطوعًا كان أو فرضًا، والقول بأنه كان يجعل الكعبة خلف ظهره رأي مهجور.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٥، ٤٩٧٩) من حديث عائشة، وابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٧٤/١)، وأخرجه مسلم (٢٣٥٣) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

- رضي الله عنهما -.

(٤) انظر: فتح الباري (٢٣٠/٧)، وشرح صحيح مسلم (٩٩/١٥).

وكان بعد هجرته من مكة إلى المدينة كذلك يستقبل في صلاته بيت المقدس لكن لا يتيسر له مع ذلك استقبال الكعبة فكان كذلك يجب أن يستقبل الكعبة فكانت مدة صلاته لبيت المقدس عامًا وثلاثًا أو عامًا وثلاثًا ونصف سلس أيضًا يعني ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا كذا هو في البخاري^(١) على الشك.

ورجح الأول بوروده في صحيح أبي عوانة وغيره^(٢) بغير شك، ثم حولت بعد ذلك القبلة إلى الكعبة في الركوع الثاني من ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان فاستدار إلى الكعبة حال الركوع واستدارت الصفوف خلفه فصلى بهم بمسجد القبلتين ركعتين للقدس وركعتين للكعبة.

وقول الناظم: (ونعم الجهة) برفع التاء لأنها ساكنة، أي: نعم جهة الكعبة؛ لأنها قبلة إبراهيم والأنبياء على الأصح.



باب ذكر السابقين للإسلام

أي الذين دخلوا في هذا الدين في ابتداء الدعوة.

مِنَ الرِّجَالِ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ قَالَ بِهِ حَسَانٌ فِي الْقَصِيدَةِ
وَعِدَّةٌ مِنَ الصَّخَابَةِ الْأَلْسَى وَقَوُوا وَتَابِعُوهُمْ مِمَّنْ تَلَى

اختلف في أول من أسلم وأقرب ما قيل فيه إن الأول من الرجال البالغين الأحرار الصديق الأكبر عتيق هو عبد الله بن أبي قحافة بن عامر كما قال بذلك حسان بن ثابت الأنصاري في قصيدته بقوله:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ثَقِةٍ فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
وَالثَّانِي الثَّانِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرَّسُلَا

ولمَّا أسلم أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله من وثق به من قومه ومن يغشاه وكان المصطفى يقول: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبرة إلا ما

(١) انظر: صحيح البخاري (٤١) وغير موضع، ومسلم (٥٢٥).

(٢) انظر: فتح الباري (١/٩٦).

كان من أبي بكر ما عكم^(١) بالتحريك أي: ما تحبس ولا انتظر ولا عدل عنه حين ذكرته له. ثم تابع الناس في الدخول في الإسلام أرسلًا فأسلم بعده عدة من الأكابر الأولين الذين وفوا أي: عملوا بما دعاهم إليه أبو بكر من الإيمان بالله ورسوله منهم عثمان وغيره ممن يأتي، وأسلم بإسلامهم أتباعهم وهو مراد الناظم بقوله: (تابعوهم) وهو بكسر الموحدة بعد الألف.

وقوله: (الألى) بضم الهمزة المقصورة أي: الأولين، وقوله: (وفوا) بالتشديد بضبطه، وقوله: (من تلى) أي: ممن تبع أبا بكر في الإسلام وكان إسلام أبي بكر أعظمهم غناءً ونفعًا للإسلام فإنه كان صدرًا رئيسًا في قريش ذا مال سخيا يبذله في نصره الدين داعيًا إليه من قدر عليه.

خديجة اذكر أول النسوان
وعمره ثمان أو عشرة
عليه اعد أول الصبيان
أو ست أو خمس وقيل أكثر
من الموالى زيد بن حارثة
كان مجالسًا له

أي: اذكر خديجة بنت خويلد زوجة المصطفى في أول من أسلم من النسوان الكاملين الأحرار على ما تقرر فيما سلف، واعد علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج البتول أمير المؤمنين أول من أسلم من الصبيان وعمره إذ ذاك ثمان أو ست أو سبع سنين، وقيل: كان عمره أكثر من ذلك فقيل ثني عشرة، وقيل: خمس عشرة، قال ابن عبد البر، وغيره: وهو أول من أسلم مطلقًا.

وأما أول من أسلم من الموالى فزيد بن حارثة سبي في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام ووهبه لعمته خديجة ثم وهبته لخديجة لرسول الله فأسلم فلما بلغ أباه وعمه مكانه أتيا رسول الله فقالا: يا ابن عبد المطلب يا سيد قومه جئناك في ولدنا فامن علينا فإننا ندفع لك الفداء قال: «وما ذاك»، قالوا: زيد بن حارثة، قال: «أو غير ذلك، ادعوه فخيروه فإن اختاركم فلکم وإلا فما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء»، قالوا: زدنا على النصف أي: العدل، فداء فقال: «أتعرفهما»، قال: أبي وعمي، قال -أي الرسول-: «أنا من علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو هما» فقال: ما أختار عليك أحدًا أنت مني

مكان الأب والعم، قالوا: أختار العبودية على الحرية، قال: رأيتُ من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختارُ عليه أحداً، فلمّا رأى ذلك المصطفى أخرجهُ إلى الحجر، وقال: «أشهدوا أنه ابني أُرثه ويرثني»، فصار يُدعى بابن محمد حتى نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^(١) [الأحزاب: د]، وكان مُحالساً محادّثاً ملازماً له لا ينفكُ عنه.

عثمانُ والزبير وابنُ عوفٍ	طلحةٌ سعدٌ أمّونا مِنْ خَوْفِ
إذ آمنوا بدعوة الصديق	كذا ابنُ مظعونِ بذا الطريقِ
ثم أبو عبيدة والأرقمُ	كذا أبو سلمة المكرمُ
وابنُ سعيد خالداً قد أسلماً	وقيلَ بل قبلَهُم تقدّماً
كذا ابنُ زيد أي سعيد لا مراً	وزوجهُ فاطمةُ أختُ عمّرا
كذلك عبدُ الله مع قدّامة	هم المظعون سعيذاً الهامة
وحاطبٌ حطّابُ ابنا الحارث	أسماء عائشٌ وهي غيرُ طامث
كذا ابنُ إسحاقٍ بذاك انفرادا	ولم تكن عائشٌ ممن وُلدا

ذكر الناظم من أسلم من السابقين الأولين سبعة وخمسين إنساناً ما بين رجل وامرأة أحدهم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أمير المؤمنين ذو النورين هاجر المحجرتين وتزوج الابنتين رقية وأم كلثوم قتل شهيداً بداره يوم الجمعة سنة خمس وثلاثين عن نيف وثمانين سنة.

الثاني: الزبير بن العوام بشدة الواو القرشي الأسدي حواري رسول الله وابن عمته، أسلم وعمره خمس عشرة أو اثنتا عشرة أو ثمان أو ست وهاجر المحجرتين، وهو أول من شهر سيفاً في سبيل الله عذبه عمه بالدخان ليترك الإسلام فلم يفعل.

الثالث: عبد الرحمن بن عوف من بني زهرة يلتقي مع رسول الله في كلاب بن مرة وهو أحد العشرة المبشرة ومن الستة أصحاب الشورى، شهد المشاهد كلها.

الرابع: طلحة بن عبيد الله يجتمع مع المصطفى في مرة وهو أحد العشرة المبشرة والستة أصحاب الشورى، وتوفي رسول الله وهو عنه راض وسماه طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود، وهو من الأعلام الشاخصين والشجعان المشهورين وأبلى يوم أحد

(١) انظر القصة في: السيرة النبوية لابن هشام (٢٤٧/١).

بلاء عظيمًا، وكان الصديق إذا ذكر أحدًا قال: «ذلك اليوم كله كان لطلحة»، وقى المصطفى بمهجته وشلت يده بسببه، قتل يومَ الجمل سنةً ست وثلاثين وهو ابن أربع وسبعين سنة رماه مروان بن الحكم بسهم قطع رجله فنزف حتى مات.

الخامس: سعد بن أبي وقاص بفتح الواو وشدة القاف من الوقص الكسر مالك بن وهيب الزهري يلتقي مع المصطفى في كلاب، أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة، وهو أحد العشرة والستة، أسلم بعد أربعة أو ستة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهاجر إلى المدينة قبل المصطفى، وشهد المشاهد كلها، وكان محاب الدعوة.

وقال له المصطفى يوم أحد: «إرم فداك أبي وأمي»^(١) فما جمع أبويه لأحد إلا له، وكما احتضر دعا بجبة صوف فقال: (كفوني بها فيني لقيتُ المشركين فيها) مات بالعقيق فحمل إلى المدينة فدفن بالبقيع سنة خمس وخمسين على الأشهر عن بضع وسبعين سنة، وهو آخر العشرة موتًا، وهؤلاء الخمسة قد آمنوا من الخوف حين آمنوا بالله ورسوله بدعوة الصديق؛ لأن قومه كانوا يألّفونه ويأتونه فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه.

فقول الناظم: (أمنوا) بفتح الهمزة وكسر الميم مقصورًا، وقوله: (إذ آمنوا) بالمد وفتح الميم. السادس: عثمان بن مظعون بفتح فسكون، الجُمُحِي بضم الجيم وفتح الميم وكسر المهملة المكّي يجتمع مع المصطفى في كعب بن لؤي، أسلم بعد ثلاثة عشر وهاجر المحرّتين وقبّله المصطفى بعد موته ودموعه تجري على خده وقال يوم ماتت ابنته رقية: «الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون»^(٢). وقوله: (بذا الطريق) أي: أن ابن مظعون أسلم مع السابقين الأولين بهذا الطريق يعني بدعاء الصديق له، وأما قول البعض أراد بذا الطريق الإسلام لقومه أو أشار به لكونه أول من مات من المهاجرين بالمدينة وراح إلى رحمة الله فمناف للسوق كما لا يخفى على أهل النوق.

السابع: أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي أمينُ هذه الأمة وأحد العشرة، يلتقي

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١) من حديث عليّ عليه السلام.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١٢٨) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وضعفه العلامة

الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامع (٢٩٨٩).

مع المصطفى في فھر، شھد بذرًا وما بعدها وأثنى علیہ المصطفی بالأمانة فی غیر ما حدث^(١)، وكان شديكًا فی الإسلام بحیث قتل أباه كافرًا غضبًا لله ورسوله، وثبت مع المصطفى یوم أحد، مات بالشام سنة ثمانی عشرة.

الثامن: الأرقم بن أبی الأرقم المخزومي، أسلم سابع سبعة أو بعد عشرة.

التاسع: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أسلم بعد عشرة، وهو أول من هاجر إلى الحبشة وأخو المصطفى من الرضاع وهو المكرم عنده.

العاشر: خالد بن سعید بن عمرو بن سعید بن العاص بن أمية الأموي أسلم بعد هؤلاء وقيل بل قبلهم، فقيل: ثالثًا، وقيل: رابعًا، هاجر إلى الحبشة وقدم على المصطفى فی حنین وبعثه على صدقات الیمن فمات المصطفى وهو بالیمن، له ذكرٌ بلا رواية.

الحادي عشر: سعید بن زید بن عمرو بن نفیل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب، وكان إسلامه قبل إسلام عمر، شهد المشاهد كلها إلا بدرًا، وكانت أخته عاتكة تحت عمر وأخت عمر تحته وكان مجاب الدعوة، مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين، وقيل بالعقیق عن بضع وسبعین سنة، وهذا كله (لا مرا) أي: لا شك فیہ بل ثبت من طرق صحيحة.

الثاني عشر: فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، أسلمت مع زوجها سعید بن زید قبيله أو بعيده.

الثالث والرابع عشر: عبد الله مع أخیه قدامة وهما ابنا المظعون الجمحي، وقدامة بضم أوله وفتح للمهمله، ومظعون بفتح الميم وسكون المعجمة.

الخامس عشر: حاطب بجاء وطاء مهملتين.

السادس عشر: أخوه حطاب بجاء مهملة وقيل معجمة وهما ابنا الحارث الجمحي وهاجر إلى الحبشة.

السابع عشر: أسماء -بفتح الهززة- بنت الصديق زوجة الزبير وأم ولده عبد الله وتسمى ذات النطاقين، أسلمت بمكة وتزوجها الزبير ثم طلقها، قيل: وقف ابنه عبد الله بالباب، فجاء أبوه ليدخل فمنعه فقال: طلق أمي فأبی فقال: مثلي لا يكون له أم توطأ فطلقها، وبقيت عند ابنها إلى أن قتل ومات بعده بقليل وكانت من أعبر الناس للرؤيا.

(١) صحيح البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: «إن لكل أمة أمينًا، وإن أمينًا أمينها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح».

الثامن عشر: أختها عائشة وهي صغيرة لم تبلغ كذا قاله ابن إسحاق ورده الناظم بأنه من تفرده بل (هذا) باطل إذ هي لم تكن ولدت وإنما ولدت بعد البعثة بخمسة أعوام، وقول الناظم: (أخت) يوصل الهمزة للوزن، وقوله: (سعيدا الهامة) بنصب سعيد مع ألف التثنية، والهامة القامة وأشار به إلى شجاعتهما، وقوله: (عائش) مرخم بحذف الهاء، وقوله: (وهي غير طامث) أي لم تبلغ سن الحيض.

فاطمة فكيهة الزوجان	تلك لذاك هذه للثاني
عبدة بن حارث خَبَابُ	ابن الأرت كلهم أجابوا
كذا سَلِيْطٌ وهو ابن عمرو	وابن حذافة خنيس بدري
وابن ربيعة اسمه مسعود	ومعمرو بن حارث معدود
وولدا جَحْشٍ هُمَا عَبْدُ اللَّهِ	كذا أبو أحمد عبدُ أَوْاهُ

التاسع عشر: فاطمة بنت المجلل القرشية أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها.

العشرون: فكيهة بنت يسار وهاتان الزوجتان فاطمة وفكيهة تلك أي فاطمة زوجة لذاك الأول وهو حاطب، وهذه أي فكيهة زوجة للثاني وهو حطاب أخو حاطب.

الحادي والعشرون: عبيدة مصغراً ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أسلم قديماً قبل دخول المصطفى دار الأرقم.

الثاني والعشرون: خباب بفتح المعجمة وشدة الموحدة ابن الأرت بفتح الهمزة وشدة المثناة الفوقية، بدري سبي في الجاهلية فاشترته امرأة خزاعية فأعتقته، وهو من السابقين الأولين المعذبين في الله، مات سنة سبع وثلاثين. فهؤلاء كلهم أجابوا دعوة الصديق لرسول الله فأسلموا.

الثالث والعشرون: سليط بفتح فكسر وهو ابن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري هاجر المحدثين وشهد جميع المشاهد.

الرابع والعشرون: ابن حذافة بضم المهملة وذال معجمة خفيفة واسمه خنيس بضم الخاء المعجمة ونون خفيفة مفتوحة وسين مهملة مصغراً القرشي السهمي تزوج حفصة بنت عمر قبل المصطفى ﷺ، وهو بدري قديم.

الخامس والعشرون: ابن ربيعة واسمه مسعود من بني عبد العزى أسلم قبل دخول دار الأرقم وشهد بدرًا.

السادس والعشرون: معمر بن الحارث الجمحي أخو حاطب وحطاب شهد بدرًا وكل مشهد فهذا معدود من السابقين.

السابع والثامن والعشرون: ولدا جحش وهما عبد الله وأبو أحمد ابنا جحش بن رباب أسلمًا قديمًا وهاجرا المجرتين إلى الحبشة، واسم أبي أحمد عبد، وكان أوأها.

كذا شبيه المصطفى أي جعفر	أسماء زوجة الحليف عامر
عياش أعني ابن أبي ربيعة	وزوجة أسما إلى سلامة
نعيم النحام أيضًا حاطب	وهو ابن عمرو وكذلك السائب
أي ابن عثمان بن مظعون ذكر	أبوه مع مقلب بن أزهر
وزوجة زملة مع أمينة	بنت خلف لخالد قرينة
مضى اسمه عمار بن ياسر	وابن فهيرة اسمه بعامر
أبو حذيفة صهيب جندب	وهو أبو ذر صدوق طيب
وقال إنني رابع لأربعة	من تابعي النبي أسلموا معه

التاسع والعشرون: شبيه المصطفى في الخلق والخلق جعفر بن أبي طالب قال له المصطفى: «أشبهت خلقي وخلقي»^(١) أسلم وهاجر إلى الحبشة وقدم في فتح خيبر فلاقاه المصطفى وقام إليه واعتنقه، وقبل موته رآه المصطفى في الجنة يطير بجناحين^(٢).

الثلاثون: أسماء بنت عميس بضم العين المهملة وفتح الميم وسين مهملة الخثعمية زوجة عامر، أسلمت وهاجرت معه إلى الحبشة وولدت له بها محمدًا وغيره، وتزوجها بعد أبو بكر ثم علي.

الحادي والثلاثون: عامر حليف آل الخطاب وهو ابن ربيعة -بفتح الراء- العنزي -بفتح المهملة وسكون النون وبالزاي-، مات سنة ثلاث وثلاثين وقد شهد بدرًا وغيرها من المشاهد.

الثاني والثالث والثلاثون: عياش بعين مهملة ومثناة تحتية مشددة وشين معجمة يعني

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٠) من حديث البراء بن عازب ؓ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٣) من حديث أبي هريرة ؓ. وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٣٤٦٥). ولفظه: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين».

ابن أبي ربيعة المخزومي، وزوجه أسماء المنسوبة إلى والدها سلامة بالفتح والتخفيف ويُقال سلمة الدارمية التميمية هاجرت مع زوجها إلى الحبشة.

الرابع والثلاثون: نعيم بضم النون ابن عبد الله العدوي النحَّام بشدة الحاء المهملة سمي به لقول المصطفى: «دخلت الجنة فسمعتُ نعمة نعيم فيها»^(١) والنحمة السعلة أو النحنة، أسلم قبل عمر وكنم إسلامه ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة لكونه كان يمُونُ أرامل بني عدي وأيتامهم فقالوا: (أقم على أي دين شئت).

الخامس والثلاثون: حاطب بمهملتين بينهما ألف وهو ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود القرشي العامري أخو سليط، هاجر المجرتين وشهد بدرًا وما بعدها.

السادس والثلاثون: السائب بن عثمان بن مظعون وقد ذكر أبوه آنفًا، شهد بدرًا وجميع المشاهد.

السابع والثلاثون: المطلب بن أزهر الزهري أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة وبها مات. الثامن والثلاثون: رملة بنت أبي عوف زوجة المطلب، فقول الناظم: (وزوجه) أي: وزوج المطلب أسلمت وهاجرت مع زوجها للحبشة.

التاسع والثلاثون: أمينة بضم الهمزة وفتح الميم ومثناة تحتية ثم نون على ما ذكره بعضهم وتبعه الناظم لكن ادعى بعضهم أنه مصحَّف وإثما هو بيم بدل النون، وهي بنت خلف بن أسعد الخزاعية وهي زوجة خالد بن سعيد، وهو مراد الناظم بقوله: (خالد قرينه) وقد مضى اسمه ونسبه.

الأربعون: عمار بن ياسر بتحتية ومهملة العنسي بمهملة ونون المذحجي أبو اليقظان مولى بني مخزوم، هاجر المجرتين وصلى إلى القبلتين وشهد كل مشهد، وهو أول من بني مسجدًا، وقتل في وقعة صفين وهو ابن أربع وستين سنة^(٢).

الحادي والأربعون: ابن فهيرة بضم الفاء مصغرًا واسمه عامرٌ مولى أبي بكر عبد أسود اشتراه من الطفيل فأسلم فأعتقه، وهو رفيق المصطفى والصديق في الهجرة، وشهد بدرًا وقتل في بئر معونة.

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (١٠٣/٤) عن أبي بكر العدوي مرسلًا، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٢٩٦٤).

(٢) كذا بالأصل، وما في كتب التراجم أنه لما مات كان عمره ثلاثًا وتسعين سنة، انظر: الإصابة (٥١٢/٢)، وسير الأعلام للذهبي (٤٢٦/١).

الثاني والأربعون: أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي من فضلاء الصحابة وأشرفهم، صلى إلى القبلتين وهاجر المجرتين مع امرأته سهلة فولدت له بالحبيشة محمداً، وشهد كل مشهد وقتل يوم اليمامة.

الثالث والأربعون: صهيب بن سنان الكعي ويعرف بالرومي لأنه أخذ لسان الروم حين سيّره وهو طفل، أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم والمصطفى في دار الأرقم بعد نحو أربعين رجلاً.

الرابع والأربعون: جندب وهو أبو ذر الغفاري كان رأساً في العلم والزهد صدوق اللهجة طيب السيرة والسريّة قال: إنه أسلم رابع أربعة من تابعي رسول الله ﷺ، وقول الناظم: (اعني) بوصل الهزمة للوزن، وقوله: (وزوجه أسما) بالقصر للضرورة، وقوله: (ابن أزهر) بالوقف، وقوله: (خَلَفَ) بسكون الفاء للوزن، وقوله: (ابن فهيرة اسمه بعامر) همزة وصل وكسر الميم.

كُذِّبَ أَنَيْسٌ أَخُوهُ قَدْ أَسْلَمَا	ثُمَّتَ بَعْدُ أَسْلَمْتَ أَفْهَمَا
كُذِّبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ وَافِدٌ	كُذِّبَ إِيَّاسٌ عَاقِلٌ وَخَالِدٌ
وَعَامِرٌ أَرْبَعَةٌ بَنُو الْبَكِيَرِ	وَابْنُ أَبِي وَقَاصٍ اسْمُهُ عَمِيَرٌ
كَذَاكَ بِنْتُ أَسَدٍ فَاطِمَةُ	كَذَاكَ بِنْتُ عَامِرٍ ضُبَاعَةُ
عَمْرُو أَبُو نَجِيحٍ فِيهِمْ مَعْدُودٌ	عُتْبَةُ عَبْدُ اللَّهِ كُجَلَا مَسْعُودٌ

الخامس والأربعون: أنيس بضم الهزمة، وقول الناظم: (أخوه) بالنقص. للوزن أي: وكان أنيس أخاً لأبي ذر قد أسلم بعد أخيه، وقوله: (ثمت) أصله (ثم) زيد فيه تاء التانيث المفتوحة في الوصل.

السادس والأربعون: أمهما رملة، وقول الناظم: (بعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه أي ثم بعد ذلك أسلمت أمهما رملة بنت الوقعة الغفارية.

السابع والثلاثون: وافد بالفاء وقيل بالقاف ابن عبد الله بن عبد مناف حليف الخطاب بن نفيل، أسلم قبل دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها، مات في خلافة الفاروق.

الثامن والتاسع والأربعون والخمسون والحادي والخمسون: إياس بكسر الهزمة فمشناة تحتية وأخوه عاقل بعين مهملة وقاف وأخوهما خالد وأخوهما عامر، وأربعتهم بنو البكير ابن أبي البكير بن عبد ياليل من بني عبد مناف، أسلموا في دار الأرقم وشهدوا كل مشهد، قتل خالد يوم الرجيع، وعامر يوم اليمامة، وعاقل يوم بدر.

الثاني والخمسون: عمر بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة واسم ابنه عمر مصغرًا وهو أخو سعد قرشي زهري، قتل بيدر وعمره ست عشرة سنة.

الثالث والخمسون: فاطمة بنت أسد بفتح الهمزة وسين مهملة ابن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، هاجرت إلى المدينة وبها ماتت في حياة المصطفى، وألبسها قميصه واضطجع معها في قبرها وقال: «لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ لي منها»^(١).

الرابع والخمسون: بنت عامر العامرية واسمها ضباعة بضم الضاد المعجمة وموحدة تحتية وعين مهملة أسلمت بمكة، وهي القائلة:

اليوم يـبـدو بعضـه أو كلـه وما بـدأ منه فلا أحـله
الخامس والخمسون: عمرو بن عبسة أبو نجيح، وقول الناظم: (فيهم) أي: السابقين، (معدود) حشو كَمَل به الوزن.

السادس والسابع والخمسون: عتبة بضم المهملة ومثناة فوقية ساكنة وأخوه عبد الله وهما ولدا مسعود بن غافل الزهري، هاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهدا أحدًا بعدها، قال الزهري: ما كان عبد الله بأفقه ولا أقدم صحبة من عتبة لكنه مات سريعًا.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٧/٧). وذكره الهيثمي في المجمع (٢٥٧/٩)، وقال: «فيه سعدان بن الوليد، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

باب ذكر إسلام عبد الله بن مسعود المذكور

أفرد به باب لأن إسلامه قد ترتب على هذه المعجزة العظيمة الآتية.

جاءَ لَهُ النبيُّ وهوَ يرعى غَنِيمةً يُسَيِّمُها في المرعى
 قالَ لَهُ شَاؤُكَ فيها لبنٌ قالَ نعمَ لكنني مُؤَمِّنٌ
 قالَ فَهَلْ فيها إِذاً مِنْ شاةٍ ما سَها الفحلُ إِذا فأتاني
 بها فمسَّ الضرعَ وهو يدعُو فامتدَّ ضرعُها ودَرَ الضرعُ
 فاحتلبَ الشاةَ وأسقى ثُمَّ مَصَّ في شربه قالَ لَهُ أَقْلَصُ فَقْلَصُ
 قالَ فَعَلِمَنِي لَعَلِّي أَعْلَمُ قالَ لَهُ غَلِيمٌ مُعَلِّمٌ

قوله: (غَنِيمة) تصغير غنمة، وقوله: (يسيمها) بضم أوله قال تعالى: ﴿فِيهِ تُسَيِّمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، أي: ترعون مواشيك من السمة العلامة لأنها تؤثر في الأرض علامات في الرعي، وقوله: (شَاؤُكَ) بالضم جمع شاة وتجمع على شياه رجوعاً للأصل، وأصل ذلك ما في المعجم الصغير عن ابن مسعود: كنت في غنم لآل عتبة بن أبي معيط فجاء رسول الله ومعه أبو بكر فقال رسول الله: «هل عندك لبن؟» قلت: نعم لكنني مؤمن عليها أي: أمين، قال: «فهل عندك شاة لم ينز عليها الفحل؟» قلت: نعم، فأتيته بشاة فمسح النبي مكان الضرع بيده وهو يدعو وما كان لها ضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبناً فأتيته النبي بصخرة منقعة فاحتلب الشاة فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب ثم قال للضرع: «أقْلَصُ» فرجع كما كان، فلما رأيتُ هذا قلت: يا رسول الله علمني فمسح رأسي وقال: «بارك الله فيك فإنك غلامٌ معلمٌ»^(١). انتهى

وقول الناظم: (وأسقى) لغة في سقى، وقوله: (ومص في شربه) مزيد على هذه الرواية إما باطلاع الناظم عليه في رواية أخرى لم تنق عليها أو لأن الاستقراء قاض بأنه كان يَمَصُّ في شربه أبداً. وقوله: (أقْلَصُ) بضم الهمة واللام أي: انزرو وانضم فقلص بسكون الصاد في النظم، وقوله: (غَلِيمٌ) بالضم والتشديد مصغراً ولفظ الحديث غلام.



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٨٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم

وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ دَارَ الْأَرْقَمِ لِلصَّحْبِ مُسْتَخْفِينَ عَنْ قَوْمِهِمْ
 وَقِيلَ كَانُوا يَخْرُجُونَ تَثْرِي إِلَى الشُّعَابِ لِلصَّلَاةِ سِرًّا
 حَتَّى مَضَتْ ثَلَاثَةُ سَنِينَ وَأَظْهَرَ الرَّحْمَنُ بَعْدُ الدِّينَا
 وَصَدَعَ النَّبِيُّ جَهْرًا مُعَلَّنَا إِذْ نَزَلَتْ فَاصْدَعْ بِمَا فَمَا وَكَّى
 وَأَنْذَرَ الْعَشَائِرَ الَّتِي ذَكَرَ بِجَمْعِهِمْ إِذْ نَزَلَتْ وَأَنْذَرَ

لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ وَدَخَلَ فِي الدِّينِ جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ خَافُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَاتَّخَذَ النَّبِيُّ دَارَ الْأَرْقَمِ لِلصَّحْبِ لِيَتَجَمَّعُوا فِيهَا مُسْتَخْفِينَ أَيْ فِي خَفِيَّةٍ عَنْ قَوْمِهِمْ. وَقِيلَ: كَانُوا يَخْرُجُونَ وَقْتُ الصَّلَاةِ تَتَرَى أَيْ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا غَيْرَ مُتَوَاصِلِينَ خَوْفًا مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ إِلَى الشُّعَابِ لِأَجْلِ الصَّلَاةِ فِيهَا سِرًّا لِثَلَاثَةِ سَنِينَ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَكَامَلُوا أَرْبَعِينَ نَفْسًا آخَرَهُمْ عُمَرُ، وَمَضَتْ عَلَيْهِمْ وَهْمٌ بِهَا ثَلَاثُ مِنْ السَّنِينَ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِي تِلْكَ الثَّلَاثِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا ثُمَّ أَظْهَرَ الرَّحْمَنُ سُبْحَانَهُ الدِّينَ فَصَدَعَ بِالدَّعْوَةِ أَيْ: أَظْهَرَهَا مُعَلَّنًا بَعْدَ مَا كَانَ مَسْرًى لَمَّا نَزَلَ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فَبَادَرَ بِجِدِّ وَعَزْمٍ وَمَا وَفَى أَيْ: مَا ضَعُفَ وَلَا تَرَاحَى عَمَّا أُمِرَ بِهِ، فَدَعَا النَّاسَ كَافَّةً إِلَى الْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بِالدَّعْوَةِ كَمَا أُمِرَ بِهِ، وَأَنْذَرَ الْعَشَائِرَ جَمْعَ عَشِيرَةٍ وَهِيَ الْقَبِيلَةُ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا الَّتِي ذَكَرَهُنَّ فِي كِتَابِهِ بِجَمْعِهِمْ أَيْ بِأَجْمَعِهِمْ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فَصَنَعَ طَعَامًا وَجَّعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ حَتَّى أَنْذَرَهُمْ وَمِنْ حِينَئِذٍ اشْتَدَّ الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ اتَّبَعَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَضَ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ آذَاهُ فَأَخَذَهُ اللَّهُ أَحْذَهُ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ، وَالشُّعَابُ جَمْعُ شُعْبٍ وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ، وَقَوْلُهُ: (ثَلَاثَةٌ) بِالتَّنْوِينِ لِلْوُزْنِ، وَ(بَعْدُ) مَبْنِي عَلَى الضَّمِّ.



باب ذكر تاييده - عليه السلام - بمعجزة القرآن المجيد

وجعل الله له القرآن
أقام فيهم فوق عشر يطلب
ثم بعشر سور فسورة
وهم لعمري الفصحاء اللسن
وأسمعوا التوبيخ والتقريعا
فلم يفقه منهم فصيح بشقة

قد جعل الله لنبيه القرآن أعظم معجزاته وكان آية حق قد أعجزت فصحاء العرب العرباء (برهاناً أي: ببرهانه وقوة بلاغته، فأقام في قومه بمكة فوق عشر سنين ينذرهم ويحاذهم ويتلو عليهم القرآن فيكذبونه ويحسدونه، فيطلب منهم إتيانهم بمثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة.

قال لهم: اتنوا بعشر سور مثله مفتريات فعجزوا، فقال: فأتوا بسورة واحدة مثله في الفصاحة والبلاغة فعجزوا ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلم يطبقوا سورة واحدة أي: الإتيان بها ولو قصيرة كسورة الكوثر وغيرها، وهم والله كلهم لعمري الفصحاء البلغاء اللسن بضم اللام الثانية وسكون السين جمع ألسن أي: الآخذين من عوارضهم بألستهم المسلطة، فانقلبوا مع ذلك وهم حيارى فيما جاءهم به من الحق، و(لكن) بضم اللام وسكون الكاف جمع ألكن، واللكنة العي وثقل اللسان.

وقوله: (وأسمعوا) بالبناء للمفعول أي: وأسمعهم الله تعالى فيما أنزل من محكم كتابه التوبيخ البالغ والتقريع الفاحش (لدى الملا) أي بين يدي الجمل الغفير (مفترقاً ومجموعاً) أي: حال افتراقهم عن الناس إذا خلوا وحال اجتماعهم في المحافل.

(فلم يفقه) بفتح الياء التحتية وضم الفاء أي: لم ينطق منهم فصيح بشقة أي: بكلمة واحدة معارضة لها بها بل الإله القادر الميسر المعسر صرفهم عن ذلك دلالة على إعجازه وإظهاراً لمعجزة نبيه، وهذا الحتام من الناظم يؤذن بميله إلى القول بالصرفة وهو رأي مرجوح أطال المحققون في تقرير رده.

فَقَائِلٌ يَقُولُ هَذَا سَحْرٌ وَقَائِلٌ يَقُولُ مِمَّنْ قَدْ طَغَوْا
وَقَائِلٌ يَقُولُ مِمَّنْ قَدْ طَغَوْا وَهَمَّ إِذَا بَعْضُ بَعْضٍ قَدْ خَلَا
وَأَلَّهُ لَيْسَ كَلَامُ الْبَشَرِ وَأَلَّهُ لَيْسَ كَلَامُ الْبَشَرِ
اعْتَرَفَ الْوَلِيدُ ثُمَّ التَّضَرُّعُ وَابْنُ شَرِيْقٍ بَاءً وَهُوَ الْأَخْنَسُ
وَقَائِلٌ فِي أذْنِيٍّ وَقَائِلٌ فِي أذْنِيٍّ وَقُرُّ
لَا تَسْمَعُوا لَهُ فِيهِ فَالْغَوَا اعْتَرَفُوا بِأَنْ حَقًّا مَا تَلَا
وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِمُفْتَرٍ وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِمُفْتَرٍ
وَعَبَّةٌ بِذَلِكَ وَاسْتَقَرُّوا كَذَا أَبُو جَهْلٍ وَلَكِنْ أَبْلَسُوا

لَمَّا عَجَزُوا عَنْ مَعَارَضَتِهِ وَتَحْيَرُوا فِي أَمْرِهِمْ شَرَعُوا يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ فَقَائِلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: هَذَا الَّذِي يَقُولُ سَحْرٌ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَغِيرَةُ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ قَدْرًا: قَدْ رَأَيْنَا السَّحْرَةَ فَمَا هُوَ بِنَفْسِهِمْ.

وقائل يقول: أنا في أذني بشدة المثناة التحتية ثنية أذن وقر أي: صمم فلا أسمع ما يقوله، وقائل يقول -وهو أبو جهل وحزبه- وكانوا قد طغوا وتمردوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لَهُ هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، أي: لا تسمعه وعارضوه باللغو والباطل وإذا خلا بعضهم ببعض اعترفوا وأذعنوا وأقروا بأن ما جاء به هو الحق وصدقوا جميع ما تلاه من القرآن، وقالوا إنه ليس هو أعجزنا به ونحن أفصح البلغاء من كلام البشر وإنما هو كلام الله أنزله على رسوله، فممن اعترف بصدقه الوليد بن المغيرة حين اجتمع به نفر من قريش وكان ذا سن عالية فيهم فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لجناه.

ثم النضر بن الحارث وكان من رءوس بني عبد الدار وعتبة بن ربيعة وكان من أشرف بني عبد شمس اعترفوا بذلك أيضًا، ولكن طمس الله على قلوبهم وطبع عليها فاستقروا على ضلالهم.

وأما ابن شريق الثقفي واسمه الأخنس فقد باء أي: رجع عن معارضته وكذا أبو جهل كلهم قد علموا أنه الحق من ربهم لكنهم أصروا على طغيانهم فأبلسوا أي: سكتوا حزناً وحيرة.

وَكَيْفَ لَا وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ مُنْزَلةٌ عَنْ نَحْلَةٍ اشْتَبَاهَ
يَهْدِي إِلَى الَّتِي هَذَا هَا أَقْوَمُ بِهِ يُطَاغُ وَبِهِ يُعْتَصَمُ
وَهُوَ لَدَيْنَا حَبْلُ الْمُتَمِينِ نَعْبُدُهُ بِهِ وَنَسْتَعِينُ

وهو الذي لا تُنْقَضِي عجائبه ولا يَضِلُّ أبداً مُصاحبه
معجزة باقية على المدا حتى إلى الوقت الذي قد وعدا

وكيف لا يعترفون ويُدْعَتون ويعجزون عن الإتيان بمثل شيء منه وهو كلام الله المنزه عن نخلة مثله أي: عن الإتيان بشبهه أو بشبه سورة أو بعض سورة منه، وقد جعل الله القرآن في هذه الأمة رحمة يهدي من اقتدى به إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم، والطريق السليم، الذي هداها هو أقوم الطرق الموصلة إلى الله تعالى فإن به يُطَاعُ الله وبه يعتصم بالبناء للمفعول.

إذ هو العروة الوثقى لمن تمسك به وعمل بما فيه وهو لدينا أي عندنا في اعتقادنا أنه كلام الله القديم وهو حبل المتين، نعبده به أي بتلاوته والعمل بما فيه، وبه نستعين على قضاء مهمات الدارين، وهو الذي لا تنقضي عجائبه أي: لا تنتهي ولا تنقطع على طول المدى إلى أن يأتي أمر الله، ولا يضل عن الهدى والطريق المستقيم أبداً مصاحبه الذي حفظه وعمل بما فيه ووقف عند حدوده قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

وقول الناظم: (معجزة) بالنصب أي: حال كونه معجزة، ويجوز رفعه بدل من الذي أو خبر مبتدأ محذوف أي: هو معجزة باقية على طول المدى بفتحيتين الغاية، فلا يزال كذلك (حتى إلى الوقت الذي قد وعدا) أي: وعد الله فيه أن يرتفع فيه القرآن.



باب كفاية الله تعالى نبيه المستهزين به

من كفار قريش ومن تبعهم

وقد كَفَى المستهزئين البُعْدُ الله رُبُّنا فَبَاءُوا بِالرُّدَى
فَعَمِيَ الْأَسْوَدُ ثُمَّ الْأَسْوَدُ الْآخِرِ اسْتَسْقَى وَأَزْدَتْهُ الْيَدُ
كَذَا أَشَارَ لِلْوَلِيدِ فَانْتَقَضَ الْجَرْحُ وَالْعَاصِي كَذَاكَ فَعَرَضَ
لِرَجْلِهِ الشُّوكَةَ حَتَّى أَزْهَقَا وَالْحَارِثُ اجْتَبَحَ بَقِيحَ بَرْقَا
وَعُقْبَةُ فِي يَوْمٍ بَدَرَ قُتْلَا أَبُو لَهَبٍ بَاءَ سَرِيعًا بِالْبَلَا
ثَامَنَهُمْ أَسْلَمَ وَهُوَ الْحَكَمُ فَقَدْ كَفَاهُ شَرُّهُ إِذْ يَسْلَمُ

وقد كفى الله تعالى نبيه أي: حفظه من أذى أعدائه المستهزين به الساخرين به ورؤوسهم ثمانية وهم البعداء من رحمة الله فباءوا أي: رجعوا وانقلبوا بالردى أي: بالهلاك بضروب من البلاء.

فالأول: الأسود بن المطلب بن أسد ودعا عليه رسول الله بالعمى فعمي.

الثاني: الأسود الآخر وهو ابن عبد يغوث استسقى، مر بالمصطفى وجبريل عنده فقال جبريل: قد كفيته وأشار إلى بطنه بأصبعه فاستسقى في الحال، وأردته أي: أهلكته اليد أي: يد جبريل عليه السلام.

الثالث: الوليد بن المغيرة أشار جبرائيل إلى ساقه وكان قد أصابته شظية نبل فمنعه الكبر والتَّيْبُ أَنْ يَنْزِعَهَا حَالًا فَانْتَقَضَ عَلَيْهِ الْجَرْحُ وَتَأَلَّمَ وَمَاتَ مِنْهَا.

الرابع: العاص بن وائل السهمي أشار إلى أخمصيه فخرج على راحلته فنزل في شعب فعرض لرجله شوكة في أخمصه فصارت كعنق البعير حتى أزهق بضم فكسر أي: لحقه الموت وغشيه الهلاك.

الخامس: الحارث بن العيطلة السهمي أو ما إليه جبريل فاجتبح أي: أصابته جائحة حَالًا فَابْتَلَى بِقِيحٍ يَمْخِطُهُ مِنْ أَنْفِهِ وَبَزَقَ قِيحًا حَتَّى مَاتَ.

السادس: عقبة بن أبي معيط قتل يوم بدر كافرًا شر قتلة.

السابع: أبو لهب باء سريعًا بالبلاء القوي أي: رجع قتيلًا بسرعة رماه الله بالعدسة

داء معروف وذلك بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لم يُدفن.
وأما ثامنهم: وهو الحكم بن أبي العاص فإنه أسلم يوم الفتح وقد كُفي رسول الله
شره حيث أسلم وإلا أصيب بعاهة وانقلب.
وقول الناظم: (أزهق) بالبناء للمفعول والألف في (قتلا) للإطلاق.



باب مشي كفار قريش أي: رؤسائهم ووجوههم
في أمره أي: النبي إلى عمه أبي طالب بن عبد المطلب

ثم مشيت قريش الأعداء إلى أبي طالب أن يسأوا
من ابنه محمد في سبهم وسب دينهم وذكر عيهم
في مرة ومرة ومرة وهو يذب ويقوي أمره
في آخر المرات قالوا أعطنا محمداً وخذ عماراً ابنتنا
بدله قال أردتم أكفلاً ابنتكم وأسلم ابنتي يقتل
لما صدع رسول الله بما أمر به من التبليغ لم يبعد قومه كل البعد ولم يردوا عليه
ولم يتعرض له كفار قريش بالأذى حتى عاب آلهم وذمها فحيث أجمعوا على عداوته
وأذوه أذى كثيراً إلا من عصم الله منهم بالإسلام وقليل ما هم.

وحذب بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم موحدة أي: عطف عليه عمه أبو
طالب، وقام دونه وحماه فمضى على أمر الله لا يرد عنه شيء، فمشت أشراف قريش إلى
أبي طالب من أجل أنهم يسأون أي: يحصل لهم السوء من ابن أخيه وسماء في النظم ابنه
لأنه كان بمنزلة الابن عنده.

فقالوا: إنه يسبنا ويسب ديننا ويضلل آباؤنا فإذا أن تكفه عنا، وإما أن نخلي بيننا وبينه
فإنك على مثل ما نحن عليه، وتكرر قولهم له في ذلك في مرة أولى ومرة ثانية ومرة ثالثة،
وهو يردهم رداً جميلاً، ويقول لهم قولاً رقيقاً ويذب عنه ويقوي أمره ويشد أزره ويعضده
ويشده، فلما كان في آخر المرات تنكروا وتذا مروا بذال معجمة ومشوا إلى أبي طالب وقالوا:
إن لك سناً وشرفاً فينا وأنا استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه وإنما لا نصبر على شتم آباءنا
وتسفيه أحلامنا، وعيب آلتنا؛ فإذا أن تكفه أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب عداوة قومه وفراقهم ومخاربتهم ولم تطب نفسه بإسلام
المصطفى إليهم، فكلمه أبو طالب في ذلك فظن أن بدا له وأنه خاذله فقال: «يا عم والله

لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»^(١) ثم بكى وولى، فناداه عمه: يا ابن أخي قل ما أحببت فلا أسلمك أبداً.

فلما رأت قريش أنه أبى خذلانه جاءوه وقالوا له: هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أهد فتى في قريش وأجملهم، وأعطنا ابن أخيك محمداً الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم وعاب آلهتهم فنقتله وخذ عمارة بدله فاتخذ ولدًا، لك عقله وبصره، قال: بئسما تسومونني به أكفل لكم ولدكم وأسلم لكم ابني لتقتلوه هذا لا يكون أبداً، فقال المطعم بن عدي: يا أبا طالب قد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، قال: ما أنصفتُموني لكنك أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فافعل ما بدا لك.

ثم تذاَمروا على من في القبائل منهم ممن أسلم مع المصطفى فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يفتنهم عن دينهم ويعذبونهم، فضرب أبو بكر ضرباً شديداً حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وحمل إلى منزله في ثوب فأقام برهة لا يتكلم ولا يتحرك حتى ظنوا موته، وفعل بغيره الأفاعيل كما يأتي تفصيله. وقول الناظم: (وأسلم) بضم الهمزة وتخفيف اللام المكسورة.

ثم مضى يجهرُ بالتوحيد	ولا يخافُ سطوةَ العبيد
وأجمعت قريش أن يقولوا	ساحراً احذروا وعنه ميلوا
وقعدوا في زمن المَواسم	يُحذرون منه كلَّ قادم
وافترق الناس فشحاع أمره	بين القبائل وسارَ ذكره

ثم مضى رسول الله على حاله يجهر بكلمة التوحيد ويدعو إلى الإسلام الخاص والعام ولا يخاف سطوة العبيد السوء فكان يطوف على الناس في منازلهم وفي الجامع والحافل ويقول: «إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، قولوا: لا إله إلا الله»، ووراء عمه أبو لهب يكذبه ويقول: هذا يأمركم أن تتركوا دينكم ودين آبائكم فلا تفعلوا.

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٠١/٢) عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة.. فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ لأن يعقوب بن عتبة من كبار أتباع التابعين، فالحديث ضعيف معضل. والله أعلم.

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمعت إليه قريش وقد حضر الموسم فقال: يا معشر قريش إن وفود العرب ستقدم عليكم فأجمعوا في صاحبكم رأيًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، قالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن ولا سجعته، قالوا: مجنون قال: ما هو بمجنون رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: شاعر قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، قالوا: ساحر قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده، قالوا: فما تقول؟ قال: والله إن لقوله خلالة وإن أصله لعذق - بسكون الدال المعجمة - استعارة من النخلة التي ثبت أصلها، ورواية ابن هشام - بفتح الغين وكسر الدال المهملة - من العذق - وهو الماء الكثير - وإن فرعه لجناسة - بالجيم والنون - أي: فيه ثم يُجنى، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا أعرف أنه باطل وأقرب ما يقال أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه وزوجته فاحذروا سحره وميلوا واعدلوا عنه، فتفرقوا على ذلك وجعلوا يقعدون بالسبل في زمن الموسم يحذرون منه كل وافد وقادم فكل من مرَّ بهم وصفوه له وحذروه منه فافترق الناسُ بخبره وصدرت العرب من ذلك الموسم يتحدثون في شأنه فشاع أمره وسارَ أي: انتشر في الآفاق ذكره.



باب ذكر وفد نجران

بفتح النون وسكون الجيم بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانيها نجران ابن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، والوفد بسكون الفاء الجماعة الواردون على نحو أمير أو وزير أو ملك بنحو رسالة أو تعرف خبره.

وجاء من نجران قوم أسلموا عدتْهم عشرونَ لَمَّا علِمُوا
بصدقه جاء أبو جهل فسبَّ وأفدَع القبولَ لَهُم بلا سب
فأعرضوا وقولهم سَلام ليسَ لنا مع جَاهل كلام

قال ابن إسحاق: جاء من نصارى نجران عشرون رجلاً إلى رسول الله وهو بمكة حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه بالمسجد فقعدهوا إليه وكلموه وسألوه عن أشياء

فدعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق واستجابوا له وأسلموا لما علموا بصدقه وعرفوه بوصفه في كتبهم.

وكان رجال من قريش حول الكعبة ينظرون فجاء أبو جهل فسب الوفد وقال: خيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لتأتوهم بخير الرجل فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم.

وقول الناظم: (وأقصد) بسكون الفاء وفتح الدال المهملة أي: أفحش أبو جهل القول لهم بالسب بغير سبب موجب لذلك فأعرضوا عنه، وكان قولهم له سلام عليكم لا نجاهلكم ليس لنا مع من هو جاهل كلام لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه قبل، وفيهم نزل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [التقص: ٥٥].



باب ذكر قدوم ضماد بن ثعلبة عليه

ويقال ضمام وكان في سنة خمس أو تسع من النبوة.

ثُمَّ أَتَى ضَمَادُ وَهُوَ الْأَزْدِيُّ لَيْسَتْ بَيْنَ أَمْرِهِ بِالتَّقْدِ
مَا هُوَ إِلَّا أَنْ مُحَمَّدٌ خَطَبَ أَسْلَمَ لِلْوَقْتِ بِصِدْقٍ وَذَهَبَ

ثم أتى إلى رسول الله ضماد بن ثعلبة وهو الأزدي لا السعدي نسبة إلى الأزدي واسمه دار بن الغوث ويُقال بالسين، وكان ضماد صاحباً للنبي ﷺ في الجاهلية يطب ويرقي ويطلب العلم فقدم مكة ليستبين أمره بالنقد وذلك أنه سمع من سفهاء مكة يقولون محمد مجنون، فقال: لو لقيت لعل أن يشفيه الله على يدي. فلقيه فقال: يا محمد أريقك لعل الله يشفيك فما هو إلا أن المصطفى خطب فقال: «الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد»^(١) فقال: أعد فأعادها ثلاثاً فأسلم للوقت بصدق وإخلاص وذهب إلى قومه.



(١) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

باب ذكر أذى قريش لنبي الله ﷺ وللمستضعفين الذين اتبعوه

وأوذي النبي ما لم يؤذا ممن قبله من النبيين وذا
 مما يُضاعفُ له الأجورا ولو يشاء دُمُروا تدميرا
 لكنهم إذ أضَمروا الضغائنا ما مَكَنُوا فاستضعفوا مَنْ آمنا
 عَمَّارًا الطيب أمه أبة أم بلال وبلالاً عذبه
 أميةٌ ومنهم جارية ومنهم زنيرة الرومية
 كذلك أم عيس وابنتها وابنُ فهرة فذي سبعتها
 ابتاعها الصديق ثم أعتق جميعهم لله برٌّ وصَدَق

لقد أُوذي النبي من كفار قريش ما لم يؤذ به أحد من النبيين وذلك مما يُضاعف الله به الأجور ويُضاعف به العذاب على أهل الفجور، ولو يشاء الله دمروا بالبناء للمفعول تدميراً أي: أهلكوا هلاكاً فظيماً.

فقد بعث الله له ملك الجبال فقال له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبدني»^(١) وقد كانوا يضمرون له الضغائن في قلوبهم لكنهم لم يمكنوا من إيقاع ما أضمره، فاستضعفوا من آمن بالله وبرسوله.

وقول الناظم: (عماراً) بنصبه بدل مما قبله أي: ومن أُوذي من المستضعفين عمار ابن ياسر فعذبه حتى تكسرت بعض أضلاعه وهو ثابت على دين الإسلام لا يتزلزل ومن ثم وصفه الناظم (بالطيب) بالتشديد، وعذبوا أمه سمية بنت حاطب وطعنها أبو جهل بحربة في قلبها فماتت فكانت أول شهداء الإسلام، وعذبوا أبه بالقصر وأصله أباه وهو ياسر بن عمار الصابر ومر عليهم رسول الله وهم يعذبون فقال: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»^(٢).

ومن عذب في الله وابتاعهم أبو بكر الصديق ثم أعتقهم سبعة فالأول والثاني منهم

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧٤٢) من حديث أم سلمة بنت أبي أمية -رضي الله عنها-، وانظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام (٢١٧/١).

أم بلال وابنها بلال بن رباح المؤذن عتيق الصديق واسم أمه حمامة، وهذان عَذَّبَهُمَا أُمِيَّة ابن خلف وبالع في تعذيبهما وبلال مع ذلك يقول أحد أحد.

فقول الناظم: (أم بلال وبلالاً) بالنصب، والثالث منهم جارية أم عمرو من بني الموسل حي من بني عدي، والرابع منهم زنيرة بزاي ونون ساكنة فباء موحدة وراء مهملة الرومية كانت لبني عبد الدار، فلَمَّا أسلمت عميت فقال الكفار أعمتها اللات والعزى فردَّ الله عليها بصرها، الخامس أم عنبس بفتح فسكون بضبط الناظم فتاة لبني تميم بن مرة أسلمت فعذبت، السادس ابتها، السابع عامر بن فهيرة عبد لطيف، فهذه السبعة ابتاعها الصديق ثم أعتقهم جميعهم لله وقد بر وصدق في كونه فعل ذلك لله.



باب ذكر انشقاق القمر

وإذ بَعَثَ مِنْهُ قَرِيْشٌ أَنْ يُرِي	آيَا أَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ
فَصَارَ فَرَقَتَيْنِ فَرَقَةً عَلَتْ	وَفَرَقَةً لِلطُّودِ مِنْهُ نَزَلَتْ
وَذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ	وَالنَّصِ وَالْتَوَاتُرِ وَالسَّمَاعِي
زَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا	وَلَأَبَى جَهْلٌ بِهِ طُغْيَانًا
وَقَالَ ذَا سَحَرٌ فَجَاءَ السُّفَرُ	كُلٌّ بِهِ مُصَدِّقٌ مُقَرُّ

ولَمَّا بَعَثَ أَيُّ طَلَبَتِ قَرِيْشٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُرِي آيَا أَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ بِمَكَّةَ لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ، فَصَارَ فَرَقَتَيْنِ فَرَقَةً فَوْقَ جَبَلِ أَبِي قَبِيْسٍ وَفَرَقَةً دُونَهُ، وَهُوَ مُرَادُ النَّازِمِ بِقَوْلِهِ: «فَرَقَةً عَلَتْ وَفَرَقَةً لِلطُّودِ مِنْهُ نَزَلَتْ» وَالطُّودُ الْجَبَلُ، وَوَقَعَ انْشِقَاقُهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ^(١).

وهذا أمر بالإجماع لا نزاع فيه لثبوته بنص القرآن والسنة وبلغ حد التواتر وحصل به العلم اليقيني السماعي أي بالسماع من الجَمِّ الغفير، ولا التفات لطعن الزنادقة فيه بأنه لو كان للزَمُ مشاركة أهل الأرض في إدراكه؛ إذ لا يلزم ذلك إلا لو استوى أهل الأرض في مطلع واحد على أن زمنه لَمْ يَطُلْ حَتَّى تَتَوَفَّرَ الدَّوَاعِي إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا، فزاد انشقاق القمر

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الذين آمنوا إيماناً وحصل به لأبي جهل ومن معه طغياناً وقالوا هذا سحر فابعثوا إلى الآفاق لتنظروا أروا ذلك أم لا؟ فأخبروا أنهم رأوه كذلك، وجاء السفر بسكون الفاء أي المسافرون من الآفاق كل منهم مصدق مقر بانشقاقه فقالوا رأيناه عياناً.

تنبيه: ما جرى عليه الناظم هنا من انشقاق القمر مرتين وحكايته فيه الإجماع تعقبه فيه تلميذه الحافظ ابن حجر^(١) بأنه لا يعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ~~الطويل~~ ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين لكن خرجه مسلم^(٢) من حديث شعبة عن قتادة بلفظ: «فأراهم انشقاق القمر مرتين» وهكذا أخرجه أحمد عن عبد الرزاق^(٣) وأكثر الروايات: «فرقتين أو فلقيتين» بالراء أو اللام، وقد أولت رواية مرتين بأن المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر، قال ومن الثاني انشق القمر مرتين وقد خفي على البعض فادعى أن انشقاقه وقع مرتين وذلك مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة. انتهى

قال ابن كثير في رواية مرتين^(٤): لعل قائلها أراد فرقتين.

قال الحافظ ابن حجر^(٥) وعبرة الناظم تحتمل التأويل فإنه جمع بين مرتين وفرقتين ويمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظراً.



(١) انظر: فتح الباري (٨/ ١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٢٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٨٣).

(٥) فتح الباري (٧/ ١٨٣).

باب ذكر الهجرتين إلى النجاشي ملك الحبشة

واسمه أصحمة والنجاشي لقب لكل من ملك الحبشة، وذكر حصار الكفار لبني هاشم في الشعب بكسر الشين وأصله الطريق في الجبل.

لَمَّا فَشَا الْإِسْلَامَ وَاشْتَدَّ عَلَى	مَنْ أَسْلَمَ الْبَلَاءُ هَاجَرُوا إِلَى
أَصْحَمَةَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ	خَمْسٍ مَضَتْ لَهُمْ مِنَ النَّبْوَةِ
خَمْسٍ مِنَ النِّسَاءِ وَاثْنَا عَشَرَ	مَنْ الرِّجَالُ كُلُّهُمْ قَدْ هَاجَرُوا
عُثْمَانُ مَعَ زَوْجَتِهِ رُقِيَّةَ	أَسْبَقَهُمْ لِلْهَجْرَةِ الْمَرْضِيَّةِ
مَصْعَبٍ وَالزَّيْبِرِ وَابْنِ عَوْفٍ	وَحَاطَبٍ فَأَمَنُوا مِنْ خَوْفِ
كَذَا ابْنُ مَطْعُونٍ ابْنُ مَسْعُودٍ أَبُو	سَلَمَةَ وَزَوْجُهُ تُصَّاحِبُ
أَبُو حُذَيْفَةَ أَبُوهُ عُثْمَانُ	وَزَوْجُهُ بِنْتُ سُهَيْلٍ سَهْلَةَ
وَابْنُ عَمِيرٍ هَاشِمٌ وَعَامِرُ	ابْنُ رِبْعَةَ الْخَلِيفُ النَّاصِرُ
وَزَوْجُهُ لَيْلَى أَبُو سَبْرَةَ مَعَ	زَوْجَتِهِ أَيْ أُمِّ كَلْثُومٍ جُمَاعُ

لَمَّا فَشَا الْإِسْلَامَ أَي ظَهَرَ وَاتَّشَرَ اشْتَدَّ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ الْبَلَاءُ وَالتَّعْذِيبُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ: «تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ فَسَيَجْمَعُكُمْ اللَّهُ» قَالُوا: إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ قَالَ: «هَاجَرُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يَظْلَمُ عَنْدهُ أَحَدٌ وَهِيَ أَرْضٌ صَدَقَ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا»^(١). فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ فَرَارًا بِدِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ أَوَّلُ هَجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ، فَقَدِمُوا عَلَى أَصْحَمَةَ بِمَهْمَلَاتٍ وَهُوَ النِّجَاشِيُّ فِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ النَّبْوَةِ وَعَدَّتْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ خَمْسٍ مِنَ النِّسَاءِ وَاثْنَا عَشَرَ مِنَ الرِّجَالِ.

وما ذكر من أن النساء خمس هو ما جرى عليه ابن سيد الناس^(٢) مستدركا على ابن إسحاق في قوله أربعة، وذكر القطب الحلبي في شرح سيرة عبد الغني أربعة بإسقاط أم كلثوم. وأول من هاجر إليها عثمان ومعه زوجه رقية بنت المصطفى. وممن هاجر بنفسه مصعب بن عمير والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف

(١) انظر: فتح الباري (١٨٨/٧).

(٢) انظر: عيون الأثر، لابن سيد الناس (١٣٦/١).

وحاطب بن عمرو، فأمنوا بالقصر بهجرتهم من الخوف، وكذا اعدد ممن هاجر بنفسه عثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود، وهاجر أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ومعه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أمية المعروف بزاز الركب.

وقول الناظم: (تصاحب) حشو كمل به الوزن. ومن هاجر بنفسه وأهله أبو حذيفة واسمه مهشم أو هشيم أو هاشم وأبو هاشم عتبة ومعه زوجته وهي بنت سهيل مصغراً ابن عمرو واسمها سهلة، ومنهم مصعب بن عمير مصغراً ابن عبد مناف وعامر ابن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيل الناصر لدين الله واسم زوجة عامر ليلى بنت أبي خيثمة العدوية، وأبو سبرة بفتح فسكون ابن عبد العزى العامري ومعه زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

وقول الناظم: (جمع) بضم الجيم وفتح الميم أي: جميع هؤلاء المذكورين من رجال ونساء هاجروا المحرة الأولى للحبشة وهو حشو كمل به الوزن، والألف في قوله: (واتنا عشرا) للإطلاق.

وخرّجت قريش في الآثار	لم يصلوا منهم لأخذ الثأر
فجاوروه في أتم حال	ثم أتوا مكة في شوال
من عامهم إذ قيل أهل مكة	قد أسلموا ولم يكن بالثب
فاستقبلوهم بالأذى والشدة	فرجعوا للهجرة الثانية
في مائة عد الرجال منهم	اثنان من بعد الثمانين هم
فنزّلوا عند النجاشي على	أتم حال وتغيّط الملاء

وخرجت كفار قريش في آثار المهاجرين فلم يدركوهم ولم يصلوا منهم لأخذ الثأر، وتلقاهم النجاشي بالإكرام فجاوروه على أتم حال وعبدوا الله جهراً وهم في أمان، ثم إن رسول الله في رمضان تلك السنة قرأ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم: ١]، حتى بلغ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدَ﴾ [النجم: ٢٠]، ألقى الشيطان على اللسان «تلك الغرائق العلا وإن شفاعتهن لترتجى»^(١) ثم قرأ السورة وسجد وسجد القوم، وقالوا: عرفنا أن الله يحیی ويميت لكن آهتنا تشفع لنا عنده فإن جعلت لها نصيباً فنحن معك.

(١) وهذه القصة مروضة مكذوبة، ولا يصح منها شيء، وقد جمع طرقها وفصلها بما لا مزيد عليه، العلامة الألباني - رحمه الله - في رسالة له بعنوان «نصب المجانيق في نفس قصة الغرائق» فلننظر.

فكبر ذلك على رسول الله فلما أمسى أتاه جبريل فعرض عليه السورة فأوحى الله إليه ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، ففشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت الحبشة فرجع المهاجرون حتى أتوا إلى قرب مكة في شوال فلأنهم خرجوا في رجب وعادوا في شوال من عامهم الذي ذهبوا فيه إذ لقوا ركبا من كنانة فقالوا لهم: قيل إن أهل مكة أسلموا فقال الركب: ذكر محمد آلهم بخير فتابعه السلا ثم ارتد عنها فعادوا له بالشر ولم يكن إسلامهم بالثبث بفتح الموحدة أي: لم يثبت، فاتمتر القوم بالرجوع ثم دخل كل واحد منهم بجوار إلا ابن مسعود فاستقبلتهم قريش بالأذى والشدة فرجعوا إلى الحبشة المحجرة الثانية وعدتهم مائة نفس اثنان وثمانون رجلا وثمانية عشرة امرأة، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، فنزلوا عند النجاشي على أتم حال فلما علمت ذلك قريش بعث عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة قيل وعمارة ابن الوليد بهدية إلى النجاشي وبطارقته وسألوهم ردّهم إليهم، وابتدرا النجاشي فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وقالا: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلادك منا جماعة سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا دينك وجاءوا بدين ابتدعوه، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائريهم لتردهم عليهم فهم أعلم بهم عيبا وأعلم بما عابوا منهم وعاینوهم فيه.

فغضب النجاشي وقال: لا والله لا أسلمهم إليكما حتى أدعوهم فأسألهم فإن كانوا كما تقولون رددتهم إلى قومهم وإلا منعتهم منهم وأحسن جوارهم، فدعاهم فلما جاءهم رسوله ائتمروا فيما يقولون له فقالوا: نقول ما علمناه وما أمرنا به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن، فسألهم وقد دعا أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونخلع ما كان يعبد آباءونا من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وهأنا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نُشرك به شيئا، وبالصلاة والزكاة والصيام وعدد أمور الإسلام

فأما به واتبعناه فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان واستحلال الحباث، فلماً قهرونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إليك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء، قال: نعم فقرأ صدرًا من (كهيعص) فبكى النجاشي وبكت أساقفته حتى أخذوا مصاحفهم أي بلوها بالدموع ثم قال النجاشي: والله إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا أسلمهم أبدًا، فلماً خرج قال عمرو: لآتينه غداً بما استأصل به خضراءهم، ثم غدا عليه فقال: إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسألهم.

فقال جعفر: نقول الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا عيسى مما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال فقال: وإذ تناخرت فاذهبوا فأنتم شيوم بأرضي أي آمنون فما أحب أن لسي ديراً من ذهب أي جبلاً وإني آذيت رجلاً منكم ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لسي بها، فما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. مرحباً بكم ومن جئتم من عنده، فخرجوا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار واستمروا حتى قدموا على المصطفى بخير^(١).

وقوله: (وتغيظ الملا) يأتي شرحه مع ما بعده.

وكتب البغيض في كتابه	على النبي وعلى أصحابه
وعُلِّقَت بالكعبة الشريفة	على بني هاشم الصحيفة
وحُصِرُوا في الشعب حتى أقبلوا	أن لا تناكحوهم ولا ولا
قاسوا به جهداً بشر مكث	أول عام سبعة للبعث
فساء ذاك بعض أقوامهم	وسمعت أصوات صبيانهم
أكلت الصحيفة المبقضة	وأطلع الرسول أن الأرضة

(١) انظر: القصة في السيرة النبوية لابن هشام (٢١٧/١).

ما كان من جور وظلم ذهباً وبقي الذكر كما قد كُتِبَا
فوجدوا ذاك كما قال وقد شُلَّتْ يَدُ البغيض والله الصمدُ
فلبسوا السلاح ثم خرجوا من شعبهم وكان ذاك المخرجُ
في عام عشرة بغير مَنِينٍ وقيل كان مُكُتُّهُمْ عامين

وتغيظ الملأ من قريش على النبي وعلى أصحابه في هلال محرم سنة سبع من البعثة
لَمَّا بلغهم إكرام النجاشي لأصحابه ورد هديتهم عليهم، وكتبوا كتاباً على بنى
هاشم وعلق في الكعبة وكان كاتب الصحيفة البغيض ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار بن قصي، فكان مما كتب: أن قريشاً لا تناكحهم ولا تباعوهم ولا
تُخالطوهم إلا أن يُسلموا محمداً ليقُتل، فأبى بنو هاشم وظاهرهم بنو المطلب، وأجمع
المشركون على إخراجهم من مكة إلى شعب أبي طالب فحصرُوا بنى هاشم
والمطلب فيه مؤمنهم وكافرهم فالْمُؤْمِنُ دِينًا والكافر حِمِيَّةً.

وكان دخولهم فيه حين أقبل أي: أهل هلال الحرم عام سبع من البعثة، وخرج
أبو لهب إلى قريش فظاھرهم على أهله وقطعوا عنهم الميرة والمارة ومنعوا عنهم
الأسواق وأصروا على أن لا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ما لَمْ يسلموا محمداً ليقُتل، وصار
المحصرون لا يخرجون إلا من الموسم إلى الموسم ففاسوا بذلك جهداً أي: مشقةً وبلاءً،
ومكثوا فيه ثلاث سنين مع ضيق العيش والجوع والأذى.

وقول الناظم: (وسمعت) بالبناء للمجهول أي: وسمعت كفار قريش أصوات صبيانهم
يتضاغون من وراء الشعب من شدة الجوع فساء ذلك بعضهم وتلاوم قوم من قصي ممن
ولدته بنو هاشم ومن سواهم، فمشى أبو البختری العاص بن هشام والمطعم بن عدي
وهشام بن عمرو بن الحارث العامري، وزهير بن أمية في نقض ذلك فلبسوا السلاح
وأخرجوهم من الشعب مرغمين لمن خالفهم في ذلك.

هذا ما حكاه بعض أهل السير، وساق أبو الفتح بن سيد الناس^(١) القصة على
وجه آخر: وهو أنه لَمَّا اشتد عليهم البلاء أطلع الله رسوله على أن الأرضة أكلت جميع
ما في الصحيفة من ظلم وشرك وقطيعة رحم وبهتان فلم يبق منه شيء وبقي ما فيها من

(١) انظر: عبرن الأثر (١/١٤٧).

ذكر الله ورسوله كما كتب لم يتغير منه شيء، فأخبر المصطفى بذلك عمه أبا طالب فقال أبو طالب: لا والثواب ما كذبتني، فانطلق في عصابة من بني عبد المطلب حتى أتوا المسجد فظنت قريش أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله إليهم ليقتل فقال أبو طالب: يا معشر قريش قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها فأتوا بالصحيفة التي فيها مواتيقيكم فلعل أن يكون بيننا وبينكم صلح فأتوا بها معجيين لا يشكون أن محمداً يدفع إليهم، فوضعوها بينهم وقالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال: إنما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم أخبرني ابن أخي أن هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها إلا ذكر الله ورسوله فإن كان كما قال فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتهم أو استحييتهم، قالوا: رضينا بالذي نقول ففتحوها فوجدوا الصادق المصدق أخيراً بخبرها قبل فتحها فقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم بغياً وعدواناً، ولأبي طالب في قصة الشعب أشعار منها:

ألا أبلغا عني التي ذات بيننا لؤيًّا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطاً في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ولا خير ممن خصه الله بالحُب

وهي طويلة؛ ولما وقع ذلك في يدي البغيض كاتب الصحيفة شلت يده، وكان ذلك المخرج بفتح الميم والراء أي: خروجهم في عام عشرة مضت من البعثة بغير مَن يفتح الميم أي: كذب أو ريب، وقيل كان مكثهم فيه عامين فقط والأصح الأول. وقول الناظم: (لا تُناكحوهم) بضم الميم للوزن، وقوله: (وحُصروا) وسُمعت وأطلع) بالبناء للمفعول، وقوله: (المبغضة) بفتح الغين المعجمة المشددة أي إلى بني هاشم وهو حشو كَمُلَ به الوزن، وكذا قوله: (ذهب)، وقوله: (والله الصمد) قسم.



باب وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد

زوجة المصطفى وذلك في عام واحد

بعدَ خروجهم بثلاثي عام وثلاثي شهر ويوم طامي
سَيِّقَ أَبُو طَالِبٍ لِلْحِمَامِ ثُمَّ تَلَّى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
مَوْتَ خَدِيجَةَ الرِّضَا فَلَمْ يَهْنُ عَلَى الرَّسُولِ فَقَدْ ذَيَّنَ وَحَزَنَ

ثم مات أبو طالب بعد خروجهم من الشعب بثلاثي عام وهي ثمانية أشهر وثلاثي شهر ويوم وهي أحدٌ وعشرون يومًا كذا ذكره الناظم، فالموجود في السير أحد عشر يومًا وكان آخر كلامه: (هو على ملة عبد المطلب).

وفي الصحيح^(١) ما يدل على موته كافرًا، وقد رويت له وصية قال من جملتها: وإنني أوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءكم بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشتان، وأيم الله كأنني أنظرُ إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاضَ بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا ودورها خرابًا وضعفاؤها أربابًا، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أخطأهم عنده، وقد تحضتته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم، يا معشر قريش والله لا يسلك أحد منهم سبيله إلا رشد ولا يأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودافعت عنه الدواهي ومن نظمه:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينًا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينًا
والله لن يصلوا إليك بأسرهم حتى أوسد في التراب رهينًا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عينًا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحًا بذاك مُبينًا
فلما مات نالت قريش من المصطفى ما لم تكن تناله ولا تطمع فيه، حتى

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) من طريق سعيد بن المسيب، عن أبيه.... فذكره.

اعترض سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسلُ عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: «لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك»، ويقول بين ذلك: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»^(١)، فبلغ ذلك أبا لهب فقال له: يا محمد امض لما أمرت وما كنت صانعاً إذ لو كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللوات والعزى لا يوصل إليك حتى أموت فمكث كذلك أياماً لا يتعرض له أحدٌ هيبه لأبي لهب، فجاءه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل فاحتال عليه بقوله: إن من سلف من قريش في النار فقال: والله لا برحت لك إلا عدواً واشتد أبو لهب وجميع قريش عليه حتى قال أبو جهل: أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته رضختُ به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: لا نسلمك أبداً فامض لما تريد، فلماً أصبح أخذ حجراً كما وصف ثم قعد ينتظره، وغدا رسول الله كما كان يغدو فلماً جلس احتمل أبو جهل الحجر حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقماً -بالبناء للمفعول- لونه، مرعوباً قد ييست يده على حجره حتى قذفه من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم، قال: قمتُ إليه لأفعل ما قلت فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحلّ من الإبل ما رأيْتُ مثل هامته فهممُ بسي أن يأكلني فقال المصطفى: «ذاك جبريل لو دنا لأخذه».

ثم انضم إلى ذلك موت خديجة الكبرى أم المؤمنين فإنه تلا موت أبي طالب بثلاثة أيام وهي الرضى أي المرضية عند المصطفى فقد كانت وزير صدق على الإسلام وكان المصطفى يسكنُ إليها، وقيل: ماتت بعده بخمسة أيام، وقيل: قبله بخمسة وثلاثين يوماً، وقيل: غير ذلك.

وقول الناظم: (يَهْن) بضم الهاء وكسرها بفتح المثناة التحتية قبلها للمناسبة أي: عسر على رسول الله ﷺ فقد هذين الشفوقين المساعدين القائمين معه، ونالت قريش منه الأذى ما لم تطمع فيه من قبل، وحزن لموتيهما حزناً شديداً وسمي ذلك العام عام الحزن لتوالي هاتين المصيبتين عليه فيه، وأقلّ الخروج ولزم بيته، ثم خرج إلى الطائف ومعه زيد

ابن الحارث فقط يلتمس النصرة والمنعة من تقيف فأقام بالطائف عشرة أيام فما ترك أحداً من أشرفهم إلا اجتمع به، فلم يجيبوه وسلطوا سفاءهم وصبياتهم عليه ففقدوا له بالطريق صفين يضربونه بالحجارة في رجله حتى أدموها وزيد يقيه بنفسه حتى شج في رأسه فلما خلاص عمد إلى حائط فاستظل في ظل حبله بتحريك المهمل والموحدة وقد تسكن شجرة عنب وكان فيه عتبة وشيبة ابنا ربيعة فكره مكانهما لما يعلم من عدوانهما له فقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١).

فأرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال: «لا؛ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله»^(٢)، فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا قطفاً من عنب مع غلام لهما نصراني اسمه عداس فلما وضعه بين يديه قال: «باسم الله» ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد فقال له المصطفى: «ومن أي البلاد أنت» قال: نصراني من أهل نينوى، قال: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟ قال: وما يدريك ما يونس؟، قال: «ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي» فأكب عداس عليه فقبل رأسه ويديه فلما جاءهما قالاه: ما لك تقبل رأسه ويديه قال: ما في الأرض خير منه قد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي. قالوا: وملك لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

ثم انصرف من الطائف فصار إلى حراء وبعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فأبى، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بنسي عامر لا يجيرون على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه ثم تسلح وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث إلى رسول الله أن ادخل فلما دخل طاف ثم انصرف إلى منزله.



(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣٥٠/١)، والحديث ذكره الهيثمي في المجموع (٣٥/٦)، وقال: أخرجه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقيته رجاله ثقات. اهـ
وضعه العلامة الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (١١٨٢).
(٢) تقدم تخريجه.

باب ذكر وفد الجن من جن نصيبين

وبعد أن مضت له خمسونا وربع عام جاءه يسعوننا
جن نصيبين له وكانا يقرأ في صلاته قرآنا
بنخلة فاستمعوا وأسلموا ورجعوا فأنذروا قومهم

لما انصرف المصطفى من الطائف راجعاً إلى مكة نزل إلى نخلة فقام يصلي من الليل وكان إذ ذاك مضى له من عمره خمسون سنة وربيع عام وهو ثلاثة أشهر، جاءه يسعون جن نصيبين بالجزيرة هكذا في مسلم^(١).

وفي تفسير عبد بن حميد: من نينوى (بنخلة) وهم تسعة وكان يصلي فاستمعوا لقراءته فلما فرغ أسلموا وولوا إلى قومهم منذرين فأنزل الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية.

وروي^(٢) من حديث أبي المعلي عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخط لي خطاً وقال: «لا تحدثن شيئاً حتى آتيك»، ثم قال: «لا يروعتك أو لا يهولنك شيء تراه»، ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط - جيل أسود من الهند - وكانوا كما قال الله: ﴿كَأَذُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، فلوددت أن أقوم فأذب عنه بالغاً ما بلغت ثم ذكرت عهده فمكنت ثم تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون: (يا رسول الله شققتنا بعيدة ونحن منطلقون فزودنا) الحديث؛ وفيه: فلما ولوا قلت: من هؤلاء؟ قال: «جن نصيبين»، واختلف في تسميتهم على أقوال كثيرة.

والشقة بعد تسير إلى الأرض البعيدة. وقول الناظم: (قرآنا) حشو كمل به الوزن، ونخلة غير منصرف لأنه اسم موضع بقرب مكة.



(١) أخرجه مسلم (٤٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٦/١٠).

باب ذكر قصة الإسراء

بمد الهَمزة.

وبعد عام مَعَ نصف أُسْرِيَا به إلى السماء حتى حَظِيَا
 من مكة الغرًّا إلى القدس علي ظهر الثَّراق رَاكِبًا ثُمَّ عَلَا
 إلى السماء معه جبريلُ فاستفتح الباب له يقولُ
 مجيبًا إذ قيل له من ذا معك محمدٌ معي فرحَّب الملك
 ثم تلاقى مع الأنبياء وكل واحد لدى سماء
 ثم عَلَا المستوى قد سَمِعَا صرِيف الأَقلامِ بِمَا قد وقعا
 ثم دَنَا حتى رأى الإلهَا بعينه مُحَاظِبًا شَفَاهَا
 أوحى له سبحانه ما أوحى فلا تسل عما جرى تصرِيحَا
 وفرض الصلاة خمسينَ على أمته حتَّى لَحْمَسَ نَزَلَا
 والأجرُ خمسونَ كما قد كَانَا وزاده من فضله إِحْسَانَا

اختلف في المعراج والإسراء هل كانا في ليلة أو ليلتين وأيهما كان قبل، وهل كان يقظة أو منامًا؟ بجسده أو بروحه مرة أو أكثر على أقاويل لا تكاد تحصى^(١).

واختلف فيه متى كان فقول: في ربيع الأول، وقيل: في الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان، وروى البيهقي^(٢) عن الزهري أنه كان قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وكذا رواه ابن لهيعة فيكون في ربيع الأول، وروى الحاكم عن السُّدي أنه قبل السهجرة بسنة عشر شهرًا فيكون في ذي القعدة؛ والذي جرى عليه الناظم أنه كان بعدما بلغ رسول الله إحدى وخمسين سنة ونصف سنة فأُسْري بجسده لا بروحه فقط على الأصح (إلى السماء حتى حظيا) بفتح الحاء المهملة والألف للإطلاق أي حظي عند ربه بالمنزلة الرفيعة.

واختلف في الموضع الذي أُسْري به منه فقول: من شعب أبي طالب، وقيل: من بيت أم هانئ، وقيل: من الحجر بالمسجد الحرام (من مكة الغراء) أي المضيئة المشرق نورها إلى

(١) والصواب الذي تعضده الأدلة أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وكانا بروحه وجسده ﷺ.

(٢) دلائل النبوة (٢/٣٥٤).

بيت المقدس راكباً على البراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى بصره، فركبه حتى أتى بيت المقدس فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين ثم خرج وعلا إلى السماء ومعه جبريل فاستفتح له جبريل الباب فقال له خازن السماء: من ذا معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه، قال: نعم، فرحب بشدة الحاء المهملة (الملك) بفتح اللام أي خازن السماء لما فتح له فدخل.

وقول الناظم: (ثم تلاقي مع الأنبياء) بوصل الهمزة وتحريك اللام للوزن أي لقي آدم وإدريس وهارون وموسى ويحيى وعيسى ويوسف وإبراهيم وكل منهم رحب به ودعا له، وقوله: (وكل واحد لدى سماء) أي: وكل واحد منهم في سماء ما عدا عيسى ويحيى فقد كانا في السماء الثانية معاً.

ثم حرق الطبايق السبع ومعه جبريل وعلا لمستوى أي: مصعد يصعد عليه وسمع فيه صريف الأقلام أي: تصويتها حال الكتابة بما قد وقع أي: بما كان وما يكون، ثم دنا قتلتلى^(١)، حتى رأى الإله سبحانه بعين رأسه وقيل: بعين قلبه، وقيل: رأى نوراً^(٢) قال بعضُ المحققين: والمختار أنه رآه على أكمل ما يكون من الرؤية فرآه حال كونه مخاطباً له شفاهاً أي مشافهةً من غير واسطة فأوحى له سبحانه، فلا تسأل عما جرى بينهما من المخاطبة والمشاهدة تصريحاً بالكلام. وقوله: (فلا تسل) بفتح السين المهملة وحذف الهمزة للوزن.

و(فرض) الله من جملة ما أوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة عليه وعلى أمته، فلم يزل يرجع بإشارة موسى ويسأل ربه التخفيف ويخفف عنه حتى نزل بعد الخمسين إلى خمس صلوات وجعل أجر الخمسين كما كان فلم ينقص منه، والصحيح أن فرض الصلاة كان ليلة المعراج كما تقرر.

(١) والصحيح أن الذي دنا قتلتلى هو جبريل عليه السلام، وما جاء في البخاري من رواية شريك: (ثم دنا الجبار رب العزة)، فلا يصح؛ حيث إن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قد اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه، وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله ﷻ.. قال: «وقول عائشة، وابن مسعود، وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصبح...» انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣).

(٢) والصحيح في هذه المسألة أن النبي ﷺ رأى ربه ولكن لم يثبت أنه رآه ليلة المعراج. والله أعلم، وانظر: مسلم (١٧٨).

وقول الناظم: (وزاده من فضله إحساناً) أي: له ولأتمته هذا تقريرُ كلام الناظم.
 قال عياض: وفي هذا أحاديث كثيرة منتشرة يريد بعضها على بعض وأكملها
 حديث مسلم^(١) عن أنس أن رسول الله قال: «أتيتُ بالبراق وهو ذابة أبيض طويل فوق
 الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته
 بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلتُ المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ فجاءني
 جبريل يأناء من خر وإناء من لبن فاخترتُ اللبن فقال لي جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج
 بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد،
 قيل: وقد بُعثَ إليه، قال: قد بُعثَ إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي
 بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن
 معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة
 عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا - صلى الله عليهما - فرحبا بي ودُعوا لي بخير. ثم عرج بنا
 إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر
 الحسن فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فذكر مثله فإذا أنا يادريس
 فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مریم: ٥٧].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير. ثم
 عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج
 بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو
 يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها
 كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من
 خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة
 في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة،
 قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني
 إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعتُ إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحط عني

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس عليه السلام، وفيهما عن غيره من
 الصحابة عليه السلام.

خمسًا، فرجعتُ إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجعُ بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنَّهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استجيت منه».

وفي حديث ابن شهاب: أن كل نبي قال: «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم قالا له الابن الصالح». وفي حديث ابن عباس: «ثم ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقدام».

وفي حديث مالك بن صعصعة: «فلما جاوزتُ موسى بكى فتودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمتي الجنة أكثر مما يدخل من أمتي».

وفي حديث أبي هريرة^(١): «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأمتهم، قال قائل منهم: يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفتُ فبدأنى بالسلام».

وفي حديث أبي هريرة أن الملائكة قالوا: «حيَّاه الله من أخ وخليفة ونعم الأخ ونعم الخليفة»، وأنهم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، وذكر كلام المصطفى فقال: وإن محمدًا أثنى على ربه فقال: «كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وأنزل علي القرآن فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمتي أمة وسطًا هم الأولون وهم الآخرون، وشرح لي صدري ووضعت عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحًا وخاتمًا، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد».

وفي طريق الربيع بن أنس أنه يخرج من أصل سدرة المنتهى أنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا، وأن ورقة منها مظلة الخلق فقال تبارك وتعالى له: سل،

فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً وأنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الإنس والجن والشياطين والرياح وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يريئ الأكمه والأبرص وأعدته وأمه من الشيطان فلم يكن له عليهما سبيل، فقال له ربه قد اتخذتك خليلاً حبيباً فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلتُ أمتك هم الأولون والآخرون، وجعلتُ أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبيدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني ولم أعطها نبياً قبلك، وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً. انتهى كلام القاضي عياض^(١).

وذكر ابن النقيب المفسر أن خواتيم سورة البقرة تلقاها ليلة الإسراء المصطفى بغير واسطة. وفي بعض طرقه أن الراق استصعب عليه فقال جبريل: ألمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض^(٢) (عليه) عرقاً.

فصَدَّقَ الصِّدِّيقُ ذُو الْوَفَاءِ	وَكَذَّبَ الْكُفَّارُ بِالْإِسْرَاءِ
وَسَأَلُوهُ عَنْ صِفَاتِ الْقُدُسِ	رَفَعَهُ إِلَيْهِ رُوحُ الْقُدُسِ
جَبْرِيلَ حَتَّى حَقَّقَ الْأَوْصَافَا	لَهُ فَمَا طَاقُوا لَهُ خِلَافَا
لَكِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا وَجَحَدُوا	فَأَهْلَكُوا فِي الْعَذَابِ خُلَدَا

لَمَّا أَصْبَحَ الْمُصْطَفَى غَدَا عَلَى قَرِيشٍ فَانْتَهَى إِلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ فِي الْحَطِيمِ مِنْهُمْ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِي وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ: «صَلَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَصَلَيْتُ بِهِ الْغَدَاةَ وَأَتَيْتُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ثُمَّ عُرِجَ بِي»، وذكر القصة، فأعظموا ذلك وقالوا: هذا والله الأمر المبين إن العير لتطرد شهرًا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرًا مقبلة فيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة، فارتد كثير ممن كان أسلم وقال المطعم: كل أمرك قبل اليوم كان أئماً غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب، وكان للمطعم حوض على زمزم فهدمه وأقسم باللات والعزى لا

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (١/١٨٣)، وذكر الحديث الذهبي في الميزان (٣/٣٢٠)، وقال: إن فيه ألفاظاً منكراً جداً.

يسقي منه قطرة أبداً، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء في هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ثم رجع إلى مكة، فقال: إنكم تكذبون عليه؟ قالوا: ها هو ذا بالمسجد يحدث به الناس، قال: والله إن كان قال لقد صدقكم فما يعجبكم فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة فأصدق وأنا أشهد أنه صادق، فلذلك سمي الصديق وهو (ذو الوفاء) بما يقول ويفعل.

وسأله عن صفات بيت المقدس فرفعه إليه روح القدس جبريل أو صورته له في جناحه حتى حقق لهم أوصافه فجعل يصفه باباً باباً ويصف موضعاً موضعاً وأبو بكر يقول: صدقت صدقت، فما قدروا على معارضته ولا أطاقوا له خلافاً لكنهم كذبوه عناداً ووجدوا ما وضع لهم فأهلكوا في الدنيا (وفي العذاب) الأليم في الآخرة (خلدوا)، وقول الناظم: (طابقوا) يحذف الهزمة للضرورة.

وفي حديث أم هانئ أنهم قالوا له: ما آية ذلك فإننا لم نسمع بمثل هذا قط، قال: «آيته أني مررتُ بعير بنسي فلان بوادي كذا فأنفرهم حس الدابة فندُّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى القدس، ثم أقبلت حتى إذا مررتُ بعير بنسي فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غَطُّوا عليه بشيء فكشفته وشربتُ ما فيه ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التعيم يقدمها جملٌ أورق عليه غرارتان إحداها سوداء»^(١)، فابتدر القوم الثنية فلم يلقههم أولٌ من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الإناء فأخبروه أنهم وضعوه مملوءاً ماءً ثم غطوه وانتبهوا فوجدوه مغطى لا ماء فيه.

وفي بعض الطرق أنه عيّن لقنوم العير يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله فحبسها حتى قدموا كما وصف قال: ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع، قال بعضهم: وفي حديث رد الشمس لعلي كلاً ثم طویل محصله أنها حبست للنبي مرتين ولموسى وليوشع وداود ولسليمان ولعلي عليهم السلام وعليه الرضوان^(٢).
واعلم أنه اختلف في المعراج كما مر فقول: إنه قبل الإسراء، وقيل: ليلته، وقيل: كان من

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٣٢/٢٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٧٥/١)، وقال: «فيه عبد الأعلى بن أبي مساور، متروك كذاب» اهـ.

(٢) انظر: فتح الباري (٢٢٢/٦).

مكة، وقيل: تعدد. وروى ابن سعد أن المصطفى كان يسأل ربه أن يريه الجنة والنار فلمّا كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلّت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا وهو نائم في بيته ظهرًا أتاه جبريل وميكائيل فقالا: انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأبى بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظرًا، وفي بعض الطرق أنه الذي عمد الميت بصره إليه. فخرج به إلى السماوات سماء سماء وقال: إنه لم يسمع في السابعة إلا صريف الأقلام وأنه فرضت عليه الخمس ونزل جبريل فصلّى به الصلاة في موافقتها ركعتين ركعتين.

وقال ابن كثير: لمّا فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعضهم.

وقال ابن العربي: إن ذلك كله كان مرتين مرة في المنام توطئة وأخرى في اليقظة، وفي ذلك كله كلام منتشر وخلاف طويل يخرجنا ذكره عن المقصود.



باب ذكر عرض النبي نفسه على القبائل

من العرب وبيعة الأنصار لما هداهم الله إلى الإسلام

والقبائل جمع قبيلة وهم بنو أب وجدّ، والبيعة يفتح الباء بذل الطاعة للإيمان، واللام في الأنصار للعهد أي: أنصار الرسول سماهم به أخذًا من قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أُورُوا وَكُصِّرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، فصار علمًا بالغلبة وهم وإن كانوا ألوفاً استعمل فيهم جمع القلة لأن اللام للعموم.

قَبِيلَةٌ قَبِيلَةٌ لِيَخْضُلَا
رِسَالَةَ اللَّهِ فَكُلٌّ يَنْزَعُ
عَنْ قَوْلِهِ وَيَهْزُوا وَيَرْفُضُوا
فَاسْتَبَقُوا لِلْخَيْرِ بِاخْتِيَارِ
بِهِ جَمِيعُ أَهْلِهِ فَرُحُوا
عَقَبَةَ دَعَاهُمْ إِلَى الْهُدَى
لِقَوْمِهِمْ يَدْعُوهُمْ فَسَمِعُوا
فِي قَابِلٍ مِنْهُمْ وَمَنْ أَسْلَمَا

وَعَرَضَ النَّبِيُّ نَفْسَهُ عَلَى
إِسْوَاؤِهِ مِنْ بَعْضِهِمْ يَبْلُغُ
إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ حَتَّى يُفَرِّضُوا
حَتَّى أَتَاهُ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ
فِيَسْلِمُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يُسَلِّمُ
لِقَوْمِي سِتًّا أَوْ ثَمَانِيًّا لَدَى
فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ ثُمَّ رَجَعُوا
حَتَّى فَشَا الْإِسْلَامُ ثُمَّ قَدِمَا

ليبعة ضعفُ الذين أسلفوا كيعة النساء ثم انصرفوا
 ثم أتى من قابل سَعُونَا ونيف فبايعوا يُخفونَا
 يِعْتَهُمْ لِيلاً وَنِعَمَ الْبَيْعَةُ جزاء مَنْ بايع فيها الجُثَّة

قد عرض النبي نفسه على قبائل العرب في موقف عرفة قبيلة بعد قبيلة عدة سنين ويقول: «ألا رجل يعرض عليّ قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ رسالة ربي»^(١). ليحصل له إيواء أي: ينضم إلى قبيلة تؤويه وتحميه (فكلّ) منهم (ينزع) بفتح الزاي بضبط الناطم (إلهم الشيطان حتى يعرضوا) عن قوله لهم من القرآن والمواظ فيولوا عنه وهم يهزؤا، أي: يهزؤا به (ويرفضوا) أي: يرموا بمقالته ويترفعوا عن مجالسته، وأبو لهب وراءه يكذبه وينهاهم عن اتباعه، ولم يزل الشأن على ما ذكر حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه فأناح أي قيض الله له الأنصار وهم الأوس والخزرج لما قدره الله لهم من السعادة، فانتهى إلى نفر منهم وهم يخلقون فقعد إليهم ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستبقوا للخير واستجابوا لله ولرسوله وأووا ونصروا، فلذلك سمو الأنصار وهو لقب إسلامي.

وكانوا قبل ذلك يعرفون بني قيلة وبالأوس والخزرج وذلك كله باختيار منهم، وكان يسلم الواحد منهم ويذهب إلى قومه فيعرض عليهم الإسلام فيسلم جميع قومه فرحموا بإجابتهم وإسلامهم، وكانوا سناً: أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، ومنهم من جعل عبادة بن الصامت مكان جابر، وقيل: كانوا ثمانية بزيادة أبي الهيثم بن التيهان، ومعاذ بن عفرأ، فلما عرفوه بصفاته التسي كانوا يسمعونها من اليهود أهل الكتاب ودعاهم إلى الهدى أجابوه فآمنوا بالله ثم انصرفوا من عنده ورجعوا إلى بلادهم حتى أتوا قومهم فأعلموهم بما كان ودعوههم إلى الإسلام فسمعوا وأطاعوا حتى فشا الإسلام فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله.

وذكر ابن الجوزي بسنده أن الأوس بن حارثة لما احتضر قالوا له: كنا نأمرك بالتزوج

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١) من حديث جابر رضي الله عنه. وانظر: صحيح أبي داود للعلامة الألباني (٢٣٤/٣)

فتأبى وهذا أخوك الخزرج له خمس بنين وليس لك إلا مالك، قال: لن يهلك هالك ترك مثل مالك وأنشد:

ألم يأت قومي أن لله دعوة يفوزُ بها أهل السعادة والبر
إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنا لك فأبغوا نصرة ببلادكم بني عامر إن السعادة في النصر

ثم قدم منهم مكة في العام القابل ممن أسلم أولاً خمسة أسعد بن زرارة وعوف ورافع وقطبة وعقبة، ومن غيرهم من الأنصار سبعة ذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة، ومعاذ بن عفراء، وأبو الهيثم مالك بن التيهان وعُومُ بن ساعدة، فكانوا ضعف الستة أي اثني عشر لبيعة الإسلام فأسلموا وبايعوا وكانت بيعتهم كبيعة النساء أي على بيعة النساء فتلا عليهم آية النساء وهو أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا بيهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصون في معروف فإن فیتم فلکم الجنة وإن غشيتهم من ذلك شيئاً فأصبتهم بحمد في الدنيا فهو كفارة له في الدنيا وإن سترتم عليه فأمرکم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر، وذلك قبل أن تفرض الحرب، ثم انصرفوا إلى المدينة وكتبوا إلى المصطفى:

ابعث إلينا من يقرئنا القرآن ويفقهنا فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة فكان يدعى المقرئ والقارئ وهو أول من سمي بذلك، وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذلك أن ابن معاذ بلغه اجتماع مصعب مع رجال ممن أسلم بحائط من الحوائط فبعث أسيد بن حضير ليزجرهم حياءً من خاله أسعد بن زرارة فلما جاء وأخذ في كلام يزجر به قال له مصعب: أوتجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكرهه؟ قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ القرآن.

فقال: ما أحسن هذا، كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قال: تغتسل، وتطهر ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام ففعل، ثم قال: أرى رجلاً إن اتبعكم لم يتخلف أحد وسأرسله الآن سعد بن معاذ، ثم انصرف، فلما رآه سعد مقبلاً قال: أحلفُ بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به، فقال له سعد: ما فعلت فذكر القصة وحاصلها أن سعد بن معاذ أسلم ثم عاد إلى قومه فقال: يا بني عبد الأشهل كيف

تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا، قال: كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مُسلمة.
وفي تاريخ البخاري الأوسط^(١) أن أهل مكة سمعوا هاتفاً قبل إسلام سعد بن معاذ يقول:

فإن يُسلم السعدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلاف المخالف
فظنوا أنه يريد السعدين سعدهم وسعد بن زيد مناة فقال:

أيا سعدُ سعدُ الأوس كن أنت ناصراً ويا سعدُ سعدُ الخزرجين الغطارف
أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس ثنية عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رُفارف
(ثم أي من) العام (القابل) في أيام التشريق من الأنصار (سبعون) رجلاً (ويُف)
بشدة الباء أي: ورجل أو رجلان وامرأتان وهي البيعة الثانية فسلموا على المصطفى
بعكة فواعدهم ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا
انحدروا من منى في أسفل العقبة حيث المسجد الآن.

وأمرهم أن لا يبنهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً فخرج القوم يتسللون وسبقهم النبي
لذلك الموضع ومعه العباس فقط فأول من تكلم العباسُ فقال:

يا معشر الخزرج إنكم دعوتُم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمدٌ من أعز الناس في
عشيرته يمنع من كان على قوله ومن لم يكن على قوله بمنعه الشرف والحسب وقد أبي
إلا الانقطاع إليكم فإن كنتم ترون أنكم تفون له وأنكم أهل جلد وقوة وبصر بالحرب
واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم واتمروا ولا تفرقوا
إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه، فقال البراء بن معرور: سمعنا ما قلت، ولو
كان في أنفسنا غير ما ننطق به قلناه ولكننا نريد الوفاء وبذل المهج دونه.

ثم قرأ عليهم القرآن ورغبهم في الإسلام فأجابه البراء بالإيمان والتصديق وهو أول
من بايع وقيل أسعد بن زرارة وقيل: أبو الهيثم بن التيهان فبايعوا كلهم وهم يحلفون على
بيعتهم، وأخرج لهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

(١) انظر: التاريخ الصغير للبخاري (٢٥/١)، وتاريخ الطبري (٥٧٠/١).

وفي حديث ابن سعد فقال رسول الله: «إن موسى اتخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً فلا يجدن أحد منكم في نفسه أن يؤخذ غيره فأئماً يختار لسي جبريل»^(١). وكانت (يبيعهم ليلاً ونعم البيعة جزاء من بايع فيها الجنة) أي: دخولها لأن المصطفى اشترط عليهم شروطاً وجعل لهم على الوفاء بها الجنة، فلما بايع القوم وكمّلوا صاح الشيطان على العقبة: يا أهل الأخاشب هل لكم في محمد والصبابة معه أجمعوا على حربكم، فقال المصطفى: «أفضوا إلى رحالكم» فقال العباس بن عباد: والذي بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيافنا وما أحد عليه سيف تلك الليلة وغيره، قال: «لَمْ أؤمر بذلك» فتفرقوا إلى رحالهم فلما أصبحوا غدت جلة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا ووعدتموه أن تبايعوه على حربنا وأيم الله ما حي من العرب أبغض إلينا من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم، فانبعث من كان ثم من الخزرج من المشركين يحلفون ما كان هذا وما علمنا ثم رحلوا وطابت بذلك نفس المصطفى إذ جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب ونجدة.



باب ذكر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة

وَإِذْ فَشَا الْإِسْلَامُ بِالْمَدِينَةِ	هَاجَرَ مَنْ يَحْفَظُ فِيهَا دِينَهُ
وَعَزَمَ الصَّدِيقُ أَنْ يُهَاجِرَا	فَرَدَّهُ النَّبِيُّ حَتَّى هَاجِرَا
مَعًا إِلَيْهِمَا فَتَرَفَقَا إِلَى	غَارِ بَثُورٍ بَعْدَ ثَمِّ ارْتِحِلَا
وَمَعَهُمَا عَامِرُ مَوْلَى الصَّدِيقِ	وَابْنُ أَرَيْقَطٍ دَلِيلٌ لِلطَّرِيقِ
فَاتَّخَذُوا نَحْوَ طَرِيقِ السَّاحِلِ	وَالْحَقُّ لِلْعَدُوِّ خَيْرٌ شَاغِلِ
تَبِعَهُمْ سُرَاقَةٌ بَنَ مَالِكَ	يَرِيدُ فِتْكَاً وَهُوَ غَيْرُ فَاتِكِ
لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ سَاخَتِ الْقَرْسُ	نَادَاهُ بِالْأَمَانِ إِذْ عَنْهُ حِسْ

وحين فشا الإسلام أي: ظهر وانتشر بالمدينة شكوا أصحاب رسول الله ﷺ ما وجدوه من أذى المشركين واستأذنوه في الهجرة إلى المدينة فأذن فهاجر إليها كل من

(١) انظر: الطبقات الكبرى (١/١٧٢).

يُحَافِظُ عَلَى دِينِهِ، فَنَجَّاهُ أَرْسَالاً قَلِيلًا: وَأَوَّلُهُمْ أَبُو سَلَمَةَ أَخُو النَّبِيِّ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَحَبِسَتْ عَنْهُ زَوْجَتُهُ بِمَكَّةَ نَحْوَ سَنَةٍ ثُمَّ أُذِنَ لَهَا بَنُو الْمُغِيرَةِ فَهَاجَرَتْ، وَقِيلَ: مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، فَأَوَاهُمُ الْأَنْصَارُ وَوَأَسَوْهُمْ وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ إِلَّا الْمُصْطَفَى وَالصَّدِيقُ وَالْمُرْتَضَى أَوْ مَجْبُوسٌ أَوْ مَرِيضٌ، وَعَزَمَ الصَّدِيقُ عَلَى الْمَهَاجِرَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: «لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا»^(١).

فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّهُ عَنِ الْمَسِيرِ حَتَّى هَاجَرَ مَعًا، وَسَبَبَ هَجْرَتَهُ أَنْ قَرِيشًا لَمَّا رَأَتْ خُرُوجَ مَنْ أَسْلَمَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِالذَّرَارِيِّ وَالْأَطْفَالِ خَافَتْ خُرُوجَ الْمُصْطَفَى وَعَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لِلْمُسْلِمِينَ مَنَعَةٌ وَقُوَّةٌ فَاجْتَمَعُوا لِلتَّشَاوُرِ فِي أَمْرِهِ وَحَضَرَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِيٍّ فَأَشَارَ كُلُّ بَرَاءٍ وَإِبْلِيسُ يَرُدُّهُ إِلَى أَنْ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَرِيشٍ غَلَامًا بِسَيْفٍ فَيَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ فَلَا يُمْكِنُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ حَرْبَ الْكُلِّ فَيَرْضَوْنَ بِالْفَعْلِ، فَقَالَ النَّجْدِيُّ: هَذَا هُوَ الرَّأْيُ فَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ.

وَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ النَّبِيَّ بِذَلِكَ فَلَمْ يَنْمِ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَاجْتَمَعُوا بِيَابِهِ يَرِصُدُونَهُ لِيَنَامَ فَيُثْبِتُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَعَلِّي: «كُنْتُ عَلَى فَرَّاشِي وَتَسَجُّ بِيَرْدِي فَلَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ» وَأَخَذَ حَفْنَةَ تَرَابٍ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَرَوْهُ فَوَضَعَ التَّرَابَ عَلَى رِعَوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو سُورَةَ يَسَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَأَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ: خَرَجَ مُحَمَّدٌ وَمَا مِنْكُمْ إِلَّا مِنْ وَضَعٍ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا فَوَضَعَ كُلُّ مَنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَوَجَدَ التَّرَابَ ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَّلَعُونَ فَيَرُونَ عَلِيًّا عَلَى الْفَرَّاشِ مَتَسَجِّيًا بِيَرْدٍ رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَ نَائِمٌ عَلَى فَرَّاشِهِ فَلَمْ يَرَوْهُ كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا فَقَامَ عَلِيٌّ مِنَ الْفَرَّاشِ وَجَاءَ الْمُصْطَفَى إِلَى بَيْتِ الصَّدِيقِ ظَهْرًا فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَذَّنَ لِي فِي الْمَهْجَرَةِ» فَقَالَ: الصَّحْبَةُ، عِنْدِي نَاقَتَانِ أُعْطِيكَ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَ: «بِالْثَمَنِ» فَتَجَهَّزَا قَالَتْ عَائِشَةُ: وَضَعْنَا لَهُمَا سُرَّةً مِنْ جَرَابٍ فَقَطَّعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نَطَاقِهَا فَرِبَطْتُ بِهِ فَمَهْ فَسَمِيتُ ذَاتَ النَّطَاقَيْنِ^(٢)، فَنَجَّاهُ مِنْ نَخْوَةٍ^(٣) لِأَبِي بَكْرٍ لَيْلًا فَتَرَفَّقَا إِلَى الْغَارِ وَهُوَ

(١) ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْجَمْعِ (٦/٢٢٢)، وَغَرَاهُ لِلطَّيْرَانِ وَقَالَ: «فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ الدَّمَشَقِيُّ، ضَعَفَهُ أَبُو حَاتِمٍ» - اهـ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٠٦) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -.

(٣) الْخَوْخَةُ: بَابٌ صَغِيرٌ وَسَطٌ بَابٌ كَبِيرٌ تُصَبُّ حَاجِزًا بَيْنَ ذَاكِرَيْنِ.

بشور جبل بقرب مكة فدخله، وخيم العنكبوت على بابه وفرخت حمامة^(١). وطلبت قريش المصطفى أشد الطلب وجعلت لمن دل عليه مائة ناقة وأتوا إلى الغار فوجدوه كذلك حتى قال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى رجله لرآنا، فقال: «اسكت ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٢) فتقدم جمع منهم فنظروا الحمامتين والعنكبوت فقالوا: ليس في الغار شيء، وكان عامر بن فهيرة يأتيهم ليلاً ثم يسرح مع الناس ومكثا ثلاث ليال يأتيهما عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بما سمع من القوم وبعد ثلاث ارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما، واستأجرا عبد الله بن أريقط من بني عبد بن عدي يدلهما على الطريق وكان كافراً إذ ذاك ولم يعرف له إسلام فأخذوا نحو طريق الساحل أسفل من عُسقَان والحق سبحانه شاغل لعدوهم عن اتباع آثارهم من تلك الجهة.

وبلغ سراقه بن مالك المدلجي أن سواداً من الساحل فركب فرسه منتهزاً للفرصة خفية من قومه (يريد) برسول الله ﷺ (فتكأ) أي: قتلاً ليحصل على ما جعلت قريش لمن رده أو قتله (وهو غير فاتك) به لأن الله حماه وعصمه، فحث في الطلب حتى أدركهما فصرع عن فرسه فأخرج الأزلام فاستقسم بها فيكره فركب وحث في الطلب فصار أبو بكر يكثر التلفت والمصطفى يقرأ ولا يلتفت فلما قرب منهما قال: «اللهم اكفناهُ كيف شئت وبما شئت»^(٣).

ودعا عليه فساخت يدا فرسه إلى بطنها في أرض جلدٍ وخر عنها فناداه بالأمان لحبسه عن لحوقه له فدعا له فانطلق فرسه ووقف المصطفى حتى جاءه فأخبره ما يريد به قومه وأنهم قد جعلوا فيه الدية، فقال: أخف علينا فرجع فوجدتهم يلمسونه فقال: ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هاهنا، قال: فخرجت وأنا أحب الناس في تحصيلهما ورجعت وأنا أحبهم في أن لا يعلم بهما أحد وفي ذلك يقول مخاطباً لأبي جهل: أبا حكم لو كنت والله شاهداً لأمر جوادي إذ تسبخ قوائمه

(١) لا يصح ما ورد في تفريخ الحمامة وتخيم العنكبوت على باب الغار. وانظر: السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني - رحمه الله - (٢/٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

علمت ولم تشكك بأن محمداً رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
 عليك بكف القوم عنه فإنني أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
 بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طراً تسالمة
 ويُقال: إن المصطفى كتب له كتاباً بالأمان في عظم أو آدم وأنه وافاه به يوم
 الفتح فرحب به وأمنه، ووقع لسراقة هذا عَلمٌ من أعلام النبوة وهو قول المصطفى:
 «كيف بك إذا لبست سوارى كسرى»^(١) فليسهما أيام عمر.



باب ذكر مروره ﷺ بامر معبد

بفتح الميم واسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية ويعرف ذلك الموضوع الآن
 بخيمة أم معبد.

مَرُّوا عَلَى خِيْمَةِ أُم مَعْبَدٍ وَهِيَ عَلَى طَرِيقِهِمْ بِمَرْصَدٍ
 وَعِنْدَهَا شَاةٌ أَضَرَّ الْجَهْدُ فَمَسَحَ النَّبِيُّ مِنْهَا الضَّرْعَ عَاً
 وَحَلَبَتْ بَعْدَ إِنْءَاءٍ آخِرَا وَهِيَ عَلَى طَرِيقِهِمْ مَحْتَبَةً بِفَنَاءِ خِيْمَتِهَا تَسْقِي الْمَارَةَ مِنْ
 الْمَاءِ وَاللَّيْنِ، (بمرصد) بفتح الميم والمرصد الموضوع الذي يرصد فيه أي: يقعد فيه ليرصد من
 يَمُرُّ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ.

ونظر النبي (عندها شاة) قال: ما هذه؟ قالت: (شاة أضرم الجهد بها وما بها
 قوى) بضم القاف جمع قوة أي: ليس بها قوة (تشتد) بها حتى تلحق الغنم ترعى معهم،
 قال: «هل بها من لبن»، قالت: هي أحجد من ذلك، (فمسح النبي منها) ظهرها والضرع.
 وسمى ودعا (فحلبت ما قد كفاهم وسعاً) بضم الواو أي: ما تحمله طاقتهم من الرى،
 وحلب النبي بعد ذلك إناء آخر ثانياً (وترك ذاك) الإناء (عندها) مملوءاً وسافر بعد أن
 بايعها على الإسلام.

واستمرت تلك البركة فيها، ثم لما رحلوا جاء زوجها أكثم بن الجون يسوق

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٢٥/٦).

أعزّزاً عجافاً فلمّا رأى اللّبن عجب، وقال: من أين ولا حلوب في البيت؟ قالت: مر بنا رجل مبارك من حاله كذا، قال: صفيه، قالت: رجل ظاهر الوضأة أبلج الوجه حسن الخلق لم تبعه ثحلة ولم تُزَرِّ بهِ صعلّة، وسيّم قسيّم في عينيه دعيّ وفي أشفاره وطفّ وفي عنقه سطحّ وفي صوته صلحّ، وفي لحيته كثافة، أحور أكحل أقرن شديد سواد الشعر، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو النطق، فصلّ لا هزّ ولا تزرّ، كأن منطقته خرزات نظمن ينحدرن، ربعة لا بائن من طول ولا تقنحمة عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدّاً، له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره وقد هممت أن أصحبه ولأنعلن إن وجدت لذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يرون صاحبه يقول:

جـزى الله ربّ الناس خيرَ جزائه	رفيقين حـلا خيمتي أم معبد
هُما نـزلا بالهُدى واعتدوا به	فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم	به من فعال لا يجارى وسؤدد
ليهن بني كعب مكان فتاقهم	ومرصدها للمؤمنين بمقعد
سلوا أختكم عن شاتها وإنالها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بضريع ضرة الشاة مزبد

قالت أسماء: فلمّا سمعناه عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة^(١).



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١١/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٦/١) من حديث هشام بن حيش بن خويلد رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في المجمع (٥٨/٦) وعزاه للطبراني، وقال: «وفي إسناده جماعة لم أعرفهم». اهـ

باب ذكر وصوله - أي رسول الله - إلى قباء

موضع بئر على ثلاثة أميال من المدينة ثم وصوله إلى المدينة الشريفة.

حتى إذا أتى إلى قباء
ففي يوم الاثنين لثني عشرة
أقام أربعاً لديهم وطلع
في مسجد الجمعة وهي أول
وقيل بل أقام أربع عشره
وهو الذي أخرج به الشيخان
بمسجد الجمعة يوم الجمعة
إلا على القول بكون القدمة
بني بها مسجده وأرجح
نزلها بالسعد والهناء
من شهر مولد فنعيم الهجرة
في يوم الجمعة فصلّى وجمع
ما جمع النبي فيما نقلوا
فيهم وهم يتحللون ذكره
لكن ما مر من الإتيان
لا يستقيم مع هذي المدة
إلى قبا كانت يوم الجمعة
لطيفة الفيحاء طابت نزلها

كان المهاجرون والأنصار يفتنون إلى قباء ينتظرون قدومه في أول النهار فإذا
أحرقتهم الشمس رجعوا، فلما كان يوم قدومه غدوا كعادتهم فلما أحرقتهم الشمس
رجعوا فإذا يهودي يصيح على أطم: يا بني قيلة هذا صاحبكم، فلبسوا السلاح وتلقوه
فقدم حتى وصل إلى موضع قباء نزلها بالسعد والهناء في يوم الاثنين لثني عشرة
ليلة خلت من شهر مولده وهو ربيع الأول سنة سبع مائة وثلاثة وثلاثين من ذي القرنين،
فنعيم تلك الهجرة كانت.

وجاء المسلمون يسلمون عليه وهو جالس في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنة
وأكثرهم لم يكن رأى المصطفى قبل ذلك، وأنكر الناس ما يعرفونه من أبي بكر حتى
زال الظل عنه فقام أبو بكر يظله بردائه فعرفوه وجعل الصبيان والنساء يقلن: (١).

أقبل البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن هدم، وقيل: على سعد بن خيثمة وجمع

(١) قال ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد: لا يصح ذلك الخبر؛ لأن ثنيات الوداع من ناحية الشام،
وليست من ناحية مكة. وانظر: السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني - رحمه الله - (٦٣/٢).

بينهما بأنه كان إذا خرج من بيت كلثوم جلس في بيت سعد لأنه كان عزياً، وكان يُقال لبيته: بيت العُزَّاب، وكان منزل المهاجرين منهم.

ونزل أبو بكر على خُبيب بن إساف بالسُّنح، وقيل: على خارجة بن زيد، وأقام المصطفى في قباء في بني عمرو بن عوف أربعاً الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، ثم طلع من بين أظهرهم يوم الجمعة فركب راحلته ومشوا حولها ولا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامها شحاً على كرامته فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانوءاء بفتح المهمله وبعد الألف نون مضمومة وبعد الواو نون مفتوحة وألف ممدودة فكانت أول جمعة صلاها في المدينة بمن معه من المسلمين، وهم مائة في مسجد الجمعة.

وخطبهم وهي أول خطبة خطبها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيُّها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فليظنن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدومه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق ثمرة فليفعل فإن لم يجد فبكلمة طيبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

وما ذكر من أنه أقام في بني عوف أربعة أيام هو ما وقع لجمع من أهل السير، وقيل: بل أقام فيهم أربع عشرة ليلة.

وقول الناظم: (وهم ينتحلون) بحاء مهملة أي: وأهل العلم بالسير يجنحون إلى هذا القول ويميلون إليه وهو الأكثر في كلامهم وهو الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين^(٢) من حديث أنس لكن يُعارضه ما مرَّ أولاً من كون الإتيان بمسجد

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥٢٤/٢). وقد وردت بعض جمل منه في صحيح البخاري

(١٤١٣) دون ذكر أنها كانت في أول خطبة له بالمدينة، وفيه: «... ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله

ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أولئك مالاً؟، فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم

أرسل إليك رسولاً؟، فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار،

فليقتن أحدكم النار ولو بشق ثمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣٢). ومسلم (٥٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

الجمعة إنما كان يوم الجمعة إذ لا يستقيم حسابه مع القول بأنه أقام في بني عمرو بن عوف أربعة عشر إلا على القول بكون قدومه إلى قُباء كان يوم الجمعة لا الإثنين. وبنى أي أسس رسول الله ﷺ بقاء مسجده ولحقه علي بن أبي طالب وكان تأخر ثلاث ليال لرد الودائع التي كانت عند المصطفى ﷺ لأهلها، ثم ارتحل لطيبة وهو اسم للمدينة الشريفة سميت به لطيبها، ووصفها بقوله: (الفيحاء) من فاح الطيب إذا تضرع.

وقول الناظم: (لكن) بتشديد النون للوزن، والقدمة بفتح القاف وسكون الدال مصدر قدم من سفره، وقُبا بالمد والقصر، والباء في قوله: (يوم) زائدة، وقوله: (طابت نزلا) النزول ما يهيا للضيف قبل وصوله.

فَبَرَكْتَ نَاقَتُهُ الْمَأْمُورَةُ بِمَوْضِعِ الْمَسْجِدِ فِي الظَّهِيرَةِ
فَحَلَّ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى ابْتَنَى مَسْجِدَهُ الرَّحْبِيَا
وَحَوْلَهُ مَنَازِلًا لِأَهْلِهِ وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ فِي ظِلِّهِ
لَمَّا ارْتَحَلَ الْمُصْطَفَى قَاصِدًا الْمَدِينَةَ أَتَاهُ عَتَبَانُ بْنُ مَالِكٍ فِي رَجَالٍ مِنْ بَنِي سَالِمٍ فَأَخَذُوا خَطَامَ نَاقَتِهِ فَقَالُوا: أَقْمِ عِنْدَنَا فِي الْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ، فَقَالَ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ»، فَخَلُّوها حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِي سَاعِدَةَ اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ فِي رَجَالٍ فَقَالُوا كَالْأَوَّلِ وَأَعَادَ مِثْلَهُ، حَتَّى إِذَا وَازَتْ دَارَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي رَجَالٍ فَقَالُوا مِثْلَهُ وَأَعَادَ مِثْلَهُ، حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَارِ وَهُمْ أَخْوَالُهُ اعْتَرَضَهُ سَلِيطُ بْنُ قَيْسٍ فِي رَجَالٍ فَقَالُوا: هَلَمْ إِلَى أَحْوَالِكَ إِلَى الْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ قَالَ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» حَتَّى دَانَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ بَرَكْتَ نَاقَتُهُ الْمَأْمُورَةُ أَي: الَّتِي أَمَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَبْرِكَ بِمَوْضِعِ الْمَسْجِدِ أَي: مَسْجِدِهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَرِيدٌ لِعَلَّامِينَ يَتِمِّينَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ فِي حِجْرِ مَعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ.

فلما بركت وهو عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد والمصطفى واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول فبركت به ثم تحلحلت. ووضعت جرائنها فنزل عنها وذلك في وقت الظهيرة أي: المهاجرة، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد من بني النجار رحله وأدخل ناقته داره ونزل عنده

لكونه من أحوال عبد المطلب ولمَّا سألوه النزول عليهم قال: «المرء مع رحله»
وخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبيذا محمد من جـ
فخرج إليهم رسول الله فقال: «أحبونني»، قالوا: إني والله، قال: «وأنا والله
أحبكم» ثلاثاً^(١).

قال زيد بن ثابت: وأول هدية دخلت بها أنا قصعة مثرود فيها خبز وسمن
ولبن فقلت: أرسلت بها أمي فقال: «بارك الله فيك»، ودعا صاحبه فأكلوا فلم أرم الباب
حتى جاءت قصعة سعد بن عباد بثرود وعراق لحم وما كان من ليلة إلا وعلى باب
المصطفى الثلاثة والأربعة يحملون طعاماً كثيراً ثم صار سعد بن عباد يرسل إليه كل يوم
قصعة، فأقام بدار أبي أيوب حتى ابتنى مسجده الرحيب أي: الواسع بعد شرائه أرضه من
قسيم مالكيه، وذلك أن المصطفى سأل عن المربد لمن هو فقال معاذ بن عفراء: فسهل
وسهل بني عمرو يتيमान لي وأرضيهما فيه.

وقال الدمياطي: إن المصطفى ساومهما فيه ليتخذه مسجداً فقالا: هبة لك فأبى
حتى ابتاعه بعشرة دنانير وأمر أبا بكر أن يعطيها إياها ثم أمر بالنخل الذي فيه
والغردق فقطع وباللبن فضرب وكان فيه قبور جاهلية فنبشت وغيت العظام وسويت
الحفر وأسس المسجد وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع وفي ذينك
الجانبين مثل ذلك فهو مربع، وقيل: كان أقل من مائة ذراع وجعل الأساس نحو ثلاثة
أذرع على الأرض بالحجارة ثم بنوه باللبن وجعل رسول الله ينقل معهم الحجارة بنفسه
ويقول: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأتصار والمهاجرة»^(٢)، وقال قائل:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا عمل مضلل
وقال عمار بن ياسر: قتلوني يا رسول الله حملوني فوق ما يتحملون، فقال:
«لما تقتلك الفئة الباغية»^(٣) فقتل بصفين.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥/٤) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في الجمع

(٢) وقال: فيه صديق بن موسى، قال الذهبي: (ليس بحجة). اهـ

(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٤)، ومسلم (١٨٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وجعل قبلته لبيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب باباً في مؤخره وباباً يُقال له باب الرحمة وهو الذي يُسمى باب عاتكة والباب الثالث الذي يدخل منه المصطفى وهو الذي يلي آل عثمان، وجعل عمده الجدوع وسقفه الجريد وبنى بيوته بجنبه بالبن. ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاي أن موضع المسجد كان اتباعه تبع للمصطفى قبل مبعثه بألف سنة وأنه لم يزل على ملكه من ذلك العهد.

ثم إنه بنى حوله منازل أي: مساكن لأهله أي نسائه ومواليه ومن يليه وبعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فقدا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة زوجته وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن، وجلس أبو العاص بن الربيع مع بنته زينب، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر وفيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثه بن النعمان كل ذلك وهو في بيت أبي أيوب.

وقول الناظم: (وحوله أصحابه) أي كان أصحابه من المهاجرين والأنصار ينون مساكنهم حواله في ظله أي: في كنفه، حتى إن من الأنصار من ترك مسكنه البعيد وسكن بقربه. طَابَتْ بِهِ طَيْبَةٌ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى أَشْرَقَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهَا أَسْوَدَا كَانَتْ لِمَنْ أَوْبَأَ أَرْضَ اللَّهِ فزَالَ دَاوُّهَا بِهِذَا الْجَاهِ وَنَقَلَ اللَّهُ بِفَضْلِ رَحْمَةٍ مَا كَانَ مِنْ حَمَىٰ بِهَا لِلْجُحْفَةِ وَلَيْسَ دَجَالٌ وَلَا طَاعُونٌ يَدْخُلُهَا فَحَرَّزُهَا حَصِينٌ لَمَّا هَاجَرَ الْمُصْطَفَى (طَابَتْ بِهِ طَيْبَةٌ) بَعْدَ الرَّدَا أَي: صَارَتْ طَيْبَةً بَعْدَمَا كَانَتْ

رَدِيَّةً، و«أَشْرَفَ» أَي أَضَاءَ كُلَّمَا كَانَ مِنْهَا أَسْوَدَ مِنْذُ دَخَلَهَا فِيهَا (كَانَتْ لِمَنْ أَوْبَأَ أَرْضَ اللَّهِ فزَالَ) عَنْهَا وَبَاوَّهَا بِرُكَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الْجَاهِ أَيِ الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَ(نَقَلَ اللَّهُ) بِفَضْلِ مِنْهُ وَرَحْمَةٍ عَامَةٍ مَا كَانَ هَا مِنْ الْحَمَى لِلْجُحْفَةِ قَرِيبَةً عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ مِنْ مَكَّةَ سَمِيَتْ بِهِ لِأَنَّ السَّيْلَ أَحْفَنُهَا، وَلَا يَدْخُلُهَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاعُونَ فَلَهَا مِنْهَا حَرَزُ حَصِينٍ. أَقَامَ شَهْرًا ثُمَّ بَعْدَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِتِمَامُ الصَّلَاةِ أَكْمَلَتْ أَقَامَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ لَصْفَرٍ يُنْبِئُ لَهُ مَسْجِدُهُ وَالْمُسْتَقَرُّ وَوَادَعَ الْيَهُودَ فِي كِتَابِهِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَصْحَابِهِ وَكَانَ بَدَأَ الْأُمْرَ بِالْأَذَانِ رُؤْيَا ابْنِ زَيْدٍ أَوْ لِعَامِ ثَانٍ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ شَهْرًا ثُمَّ بَعْدَهُ نَزَلَ عَلَيْهِ إِتِمَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ

لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَ يَصْلِي هُوَ وَالنَّاسُ رَكَعَتَيْنِ فَأَكْمَلَتِ الْفَرِيضَةَ أَرْبَعًا لِلْمَقِيمِ وَأَقْرَتِ صَلَاةَ الْمَسَافِرِ وَتَرَكْتَ صَلَاةَ الْفَجْرِ لَطُولِ الْقِرَاءَةِ وَالْمَغْرِبَ لِأَنْهَا وَتَرَ النَّهَارَ وَحَدِيثَ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ^(١) فَقَالَ الْمُصْطَفَى: «أَيُّهَا النَّاسُ اقْبَلُوا فَرِيضَةَ رَبِّكُمْ» وَذَلِكَ لِأَنْتَسَى عَشْرَةَ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ إِذْ قَدِمَهَا فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ مِنْ شَهْرِ رِبْعِ الْأَوَّلِ إِلَى صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الدَّاخِلَةِ يَنْبَى لَهُ فِيهَا مَسْجِدُهُ وَالْمَسَاكِنَ الَّتِي اسْتَقَرَّ فِيهَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ، وَفِي السَّنَةِ الْأُولَى وَادَعَ الْيَهُودَ أَيُّ: صَالَحَهُمْ وَعَاهَدَهُمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

و(مَا) فِي قَوْلِ النَّازِمِ: (وَبَيْنَ مَا أَصْحَابَهُ) زَائِدَةٌ، وَصُورَةُ الْكِتَابِ: (هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلِحَقِّ بِهِمْ وَجَاهِدْ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، وَأَنْ مِنْ تَبَعِنَا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ لَهُ النُّصْرَةُ وَالْأُسُوةُ غَيْرَ مَظْلُومِينَ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبُ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ أَنْ يَنْصُرَ مُحَدِّثًا وَلَا يَأْوِيَهُ، وَأَنَّكُمْ مَعَهَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنْ مَرَدَهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ).

وَفِيهَا آخَى رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَهِيَ الْمُوَاخَاةُ الْأُولَى وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِهَا أَوَّلًا، ثُمَّ الْمُوَاخَاةُ الثَّانِيَّةُ بَعْدَ بَدْرٍ وَأَخَذَ يَدَ عَلِيٍّ فَقَالَ: «هَذَا أَخِي».

وَتَكَلَّمَ بَعْضُ الْحَفَازِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَفِي الْمُوَاخَاةِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْمُوَاخَاةَ ثَبَتَتْ وَمُوَاخَاةُ عَلِيٍّ وَرَدَتْ مِنْ طَرَقٍ كَثِيرَةٍ بَعْضُهَا يَرْتَقِي عَنْ دَرَجَةِ الْحَسَنِ^(٢).

وَفِيهَا كَانَ بَدَأَ الْأَمْرَ بِالْأَذَانِ وَسَبَّيْهِ رُؤْيَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْمَشْهُورَةَ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ أَمْرُ الْأَنْصَارِ وَاسْتَحْكَمَ شَأْنُ الْإِسْلَامِ وَقَامَتِ الصَّلَاةُ وَإِنَّمَا يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِي مَوَاقِفِهَا بِغَيْرِ دَعْوَةٍ فَاهْتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَا يَعْلَمُ بِهِ الْوَقْتُ، فَذَكَرَتِ الرَّايَةُ وَالْبُوقُ فَلَمْ يَعْجِبْهُ، وَذَكَرَ النَّاقُوسُ فَأَمَرَ بِهِ فَتُحَتَّ لِيُضْرَبَ بِهِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ زَيْدٍ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ، قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: نَدْعُو بِهِ لِلصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْهُ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٠)، وَمُسْلِمٌ (٦٨٥) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-.

(٢) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِيِّ (٢٧١/٧).

قال: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر إلى آخر ألفاظ الأذان، ثم استأخر غير بعيد، ثم قال: تقول: إذا قمت إلى الصلاة الله أكبر إلى آخر ألفاظ الإقامة.

فأخبر بها رسول الله فقال: «أُشْهِرُ رُؤْيَا حَقِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أُنْدَى مِنْكَ صَوْتًا»^(١) ففعل فلما سمعها عمر وهو في بيته خرج وهو يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل ما رأى فقال المصطفى: «الله الحميد».

وفي هذه السنة أسلم عبد الله بن سلام، وكان اسمه الحصين فسماه المصطفى عبد الله. وفيها شرع القتال وأنزل الله: ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَالَهُمْ ظُلُمُوهَا﴾ [الحج: ٣٩]، وقال المصطفى: «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث^(٢). وقوله: (لعام ثان) يأتي شرحه مع ما بعده.

وفيه فرضُ الصَّوم والزكاة للفقير والعبيدين بالصلاة
بِحُطْبَيْنِ بَعْدُ وَالْأُضْحِيَّةُ كَذَا زَكَاةُ مَالِهِمُ وَالْقِبْلَةُ
لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْبِنَاءُ بِعَائِشَ كَذَلِكَ الزَّهْرَاءُ

وفي العام الثاني من الهجرة كان فرض الصوم بالإضافة أي صوم رمضان والزكاة التي للفقير وذلك قبل فرض زكاة المال، وفيها نزل العيدان أي: الأمر النبوي بالصلاة لهما على الكيفية المعروفة، وفيها نزل الأمر بالأضحية في الأضحية، وكذا فرض زكاة مالهم، وفيها تحولت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام يوم الثلاثاء نصف شعبان أو رجب، وفيها كان البناء بعائش أي: إعراسه بعائش ترخيم عائشة بنت الصديق وعمرها تسع سنين في شوال ومكثت عنده تسع سنين وخمسة أشهر ولم يتزوج بكرًا غيرها، وقال النبي ﷺ في شأنها: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٣)، وحوث علمًا جمًّا ومناقبها كثيرة جدًا، ومات المصطفى في يومها ورأسه في حجرها، ودفن في بيتها بالمدينة. توفيت ﷺ في رمضان سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين عن نحو سبع وستين سنة، وما ذكر من أن البناء بها كان في العام

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، وابن ماجه (٧٠٦) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح أبي داود (١/٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

الثاني هو ما وقع للناظم، وقال غيره: في الأول على رأس ثمانية أشهر أو تسعة من الهجرة، وكذا كان بناء علي عليه السلام على فاطمة الزهراء سميت به لأنها زهرة رسول الله ﷺ وهي أصغر بناته.

وبَدَرَ الكبرى وفي الثالثة
والزنيين وبنى ابنُ عفان
التقى بأحد والرابعة
وغزوة بني النضير وجَلُوا
دُخُوله بحفصة القاتنة
بأَم كُلثوم وفيه الجمعانُ
بئر معونة بتلك الفاجعة
ذات الرِّقَاع بعدها كما حكوا

وفيها غزوة بدر الكبرى فهذا كله في السنة الثانية من الهجرة.

وفي السنة الثالثة كان دخول المصطفى بحفصة بنت عمر القاتنة الصوامه القوامه، وفيها كان دخوله بالزنيين زينب بنت خزيمة الحارثية دخل بها في رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة وزينب بنت جحش التي قص الله خبرها في القرآن، وفيها بنى عثمان بن عفان بأَم كُلثوم بنت المصطفى، وفيه أي: هذا العام التقى الجمعان بأحد وكان من أمرها ما كان فهذا ما وقع في الثالثة.

وفي الرابعة كانت سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة ماء لبني عامر ابن صعصعة في صفر ومعهم القراء وهم سبعون وباءوا بتلك الفاجعة أي: الرزية المؤلمة وهي أن عامر بن الطفيل خرج بقومه فقتل القراء جميعاً إلا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الضمري، ودعا النبي عليهم في صلاته شهراً، وفيها كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول فتحصنوا فحاصرهم وخرّب بيوتهم وحرّق نخلهم، فسألوه الجلاء فأذن وجعل لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، فجلوا أي: خرجوا إلى خير وأخذوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع، وكانت بعدها أي: بعد بني النضير في الحرم وذكرها البخاري^(١) بعد خيبر (كما حكوا) أي: أهل السير وغيرهم.

وقائل فيها الصلاة قصرت
وقيل فيها آية التيمم
وقيل في الخمس وفيه نزلت
والخمر حُرِّمت أو في التي خلت
كذا صلاة الخوف مع خلف ثمي
أي الحجاب والخسوف صُلِّيت

لقمر وفيه غزو الخندق مع قُرَيْظَةَ مَعَ المصطلق
على الصحيح وبها جُويرية بنى بها والإفك أو في الآتية
وقال قائل -وهو ابن الجوزي-: إن فيها أيضًا الصلاة الرباعية قصرت إلى ركعتين،
وفي الرابعة نزل تحريم الخمر، وقال بعضهم: إنما حرم البناء للمفعول أي شربها في
الثالثة في ربيع الأول، وقيل: فيها سقط عقد عائشة، فنزلت آية التيمم، وقيل: نزل
فيها أيضًا صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع مع خُلف في هذين أي: آية التيمم وصلاة
الخوف (نمي) أي: روي عن جمع، وقيل: إنما كانت صلاة الخوف في سنة خمس وذكرها
البخاري بعد خيبر، هذا ما وقع في السنة الرابعة.

وفي العام الخامس نزلت آي الحجاب جمع آية، وفيه كان الحسوف، فقول الناظم:
(وصلت) بالبناء للمفعول أي: صلى النبي ﷺ لحسوف القمر صلاته على الكيفية
المشهوره، وفيه كانت غزوة الخندق وتسمى غزوة الأحزاب، وكانت في ذي القعدة مع
غزوة بنى قريظة فإنه لما انصرف من الخندق وضع السلاح فجاءه جبريل فقال: «إن
الملائكة لم تضع السلاح وإن الله يأمرك بالمشير إلى بنى قريظة».

وقول الناظم: (مع المصطلق) بكسر اللام أي: وكانت غزوة بنى المصطلق مع ما
قبلها في عامها (على الصحيح) وهم حي من خزاعة وهي المريسيع، وقوله: (وبها)
إلخ أي: وفي هذه السنة بنى بجويرية بنت الحارث وكانت من بنى المصطلق جاءته
لتستعين به على كتابتها فأدّى عنها وبنى بها وجعل عتقها صداقها، وأما الإفك أي: قصته
فقليل كان في هذه السنة وقيل في السنة الآتية وهي سنة ست هذا ما وقع في السنة الخامسة.

في الست كانت عُمَرَةُ الحُدَيْيَّةَ وبيعة الرضوان تلك الزاكية
وفيه فرض الحج أو ما خَلَّتْ أو في الثمان أو ففي التاسعة
خُلف وقيل كان قبل الهجرة وجوبه حكاة في النهاية
وفيه قد سَابَقَ بين الخيل وآية الظهار في ابن خُولي

وفي السنة السادسة كانت عمرة الحديبية قرية على سبعة أميال من مكة، وبيعة
الرضوان وهم العشرة بابعوه تحت الشجرة، وتلك البيعة الزاكية أي: المباركة المرضية التي
ذكرها الله في سورة الفتح، وفيه كان فرض الحج أو إنما فرض في التي خلت وهي
السنة الخامسة، فما في النظم موصولة أو إنه إنما فرض في الثمان أو في السنة

التاسعة فهذا خلف مشهور وأقوال معروفة اختار القرطبي منها الأخير.

وقيل: فرض قبل الهجرة حكاة إمام الحرمين في النهاية فهذه خمسة أقوال.

وفي سنة ست سابق المصطفى بين الرواحل فسبق قعود الأعرابي ناقة رسول الله القصوى فشق على المسلمين فقال: «حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»^(١)، وفيها سابق بين الخيل فسبق فرس أبي بكر، وفيها أخبرته خولة أن زوجها أوس بن الصامت ظاهر منها فنزلت آية الظهار فكان سبب نزولها في خولة.

في السبع خير وعمرة القضا وقدمت أم حبيبة الرضا
بنى بها وبعدها ميمونة كذلك فيها قبلها صفية
وفيه منع الحمر الأهلية ومتعة النساء ثم حلت
يوم حنين ثم قد حرمها مؤبداً ليس لذلك انتهاء

وفي السبع أي: العام السابع كانت غزوة خيبر في جمادى الأولى على الأصح، وفيها كانت عمرة القضاء وتسمى عمرة الصلح في هلال ذي القعدة، وفيها قدمت أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان من الحبشة وكان تزوجها وهي هناك فبنى بها أي: دخل عليها وتزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية بمكة في عمرة القضاء، وكذا أيضاً في السابعة قبلها بعد أم حبيبة وقبل ميمونة صفية بنت حيي، وفيه حرم أكل الحمر الأهلية، ونهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وفيه منع متعة النساء أي: حرم نكاح المتعة ثم حلت أي: حللها بعد ذلك يوم وقعة حنين سنة ثمان ثم حرمها بعد ذلك مؤبداً.

وقول الناظم: (الرضا) وصف لأم حبيبة وهو مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقوله: (ليس لذلك) أي: التحريم، (انتهاء) حشو كمل به الوزن.

وفي الثمان وقعة بمؤنة والفتح مع حنين في ذي السنة
وأخذ جزية مجوس هجرا وأخذ النبي فيه المنبرا

وفي عام الثمان كانت وقعة مؤنة بضم الميم وبهمز ودونه من عمل البلقاء بالشام في جمادى الأولى، وبها كان أعظم الغزوات الفتح فتح مكة في رمضان لنقض قريش العهد مع غزوة حنين وهي بعد الفتح بأيام قليلة فكانتا في ذي السنة الثامنة

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

اتفاقاً، وأخذ الجزيرة من بحوس حجر مدينة باليمن قاعدة البحرين.
وقول الناظم: (أخذ) برفعه عطفاً على وقعة وبجره عطفاً على حنين، وفيها
اتخذ النبي المنبر ليخطب عليه وكان قبل يخطب إلى جذع فلما فارقته حنَّ إليه وأنَّ
فاحتضنه فسكن كما يجيء.

في التسع غزوة تُبوك بعد أن صَلَّى على أَصْحَمَ غائباً فسنَّ
وفيه قدَّ آلى من النسوان شهراً وفيه قصة اللعان
وحجَّة الصديق ثم أرسلًا له علياً بعدة على الولا
أن لا يُحجَّ مُشركٌ بعد ولا يَطُوفُ غُريانَ كفعل الجُهلاء
وسميت بسنة الوفود لكثرة القادم من وفود
وفي سنة تسع كانت غزوة تبوك وتعرف بغزوة التُسرة وبالفاضة، بينها وبين المدينة
نحو أربع عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، والأشهر عدم صرفه للتأنيث
والعلمية، وفيها صلى على أَصْحَمَ -ترخيم أصحمة- وهو النجاشي ملك الحبشة بعدما
أنحبرهم النبي بموته وكان غائباً بالحبشة فسن النبي بذلك الصلاة على الغائب^(١)،
وفيها آلى رسول الله من نسائه، يُقال: إنه ذبح ذبائحاً فقسمتها عائشة بين أزواجه، فأرسلت
لزينب نصيبها فردته فقال: «زيديها»^(٢) فردته ثلاثاً فحلف لا يدخلُ عليهن شهراً.
وفيها كانت قصة اللعان في شعبان بين عويمر العجلاني وامراته، وفيها كان حج

(١) أخرجه البخاري (٣٨٧٧) وغير موضع من حديث جابر رضي الله عنه.

وقد اختلف العلماء في الصلاة على الغائب: فذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنها لا تشرع. وجوَّاهم
على هذه الأحاديث أنها خاصة بالنبي ﷺ.

وذهب الشافعي، والمشهور عند أصحاب الإمام أحمد أنها مشروعة لهذه الأحاديث الصحيحة،
والخصوصية تحتاج إلى دليل، وليس هنا دليل.

وتوسط شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: إن كان الغائب لم يصلَّ عليه، صلَّيَّ عليه كهذه
القضية، قضية النجاشي - وإن كان قد صلَّيَّ عليه، فقد سقط الفرضُ بذلك عن المسلمين.

وهو مروى عن الإمام أحمد، وصححه ابن القيم في الهدى؛ لأنه توفي في زمن النبي ﷺ أناس من
أصحابه غائبين، ولم يثبت أنه صلى على أحد منهم.

انظر: تيسر العلام شرح عمدة الأحكام، للعلامة الشيخ عبد الرحمن آل بسم -حفظه الله- (ص ٣٦٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٥٨/٨) من طريق الواقدي، وهو مُجمع على ضعفه.

الصدّيق بالناس فخرج من المدينة ثم أرسل النبي له في أثره علي بن أبي طالب ﷺ على الوفاء فأدركه بالعرج فقال: بعثني النبي أنادي أن لا يحج مشرك بعد هذا العام ولا يطوف بالبيت عريان كما كانت تفعل الجاهلية وأقرأ على الناس سورة براءة، وسميت هذه السنة وهي التاسعة سنة الوفود لكثرة الوفد القادم فيها على النبي ﷺ من جميع الجهات فإنهم كانوا منتظرين ما يقع له مع قومه فلما حصل الفتح دخل الناس في دين الله أفواجا.

في العشر كانت حجة الوداع	لا يحصر الوافون باطلاع
فقليل كانوا أربعين ألفا	أو ضعفها وزد عليها حتى ضعفا
وارتد فيها وادّعى النبوة	الأسود العنسي حتى موء
لبعض قومه بسجع صنعة	فقتل الشقي مع من تبعه
فيما يلها وهي إحدى عشرة	قضى نبي الله فيها عمرة
عاش ثلاثا بعد ستين على	أصحها والخلف في هذا خلا

وفي العام العاشر لحمس بقين من ذي القعدة حج المصطفى حجة الوداع ولم يحج بعد الهجرة غيرها ولم يثبت كم حج قبلها، وحج معه خلق لا يحصى عددهم (الوافون) أي: أهل العلم المتمكنون باطلاعهم عددهم، وقد ذكر البعض عددهم فقليل: كانوا أربعين ألفا، وقيل ثمانين ألفا وهو مراد الناظم بضعفها، وقيل: كانوا مائة ألف وعشرين ألفا وهو مراد الناظم بقوله: (وزد عليه ضعفاً).

ويجوز أن يكون مراده وزد على الثمانين ضعفها فتصير ستة عشر، لكن يبعده أن أكثر ما قيل في عدد الصحابة الذين مات عنهم مائة ألف وأربعة عشر ألفا، وبالجملة التحديد بعيد كل البعد إذ هو كالمتعذر مع تفرق الصحب في الأقطار والبادي والواري والقفار والقرى والأمصار، والتعبير المستقيم أن يقال يزيدون على مائة ألف.

وفي السنة العاشرة أيضا ارتد الأسود العنسي وادّعى النبوة، وكان بصنعاء اليمن وطغا وافتري حتى إنه (موه) أي: لبس وزخرف لقومه بسجع صنعه لهم يزعم أنه أوحى إليه فقتل الشقي مع من معه من أتباعه.

وفي السنة التي تليها وهي إحدى عشرة من الهجرة (قضى) أي: تم نبي الله فيها عمره فأقام بالمدينة عشر سنين فكان جملة ما عاش ثلاثا وستين على أصحها أي: الأقوال، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، و(الخلف في هذا خلا) أي: سبق.



باب ذكر صفته أي أوصافه الطاهرة

وربعة كان من الرجال لا من قصارهم ولا الطوال
 بعيد بين المنكبين شعره يبلغ شحمة للأذن يوفرة
 مرة أخرى فيكون وفرة يضرب منكبيه يعلو ظهره
 يخلق رأسه لأجل النسك وربما قصره في نسك
 وقد روي لا توضع النواصي إلا لأجل النسك المخاص

كان المصطفى ربعة بفتح الراء فسكون من الرجال أي: مربع الخلق معتدله لا من
 قصار الرجال ولا من الطوال بكسر الطاء لكنه كان إلى الطول أقرب كما في الزهريات
 عن أبي هريرة بسند حسن.

وكان بعيد ما بين المنكبين أي: عريض ما أعلى الظهر والصدر وهو دليل النجابة،
 والمنكب: مجمع العضد والكتف، وفي الصحيح^(١) من طريق البراء بن عازب أن شعره كان
 يبلغ شحمة أذنه أي: إذا أخذ منه، وفي رواية^(٢) يوفره مرة أخرى فيكون وفرة فسكون
 الفاء وهو الشعر الذي يصل شحمة الأذن، وفي رواية وكان شعره يبلغ شحمة أذنه كان
 يضرب منكبيه مرة، ومرة يطول حتى يعلو ظهره.

قال عياض: والجمع بين هذه الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه
 والذي بين أذنيه وعاتقه وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه، وقيل: بل يختلف باختلاف
 الأوقات فإذا لم يقصره بلغ المنكب، وإذا قصره كان إلى أنصاف أذنيه؛ وكان يفرق شعره
 ولا يخلق رأسه إلا لأجل النسك، وقد روي أي المحدثون في بعض الأخبار لا توضع
 النواصي أي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس إلا لأجل النسك، (والمخاص) أي:
 المحص للذنوب وهو الحج.

أبيض قد أشرب حمرة علت وفي الصحيح أزهر اللون ثبت
 وفي الصحيح أشكل العينين أي حمرة لدى بياض العين

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وَلِعَلِّيْ أَدْعَجُ وَفُسْرًا بِشَدَّةِ السَّوَادِ فِي الْعَيْنِ يُرَى
وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ دَعَجُ الشَّعْرِ لَا سَبْطٌ وَلَا يَجْعَدُ الْخَبْرَ
وَعَنْ عَلِيٍّ سَبْطٌ لَمْ يَثْبُتْ إِنْ سَادَهُ وَكَانَ كَثُّ اللَّحْيَةِ
كَانَ الْمُصْطَفَى أَيْضَ اللَّوْنِ مَشْرِئًا بِحُمْرَةٍ وَهُوَ مُرَادُ النَّازِمِ بِقَوْلِهِ: (قَدْ أَشْرَبَ حُمْرَةً
عَلَتْ) وَالْأَشْرَبُ خُلْطَ لَوْنٍ بِلَوْنٍ كَأَنَّ أَحَدَ اللَّوْنَيْنِ سَقَى بِالْآخَرِ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ^(١)
عَنْ أَنَسٍ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ أَيْ: أَيْضُ مَشْرِئًا بِحُمْرَةٍ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ^(٢): وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عِنْدَ مُسْلِمٍ
وغيره، وَثَبَتَ ذَلِكَ مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٣) كَانَ أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ، أَيْ: يَخَالِطُ بَيَاضَ عَيْنَيْهِ حُمْرَةً وَهُوَ عَمُودٌ مُطْلُوبٌ.
وَقَوْلُ سَمَّاكٍ: أَيْ طَوِيلُ شِقِّ الْعَيْنِ وَهَمَّ فِيهِ عِيَاضٌ، وَالشَّكْلَةُ إِحْدَى عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ،
فَقَوْلُ النَّازِمِ: (لَدَى) بِمَعْنَى فِى، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَيْ: عَنْهُ فِي
صِفَتِهِ أَنَّهُ أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ، وَفَسَّرَ عَبْدُ الْغَنِيِّ وَغَيْرُهُ الدَّعَجَ بِشَدَّةِ سَوَادِ الْعَيْنِ وَقِيلَ هُوَ شَدَّةُ
سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ شَدَّةِ بَيَاضِهَا.

وَفِي الصَّحِيحِ^(٤) عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ لَيْسَ يَجْعَدُ الشَّعْرَ وَمُرَادُهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِسَبْطٍ يَفْتَحُ الْمَهْمَلَةَ
وَيَكْسِرُ الْمَوْحِدَةَ وَهُوَ الْمُنْبَسِطُ الْمُسْتَرَسِلُ الَّذِي لَا تَكْسِرُ فِيهِ وَلَا يَجْعَدُ وَهُوَ مَا بَضَدَهُ بِلِ
كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْآخَرِ، وَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ أَنَّهُ كَانَ سَبْطَ الشَّعْرِ فَهُوَ غَيْرُ ثَابِتٍ مِنْ طَرِيقَيْهِ لِأَنَّ فِي إِحْدَاهُمَا بِجَهُولٍ وَفِي الْآخَرَى
ضَعِيفٌ، وَكَانَ كَثُّ اللَّحْيَةِ أَيْ: كَثِيرَ شَعْرَهَا غَلِيظَةً زَادَ فِي رِوَايَةٍ: (قَدْ مَلَأَتْ مِنْ هَاهُنَا
إِلَى هَاهُنَا وَأَمَرَ يَدِيهِ عَلَى عَارِضِيهِ).

وَأَشْعَرُ الصَّادِرِ دَقِيقُ الْمَسْرِبَةِ مِنْ سُرَّةٍ حَتَّى يُحَاذِيَ لَبَتَهُ
وَكَانَ شَتْنًا كَفُّهُ وَالْقَدَمُ وَهُوَ الْغَلِيظُ قُوَّةً يَسْتَلْزِمُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ.

(٢) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِيِّ (٩٦٥/٦).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٣٩) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ؓ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ؓ.

كان أشعر الصدر أي: كثير الشعر على صدره رقيق المسربة بفتح فسكون فضم وفسر بأنه الشعر المستدق من السرة إلى محاذاة اللبة شعر يجري كالقضب ليس في بطنه ولا ظهره غيره، وكان شثن الكفين والقدمين أي: غليظهما من غير قصر ولا خشونة فالمراد غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد وذلك يستلزم قوة في القبض والمشي وهو محمود في الرجال دون النساء.

وقوله: (رقيق) روي بدال وبراء، والشثن بمعجمة مفتوحة ومثلثة وقيل مثناة ساكنة من شثن بالضم غلظ، والكفين ثنية كف وهي الراحة مع الأصابع سميت به لأنها تكف الأذى عن البدن وهي مؤنثة على الصواب، والقدمين ثنية قدم وهي معروفة ومؤنثة وتصغيرها قديمة.

إذا مشى كأنما ينحط من صبب من صعد يحط
إذا مشى كأنما تقلعا من صخر أي قوي مشي مسرعا
يقبل كله إذا ما التفتا وليس يلوي عنقا تلفتا

كان إذا مشى كأنما ينحط من صبب أي ينحدر من مكان عال وهو مراد الناظم بقوله: (من صعد يحط) أي يحط من مكان عال، وصعد بضمين جمع صعود وهو خلاف الهبوط، وكان إذا مشى كأنما تقلعا أي: يتقلع أي: يخرج قدميه من صخر أي قوي المشي كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا مسرعا لا كمن يمشي احتيالا ويقارب خطاه، وكان يقبل بكله أي بكل جسمه إذا التفت فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه.

وقوله: (تلفتا) أي: في حال تلفته فإن ذلك فعل الطائش الخفيف، فكان يقبل جميعا ويدبر جميعا أي: بجميع أجزاء بدنه فإذا توجه إلى شيء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضا لئلا يخالف بدنه قلبه وقصده مقصده لما في ذلك من التلون وأمانة الحفة وعدم التصون، وما في قول الناظم: (ما التفتا) زائدة.

كأنما عرقه كاللؤلؤ أي في البياض والصفى إذا رئي
تجمعه أم سليم تجعله في طيهما فهو لعمرى أفضله
يقول من ينعته ما قبله وبعده رأيت قط مثله

وكان عرقه أي: رشح جسده الشريف كاللؤلؤ هكذا ورد في خبر، وفسره الناظم بأنه مثله في البياض والصفاء، وأل فيهما عوض من الضمير أي في بياضه وصفائه،

إذا رئي أي: إذا نظر إليه الراي، وكان ريح عرقه أطيب من المسك ومن ثم كانت تجمعهم أم سليم سهلة أو رملة أو الرميصة في قارورة وتجعله في طيها كما رواه مسلم وغيره^(١).

وفي بعض طرقه: وهو أطيب الطيب فهو لعمرى والله أطيب طيب وأفضله، وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي^(٢): قد كنت أصافح رسول الله ﷺ أو لمس جلدي فأعرفه بعد في يدي وأنه لأطيب رائحة من المسك، وفي حديثه عند أحمد^(٣) أتى رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب منه ثم مع فيه ثم صبه في البئر ففاح منها ريح المسك، وروى أبو يعلى والبخاري^(٤) بسند صحيح عن أنس كان إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك فيقال: مر رسول الله، يقول من ينعته أي: يصفه ما رأيت مثله قبله ولا بعده قط أحدًا مثله، روى الشيخان^(٥) عن البراء: لم أر شيئاً أحسن منه، وروى ابن سفيان في مسنده عن أبيه إسحاق الحمداني قلت لامرأة حجت مع المصطفى شبيهه لي فقالت: كالقمر ليلة البدر ولم أر قبله ولا بعده مثله.

وروى الدارمي^(٦): قال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لنا رسول الله قالت: (لو رأيته لقلت الشمس طالعة) أي: لرأيت شمساً طالعة جردت من نفسه الشريفة نفساً، وهي نحو قولك لئن لقيته لتلقين منه أسداً، وروى أحمد وغيره عن أبي هريرة: (ما رأيت أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري)، وفي لفظ (تخرج من وجهه).

وأخرج الترمذي عن قتادة والدارقطني، عن أنس: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت، وكان يبيحهم أحسنهم صوتاً وأحسنهم وجهاً»^(٧).



(١) أخرجه مسلم (٢٣٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: للمعجم الكبير (٣٠/٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٨٣٩٥) من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه.

(٤) انظر: مجمع الزوائد (٢٨٢/٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الدارمي (٦٠) عن الربيع بنت معوذ.

(٧) أخرجه الترمذي في الشمائل (ص ٢٥٤) من حديث قتادة مرسلاً. وضعفه العلامة الألباني - رحمه الله - في مختصر الشمائل برقم (٢٧٤).

باب ذكر وصف أمر معبد الخزاعية له

وقد تقدم ذكر اسمها

تقول فيه بلسان ناعته أبْلَجُ وجهه ظاهر الوضاعة
الخلق منه لَمْ تبعه ثجلة كلاً ولم تُزِر به من صَغْلَةٍ
أدعج والأهدابُ فيها وَطْفُ من طولها أو غَطْفُ أو غَطْفُ
والجيدُ فيه سطعَ وسيمُ والصَّوتُ فيه صَحْلُ قسيمُ

لَمَّا هاجر المصطفى إلى المدينة ومر على أم معبد وكان من أمرها ما تقدم جاء زوجها ورأى اللبن فسأَلها عنه فأخبرته بأمره فقال لها: صفيه لسي، فبدأت تقول فيه بلسان ناعته بتكوين لسان أي: تنعته لزوجها: هو رجل أبْلَج الوجه أي: مشرقه نيره ظاهر الوضاعة والبهجة والجمال، قال البراء بن عازب: ما رأيتُ من ذي كُمة في حلة حَمراء أحسن منه رواه مسلم وأبو داود^(١).

وقال أبو هريرة: كان أحسن الناس صفة وأجملهم، رواه الحسن بن الضحاك في شمائله، وقال ابن عباس: لَمْ يَقم مع شمس قط إلا غلبَ ضوءُه ضوء الشمس ولم يَقم مع سراج قط إلا غلبَ ضوءُه ضوء السراج، رواه ابن الجوزي.
وقال أنس: كل شيء حسن فقد رأيتُه فما رأيتُ أحسن من رسول الله ﷺ رواه ابن عساکر.

وقال أبو قرصافة: كان حسن الوجه ولم يكن بالفارغ الجسيم، وقال نفطويه في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ رَيْثُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: ٣٥] الآية: هذا مثل ضربه الله لنبيه بقول: يكاد نظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنًا كما قال ابن رواحة:

لَوْلَمْ تَكُن فِيهِ آيَاتٌ مَبِينَةٌ كَانَتْ بِدِيهَتِهِ تَبِيكٌ بِالْخَيْرِ

والخلق في قول الناظم: (الخلق منه لم تبعه ثجلة) بفتح الحاء وسكون اللام وتبعه بفتح الفوقية وكسر العين أي: لم يوجد في بدنه شيء يُعَاب به ثجلة ولا غيرها والثجلة

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧) واللفظ له من حديث البراء ؓ.

بفتح المثانة وسكون الجيم عظم البطن مع استرخاء أسفله، وروي بفتح النون وسكون المهملة أي: لم يعبه رقة وهزال وضعف تركيب من قولهم نخل جسمه نخولاً.

وقوله: (كلا) ردع لمن عابه وهو من كلام الناظم، وقوله: (ولم تزر به) بضم أوله وسكون الزاي والإزراء الاحتقار والاستخفاف بالشيء أي: لم يحتقر ولم يستخف به، وقوله: (صَعْلَة) بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر الرأس وهو أيضاً الرقة والنحول في البدن، وفي حديث الأحنف أنه كان صعل الرأس وروي بقاف وروي بسين مهملة بدل الصاد، (والأهداب منه فيها وطف من طولها أو غطف) وأو فيه بمعنى الواو أو في رواية وطف، وفي رواية غطف بغين معجمة، وهي أشهر وأرجح وهما بمعنى وهو أن يطول شعر الأحنف ثم تعطف، وفي رواية عطف بعين مهملة أي: طال وانعطف.

وقوله: (والجديد) لفظ الرواية المشهورة والعنق أي عنقه فيه سطح بفتح السين والطاء المهملتين وهو طول العنق وارتفاعه، وقوله: (وسيم) أي: ومن صفاته الرسم وهو الحسن والوضاعة فإنه صار الحسن له علامة، وقوله: (والصوت منه فيه صحل) بفتح الصاد والحاء المهملتين وهو غلظ في الصوت وفي رواية سهل بالهاء وهو قريب منه لأن السهل صوت الفرس، وقوله: (قسيم) أي: ومن صفاته أنه قسيم والقسامة الحسن ورجل مقسم الوجه أي: جميل كله.

كثيف لحيّة أزج أقرن	أحلاه من قُرب له وأحسن
أجملهُ من بعد وأنها	يغلّوه إذ ما يتكلمُ بها
كذاك يعلوه الوقارُ إن صمت	منطقه كخرز تحدرت
فصل الكلام ليس فيه هذر	خلو المقال ما عراه نزر

ومما وصفته به أم معبد أنه كثيف اللحية كذا في النظم ولفظها: (في لحيته كثافة) أزج أي: مقوس الحاجبين أي: طويلهما دقيقهما ممتدما إلى مؤخر العين، أقرن أي: يتصل أحد الحاجبين بالآخر كذا في وصف أم معبد.

وفي رواية ابن أبي هالة الآتية: (سوابغ في غير قرن) بالتحريك وجمع بينهما بأنه كان بحسب ما يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمل أقرن وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلاً لطيفاً فهو أبلج في الواقع أقرن بحسب الناظر من بعد أو بغير تأمل.

والقول بأن القرن حدث فيه بُعْدٌ، قال الأنطاكي وغيره: والعرب تستملحُ البلج والعجم تستحسنُ القرن ونظر العرب أدق وطبيعهم أرق، وقوله: (وأحسن أجمله من بعد) لفظ أم معبد: (أجمل الناس وأجمل من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب) أي: مَنْ رآه مِنْ بعد رآه أجمل من كل أحد وأبهى والبهاء حسن الهيئة.

وقوله: (يعلوه إذ ما يتكلم البها) مقصورٌ وأصله المد، ولفظ أم معبد: (إن تكلم سما وعلاه البهاء) أي: علا بكلامه على من حوله من جلسائه، وقوله: (كذاك يعلوه الوقار إن صمت) لفظ أم معبد (إن صمت فعليه الوقار) أي: الحلم والرزانة، وفي رواية (إذا صمت فعليه البها وإذا نطق فعليه الوقار).

وقوله: (منطقه كخرز تحدرت) لفظ أم معبد (كان منطق خرزات نظم يتحدرن) أي: منطق يشبه خرزات اللؤلؤ المنظوم إذا انحدرت من فيه وتساقطت، وقوله: (فصل الكلام) أي: كلامه بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل، وقوله: (ليس فيه هذر) أي: ليس في كلامه تكثير عمل على سامعه، وقوله: (حلو المقال) لفظ أم معبد (حلو المنطق، لا نزر ولا هذر) أي: ليس كلامه بقليل لا يفهم ولا بكثير عمل، وقوله: (ما عراه) بمهملتين أي: لم يعبه ولم يكن كلامه نزرًا أي: ليس بقليل يدل على عي المتكلم به.

لا بائنٌ طولاً ولا يُقْتَحِمُ	من قصر فهو عليهم يَعْظُمُ
بنضرة المنظر والمقدار	تَحْفُهُ الرُّفْقَةُ بَائِئِمَار
إن أمروا تبادروا امثالاً	أو قال قولاً أَنْصَتُوا إِنْجَالاً
فهو لدى أصحابه مَحْفُودٌ	أَيُّ يُسْرَعُونَ طَاعَةً مَحْشُودٌ
ليس بعابس ولا مُفْتَد	بِذَاكَ عَرَفْتُهُ أُمُّ مَعْبَد

كان المصطفى ليس بالطويل البائن^(١)، وقوله: (ولا يقتحم) بالبناء للمفعول ولفظ أم معبد (ولا تقتحمه عين من قصر) أي: لا تزدريه من ينظره لقصر ولا يحتقره فيتجاوز عنه إلى رؤية غيره بل يهابه ويعظمه وهو معنى قول الناظم (فهو عليهم يعظم)، وقوله: (بنضرة المنظر) بفتح نون نضرة وسكون الضاد المعجمة أي: لحسن منظره وعظم قدره، ولفظ أم معبد (فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقوله: (تحفه الرفقة) أي: تطوف رفقته به ويدورون حوله، وقوله: (بائتمار) يحتمل كون الباء بمعنى مع، أي: مع اهتمامهم بشأنه، وقوله: (إن أمروا) بضم الهمزة مبني للمفعول أي: إذا أمرهم بشيء تبادروا له امتثالاً لأمره وإن قال قولاً أنصتوا له إجلالاً وإعظاماً، فهو عند أصحابه محفود بحاء مهملة أي مخدوم يسرعون طاعة له.

وقوله: (محشود) المحشود الذي يجتمع الناس حوله ليمثلوا قوله ويقفوا بأفعاله، وقوله: (ليس بعابس) أي: الكريه الملتقى، وقوله: (ولا مفند) بفتح الفاء وكسر النون المشددة وهو الذي لا فائدة لكلامه لقلة عقله؛ فهذه الأوصاف كلها عرفته أم معبد لزوجها فقال: هذا والله صاحب قریش ولقد هممتُ أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً^(١).



باب ذكر وصف هند بن أبي هالة له

وهند هو التميمي الأسدي ربيب المصطفى، أمة خديجة زوجته، وكان فصيحاً بليغاً وصافاً أي يحسن وصف صفات النبي ويستحضرها، والوصاف العارف للصفة.

وابنُ أبي هالة زاد لُمًا	وصفه مُفَخَّمًا وفَخْمًا
لوجهه تَلَأُلُو كالبدر	مُعْتَدِلُ الخَلْق عريضُ الصدر
عَظِيمُ هَامٍ واسع الجبين	فَمَ ضَلِيعُ أَقْنَى العَرْنين
يعلوه نورٌ من رآه إذ ما	لم يتأمل ظنُّه أَشْمًا
مُقْلِجُ الأسنان سهل الخدَّ	أشنبُ بادنٌ طويل الزَّئد
عُنُقُهُ يُرى كجيد دُمية	مع صفاء لونه كالفضة
أزجٌ في غير قرنٍ إذا غضبُ	بينهما عرقٌ يُدرُّه الغَضَبُ
وسائل الأطراف رَحْبُ الراحة	ضَخْمُ الكَراديس ذريعُ المشية

قد بالغ هند بن أبي هالة وزاد على غيره في أوصافه فقال: كان مفخمًا أي: معظمًا في صدور الصدور وعيون العيون فخماً أي: عظيمًا في نفسه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أي: يُشرق وجهه ويستنير كاستنارة القمر ليلة بدارته وهي ليلة أربعة عشر، معتدل

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٦/١).

الخلق بفتح فسكون في جميع صفات ذاته ومعتدل الصورة الظاهرة. بمعنى أن أعضائه متناسبة، عريض الصدر عظيم الرأس وهو مراد الناظم بقوله: (عظيم الهام) ترخيم هامة أو هو جمع هامة، واسع الجبين أي: مُمتدَّه طويله عريضه وذلك محبوب محمود، ضليع الفم أي: عظيمه واسعه والعربُ تتمدحُ به وتذمُّ ضيقه، وكان لسعته يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه وهو دليلٌ على قوة الفصاحة.

وقوله: (أقنى العرين) مرتفع أعلا الأنف محدوب الوسط منه فقوله: (أقنى) بقاء ونون مخففة من القنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه كما تقرر، وهذا بمعنى قول ابن الأثير: (هو السائل الأنف المرتفع وسطه).

وقيل: هو نتوء في وسط القصة والأول أدخل في المدح، والعرين بكسر المهملة وسكون الراء وكسر النون الأولى ما صلب من عظم الأنف أو كله أو ما تحت مجتمع الحاجبين أو أوله حيث يكون الشمم وجمعه عرائن، وعرائن الناس أشرافهم ووجهاءهم ويمكن به عن العزيز المحسود في قومه.

وقول الناظم: (يعلوه نور من رآه) إلخ لفظ الحديث: (له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم) أي: يعلو أول أنفه وطول قصبته نور ساطع وإذا لم يتأمله الناظر يظنه أشم الأنف، والشمم ارتفاع قصبة الأنف وطولها مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً، وقوله: (مفلج الأسنان) بفاء وجيم أي: مفرج ما بين الثنايا والرباعيات، والفلج أبلغ في الفصاحة لأن اللسان يتسع فيها بخلاف الألف^(١)، سهل الخدين أي: ساهلها غير مرتفع الوجنتين وهي بمعنى خير البيهقي وغيره: (كان سهل الخدين) وذلك أعلى وأحلى عند العرب. أشب أي: أبيض الأسنان، بادن عظيم البدن لكن لا مطلقاً بل بالنسبة لما ذكره من كونه شثن الكفين والقدمين جليل المشاش ومع ذلك كان متماسكاً أي: يُمسك بعض أجزائه بعضاً من غير تزحزح ولا استرخاء في اللحم، ليس بسمين ولا ناحل فهو معتدل السخلق بفتح الخاء وسكون اللام؛ لأنه تعالى حمأه خلقاً وخلقا من الإفراط والتفريط.

(١) في لسان العرب (٨٧/٧) مادة (ل ص ص): «اللصص: تقارب ما بين الأضراس حتى لا ترى بينها خللاً».

وكان الزندين تشية زند كفلس وهو ما تحسر عنه اللحم من الذراع، وفي الصحاح^(١): (مَوْصِلُ طرف الذراع في الكف)، وقوله: (عنقه يُرى كجيد دمية) بضم نون عنقه للاتباع وفي لغة الحجاز وبناء يُرى للمفعول أي: يراه الرائي كجيد دمية بمعجمة بمهملة ومثناة صورة مضئية بيضاء مشربة بحمرة قد بولغ في تحسينها، ودمية بضم فسكون.

وقوله: (مع صفاء لونه) أي: مع صفاء لون عنقه يعني وكان عنقه مع ذلك كالفضة الصافية، فشبهه عنقه بالدمية في الصفاء والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال وبالفضة في اللمعان والضياء والإشراق والجمال، وكان أزج الحواجب في غير قرن كما مرّ، وكان بين حاجبيه عرق يدره الغضب أي: يحركه ويظهره ويهيجه بإمارة ما فيه من الدم، وليس المعنى أنه لم يكن وأن الغضب يثّره بل هو موجود والغضب يظهره بإثارة ما فيه من الدم كما تقرر، وفيه دليل على كمال قوته الغضبية التي عليها مدارُ حماية الديار وقمع الأشرار وكمال الوقار وتمكّنه من الغضب للجبار القهار إذا انتهك شيء من محارمه. وكان سائل الأطراف أي: طويل الأصابع ممتدها بلا احديداد ولا تعقد ولا انقباض ولا تكسر جلد ولا تشنج، وسائل بسين مهمله ولام، وروي: سائل بشين معجمة أي مرتفعها من قولهم شالت الميزان أي: ارتفعت إحدى كفتيه، وروي: سائن بسين مهمله ونون وهو بمعنى سائل فإن اللام تبدل من النون، وروي: سائر بالراء من السر، ومقصود جميع الروايات أنّها غير متعقدة كما قاله الزركشي، وقوله: (رحب الراحة) أي: واسع الكف حساً ومعنى، ومن قصره على حقيقة التركيب أو جعله كناية عن الجود فحسب فغير مصيب، والراحة بطن الكف وأصله من الروح وهو الاتساع، ضخم الكراديس أي: عظيم رعوس العظام غليظها، ذريع المشية بكسر الميم أي سريع هيئة المشي واسع الخطوة فهو مع كون مشيته بسكينة كان يمد خطواته حتى كأن الأرض تطوى له، قال في المصباح: (الذريع السريع وزناً ومعنى)، وفي المفردات^(٢): (هو الواسع).



(١) انظر: مختار الصحاح ص (٢٧٦)، مادة: (ز ن د).

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني (ص ١٧٨).

باب ذكر أخلاقه الشريفة جمع خلق بضمتين

صورته الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها

أكرم به خلقه القرآن فهو لدى غضبه غضبان
يرضى بما يرضاه ليس يغضب لنفسه إلا إذا تركب
محارم الله إذا فيتنقم فأحد لذك أصلاً لم يقم
بعثه الرحمن بالإرفاق كما يتم صالح الأخلاق
أشجعهم في موطن وأجداد وأجود الناس بنائاً ويدا

قوله: (أكرم به) أي: ما أكرمه على الله إذ جعل خلقه القرآن أي: ما دل عليه من أوامره ونواهيه ووعدته ووعيده، وقوله: (فهو لدى غضبه غضبان) أي: كل مكان جاء فيه غضب الله فهو غضبان لأجله، يرضى بما يرضاه القرآن ويتأدب بأدابه ويتخلق بأخلاقه ويلتزم أوامره ولا يغضب لنفسه إلا إذا ارتكبت محارم الله فإنه حينئذ ينتقم من مرتكبها^(١).

وقوله: (فأحد لذك أصلاً لم يقم) فيه تقدم وتأخير ولفظ رواية البغوي^(٢): «فإذا تعدّي الحق لم يقم لغضبه شيء» أي: لشدة انتقامه، وفي رواية الطبراني: «فإذا انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضباً لله»^(٣)، أي: فينتقم من مرتكب ذلك كما هو شأن أكابر المرسلين.

وقد بعثه الله الرحمن بالإرفاق أي: رفقا بهذه الأمة لكي يتم مكارم الأخلاق. وكان أشجع الناس أي: أقواهم قلباً وأكثرهم جراءة لملاقاة العدو، وقوله: (في موطن) أي: في مكان القتال وطالما استنجد الخائف عند خوفه فأنجده أي: أعانه ونصره، وقوله: (أجود الناس بنائاً ويدا) البنان الأصابع واحداً بنانة، وفي رواية الترمذي: «كان أسخى الناس كفاً»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، قالت: «... ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم الله بها».

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي (٢٧٢/١٣).

(٣) انظر: المعجم الصغير (ص ٣٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) مطولاً من حديث عليّ رضي الله عنه. وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الترمذي.

مَا سُئِلَ قَطُّ حَاجَةً فَقَالَ لَا وَلَيْسَ بِأَوْيَ مَنْزِلًا إِنْ فَضَّلَا
 مِمَّا أَتَى دَرَاهِمٌ أَوْ دِينَارٌ حَتَّى تَرِيحَ مِنْهُمَا الْأَقْدَارُ
 أَصْدَقُ لَهْجَةٍ وَأَوْفَى ذِمَّةً أَلَيْتَهُمْ عَرِيكَةً فِي الْأُمَّةِ
 أَكْرَمُهُمْ فِي عَشْرَةٍ لَا يَحْسَبُ جَلْسِيُّهُ أَنْ سِوَاهُ أَقْرَبُ
 حَيَاؤُهُ يَرْبُو عَلَى الْعُذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا لَشِدَّةُ الْحَيَاءِ
 مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ يَعْنِي حَاجَةً مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا يَبَاحُ إِعْطَاؤُهَا فَقَالَ لَا،
 بَلْ إِنَّمَا يُعْطِيهِ أَوْ يَقُولُ لَهُ مَيْسُورًا مِنَ الْقَوْلِ فَيَعِدُّهُ أَوْ يَدْعُو لَهُ.

وقول الناظم: (وليس بأوي منزلاً أي: إلى منزله إن فضل أي: بقي مما أتى أي: من الذي يأتيه من نحو غنيمة درهم أو دينار، حتى يريحه منهما أي: من هم الدينار والدرهم الأقدار فيفرقه على مستحقه).

وكان أصدق الناس لهجة أي لسائناً يعني كلاماً والمعنى كلامه أصدق الكلام فلسانه أصدق الألسنة، وقوله: (وأوفى الناس ذمة أي: عهداً وأماناً، وأليتهم عريكة أي: أحسنهم معايشة فكان على الغاية من التواضع وقلة النفور والخلاف، هكذا كان حاله مع جميع الأمة أي: أمة الإجابة، وكان أكرمهم في عشرة أي: في حسن صحبته من يصاحبه ويعاشره لا يحسب جلسه أي: من يجالسه أن سواه أقرب إليه منه لعظم إكرامه له، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها وهو المراد بقول الناظم: (حياؤه يربو أي: يزيد على العذراء في خدرها، وقوله: (لشدّة الحياء) حشو كمل به الوزن.

نظرة للأرض منه أكثرُ إلى السماء خافضٌ إذ ينظرُ
 كان نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء كما في خبر الترمذي، يعني: نظره إلى الأرض حال السكوت وعدم التحدث أطول من نظره إلى السماء، والنظر كما في الصحاح بفتحيتين: (تأمل الشيء بالعين)، والأرض الجرم المقابل للسماء وإلّا كان نظره إلى الأرض أطول لأنه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار أو لأنه أكثر الناس حياءً وأدباً مع ربه أو لأنه بعث لتربية أهل الأرض لا لتربية أهل السماء.

أمّا في حال التحدث فكان يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء، فلا تعارض بين حديث الترمذي هذا وبين حديث أبي داود: «كان إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء»^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٧) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه. وضعفه العلامة الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (٤٣٧٤).

وقوله: (خافض الطرف إذ ينظر) أي: كان لا يثبت بصره في وجه أحد لشدة حياته ذكره الناظم تبعاً لقول عياض أنه روي كذلك، وقيل: كان المراد إذا نظر إلى شيء ما خفض بصره لأن هذا شأن المتواضع وهو متواضع بسليقته، وشأن المتأمل المتفكر وهو مشغول بالتفكر في آلاء ربه، وقيل: هو كناية عن لين جانبه ومزيد تواضعه أو عن عدم كثرة سؤاله أو استقصائه إلا في واجب، والطرف العين وهو في الأصل تحريك الأجفان عند النظر فوضع موضع النظر.

أكثرهم تواضعاً يُجيبُ داعيهُ بعيداً أو قريباً
من عبد أو حُرٍّ فقير أو غني وأرحم الناس بكل مؤمن
وطائف يعرفهُ حتى الهرة يُصغي لها الإناء غير مرة
كان أكثر الناس تواضعاً كيف وقد خُير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً
فاختار الثاني^(١).

وقوله: (يُجيب داعيه) أي: من دعاه، أصله النصب على الحال من ضمير المفعول ورفع هذا خبر مبتدأ محذوف، أي: يجيب كل من دعاه من بعيد أو قريب من عبد أو حر أو فقير أو غني ديني أو شريف، وكان أرحم الناس بكل مؤمن وبكل طائف فلا يختص برحمته من يعقل بل نعم رحمته حتى من لا يعقل كالوحش والطير، وكان كل طائف يعرفه أي: يقصده حتى الهرة تأتيه فيصغي لها الإناء لتشرب يفعل ذلك غير مرة بل كل مرة أتته يفعل بها ذلك.

كان أعف الناس ليس يُمسك أيدي مَنْ ليس لهنَّ يَمْلِكُ
يُبايع النساء لا يُصافحُ أيديهن بل كلامٌ صالحٌ

(١) أخرج أحمد في مسنده (٧١٢٠) وابن حبان في صحيحه (١٨٠/١٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩١/١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ خُلِقَ قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: «بل عبداً رسولاً». وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٠٠٢).

كان أعف الناس أي أنزههم عما لا يليق ومن عفته أنه ليس يُمسك أيدي نساء من ليس لهن يملك من رق ونكاح، ولفظ الحديث: «ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقبها»^(١) ولو قال الناظم:

كَانَ أَعْفَ النَّاسِ أَيْضًا مَا مَسَّكَ قَطَّ يَدًا لَيْسَ لِرَقَبِهَا مَلَكٌ

كان أقرب إلى لفظ الحديث لكن فيما عبر به شمول لما ملك بالزوجة دون هذه. وكان يبايع النساء ويستغفر لهن امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ [المتحنة: ١٢]، لكن لا يضافح أيديهن بل مبايعته لهن كلام صالح يعني بايعهن بالكلام لا بالمصافحة في اليد عند المبايعة.

أَشَدُّهُمْ لِحَبِّهِ إِكْرَامًا لَيْسَ يَمُدُّ رَجُلُهُ احْتِرَامًا
بَيْنَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ رُكْبَتَهُ عَلَى الْجَلِيسِ يُكْرِمُ
فَمَنْ بِدِيهِ رَأَاهُ هَابَةً طَبْعًا وَمَنْ خَالَطَهُ أَحَبَّهُ

كان أشد الناس لأصحابه إكراماً لهم ومن ذلك أنه كان لا يمد رجله بين جلسائه احتراماً لهم وفي رواية: «كان أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه إكراماً واحتراماً لهم»^(٢)، ولم يكن يقدم ركبته على جلسيه بل كان يكرمه بتجنب ذلك تواضعاً وإيناساً، ومن رآه بديهة أي رؤية بديهة فهو مفعول مطلق يعني فجأة من غير مخالطته ومعرفة أخلاقه أو قبل النظر في أخلاقه العلية وأحواله السنية هابه وعظمه وخافه طبعاً أي بالطبع وإن لم يره قبل ذلك لما علاه من صفات الجلال ونعوت الكمال، ومن خالطه وعاشره أحبه لما يشاهده من محاسن أخلاقه ومزيد شفقتة وتواضعه وباهر عظيم تألفه وأخذه بالقلوب، فكانت تحنُّ إليه الأفتدة وتقرُّ به العيون وتأنس به القلوب، فكلامه نور ومدخله نور ومخرجه نور وعمله نور، إن سكنت علاه الوقار وإن نطق أخذ بالقلوب والبصائر والأبصار.

يَمْشِي مَعَ الْمَسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ فِي حَاجَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا أَنْفَسَةٍ
يُخَصِّفُ نَعْلَهُ يَخِيطُ ثَوْبَهُ يَحْلِبُ شَاتَهُ وَلَنْ يَعْيِيَهُ

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل، برقم (٥٠٥). وانظر: ميزان الاعتدال (٢٥٦/٥).

كان يمشي مع المسكين والأرملة إذا أتياه في حاجة ما، يفعل ذلك من غير ما أنفة بفتح الهمزة والنون وزيادة ما يقال أنف من الشيء إذا شرفت نفسه عنها وتنزعه عنه، وكان يخفف نعله أي يخرزها، ويخيط ثوبه أي: يرقعه ويعمل في بيته كما يعمل الآحاد، وكان يجلبُ شاته ويجندم نفسه أي: يتعاطى خدمة نفسه بنفسه ولا يعييه ذلك.

يَخدم في مهنة أهله كما يَقْطَعُ بالسكين لَحْمًا قَدْما
يُردف خلفه على الحمار على إكاف غير ذي استكبار
يمشي بلا نعل ولا خُفٍّ إلى عيادة المريض حوله الملام

وكان يخدم في مهنة أهله بفتح الميم أي خدمتهم، يعني يتعاطى ذلك معهم، وربما تحمله عنهم جملة، وذلك مثل تقطيع اللحم الذي يقدم إليه للأكل بالسكين فأئنه كان يتولى ذلك بنفسه وذلك لا يأنف منه، وكان يردف خلفه عبده أو خادمه أو قريبه يفعل ذلك على الحمار وغيره من نحو ناقه أو بغلة أولى، وكان يركب على إكاف بكسر الهمزة وهو للحمار كالسرج للفرس يفعل ذلك من غير تكبر، وكان يمشي حافيًا بلا نعل ولا عيادة المريض وحوله الملام من أشرف قومه وأصحابه سموا ملام لأن رؤيتهم تملأ العين.

يُجالسُ الفقير والمسكين والكُرام إذ يأتوننا

وكان يُجالسُ الفقراء والمساكين والعبيد والإماء ويعودهم ويزورهم ويتفقّد حالهم ويشهد جنازتهم، ويكرّم أهل الفضل والكُرام حين يأتون إليه وربما بسط لبعضهم رداءه، ويقول: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»^(١)، فكان يحافظ على تألف أهل الشرف ترغيبًا لهم ولقومهم في الإسلام.

ليس مواجهًا بشيء يكرهه جليسه بل بالرضا يواجهه

كان لا يواجه أحدًا من الناس بشيء يكرهه لا سيما جليسه بل يواجهه بالرضا ويقول إذا بلغه عن أحد ما يكرهه: «ها بال أقوام يصنعون كذا»^(٢)، ولا يقول ما بال

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٢) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-. وحسنه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٢٦٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٥٦، ٤٧٣٥، ٦١٠١)، ومسلم (١٤٠١، ٢٣٥٦).

فلان يفعل كذا، وفي نسخة: (يشافهه) بدل يواجهه، وكان يقبلُ بوجهه وحديثه على أشرف القوم.

يَمْنَحُ لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا يَجْلِسُ فِي الْأَكْلِ مَعَ الْأَرْقَا
وكان يمنحُ مع أصحابه مؤانسةً لهم وتألُّفاً لما كانوا عليه من شدة فكان يُمازحهم تخفيفاً عليهم لكنه لا يقولُ إلاَّ حقاً لأنَّه معصوم عن الكذب فالمزاح لا يُنافي الكمال حيث لم يخرج عن القوانين الشرعية، وكان يجلسُ في الأكل مع العبيد الأرقاء ويتشبه بهم في الجلوس للأكل فلا يترفع عليهم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد وأجلسُ كما تجلس العبيد»^(١).

يَأْتِي إِلَى بَسَاتِنِ الْإِخْوَانِ يَكْرَهُهُمْ بِذَلِكَ الْإِثْمَانِ
أي: كان يذهبُ إلى بساتين أصحابه يقصد بذهابه إليهم إكرامهم وتألُّفهم وقد ذهبَ إلى بستان أبي الهيثم وغيره، وأصلُ بساتن بساتين جمع بستان فحذف الياء للوزن، والبستان فعلان قال الفراء^(٢): عربي، وقال بعضهم: روميٌّ معرب.

قِيلَ لَهُ يَدْعُو عَلَى الْكَفَّارِ دُوسٌ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْفَجَّارِ
فَقَالَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَيْسَ لِعَانًا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ
بَلْ سَأَلَ اللَّهُمَّ فَاهِدٌ دُوسًا وَأَتَى بِهِمْ فَأَصْبَحُوا رَعُوسًا
كان من شدة رحمة المصطفى بالخلق أنه قيل له: قد دعا نوح على قومه فلو دعوت على من وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسر ربايعتك ولو دعوت على دوس وغيرهم من الكفار، فقال: «إنما بعثتُ رحمةً ولم أبعث لعناً»^(٣).

وهو مراد الناظم بقوله: (وليس لعاناً نبي الرحمة) فلم يجب من سأله إلى الدعاء عليهم بل دعا لهم فقال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم مسلمين»^(٤)، فأصبحوا رعوساً في الإسلام، وحديث البخاري: جاء الطفيل إلى النبي فقال: إن دوساً قد هلكت عصت

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣١٨/٨) من حديث عائشة -رضي الله عنها-. وذكره الهيثمي في

المجمع (١٩/٩)، وقال: "إسناده حسن". اهـ.

(٢) انظر: المصباح المنير (ص ١٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأبت فادع الله عليهم فقال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم» فأسلموا. ودوسٌ قبيلة من اليمن من الأزد وهو في النظم بالجر بدل من الكفار، وقوله: (وغيرهم) عطف على المجرور.

لَمْ يَكْ فَحَاشَا وَلَا لَعَانَا وَلَا بَخِيلًا لَا وَلَا جَبَانًا
يَخْتَارُ أَيْسَرُ الْأُمُورِ إِذَا مَا خَيْرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِثْمًا
قوله: (لم يك) أصله لم يكن حذفت النون تخفيفاً أي: لم يكن المصطفى بالفاحش في كلامه وفعله، وقوله: (فحاشاً ولا لعاناً) من أبنية المبالغة لكن صيغة المبالغة فيها غير مرادة بل المراد نفى أصل الفعل، ولم يكن بخيلاً ولا جباناً أي: ضعيف القلب عن القتال ونحوه، كان يختار أيسر الأمور أي: إذا خيّر بين أمرين أو أمور اختار أيسرها إلا أن يكون إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه.

لَمْ يُرْ ضَاحِكًا بَمَلْءٍ فِيهِ بَلْ ضَحْكُهُ تَبَسُّمًا يُبْدِيهِ
قوله: (لم ير) مبني للمفعول أي: كان لا يراه أحد وهو يضحك بملء فيه بل كان ضحكه تبسماً يديه، أي: يظهره. وفي خبر الترمذي: (ما كان ضحكه إلا تبسماً)^(١). قالوا: أطلق النبي مع ثبوت أنه ضحك حتى بدت نواجذه إلحاقاً للقليل بالعدم فالمراد أن أغلب أحواله أنه كان جل ضحكه التبسم.

يَعْجَبُ مِمَّا يَعْجَبُ الْجَلِيسُ مِنْهُ فَمَا بَوَّجَهُ عُبُوسُ
أَصْحَابِهِ إِذْ يَتَنَاشَدُونَ بَيْنَهُمُ الْأَشْعَارُ يَضْحَكُونَ
وَيَذْكُرُونَ جَاهِلِيَّةً فَمَا يَزِيدُهُمْ عِلًى أَنْ يَشْرِكَهُمْ تَبَسُّمًا
كان المصطفى يعجب بفتح أوله مما يعجب جلسه منه، وفي خبر الترمذي عن علي: «يعجب مما يعجبون ويضحك مما يضحكون»، فما كان يرى بوجهه عبوس بضم عين عبوس يُقال: عبس عبوساً قطَّب وجهه، فهو عابس وعبس اشتد فهو عبوس كرسول، وكان أصحابه حين يتناشدون فيما بينهم الأشعار يضحكون ويذكرون أشياء من أمور الجاهلية فما يزيدهم على أن يشركهم تبسماً في وجوههم

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٤٥) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه. وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٨٦١).

تلفظاً بهم وإيناساً لهم، فقلوه: (يَعَجِب) بفتح أوله وثالثه والتعجب استحسان الشيء والإخبار عما يرضاه، وقوله: (يُشْرِكُهُمْ) بفتح أوله وثالثه.

قد وسع الناس ببسط الخلق فهم سواءٌ عنده في الحق
ما انتهر الخادم قطُ فيما يأتيه أو يتركه مَلُومًا
في صنعه للشيء لم صَنَعْتُهُ وَتَرَكَهُ لِلشَّيْءِ لَمْ تَرَكْتُهُ
يقول لو قَدَّرَ شيءٌ كَانَا سُبْحَانَ مَنْ كَمَلَهُ سُبْحَانَا

قد وسع حلم المصطفى جميع الناس في معاشرتهم ببسط الخلق فهم عنده في الحق سواء، ما انتهر خادماً قط فيما فعله أو تركه وما قال له في شيء صنعه لم صنعه، ولا في شيء تركه لم تركته، بل يقول لو قدر شيء أي: لو قدر الله فعل هذا الأمر أو الشيء لكان، فسبحان من كمل أوصافه الجميلة الجليلة.

وقوله: (ملوماً) بفتح الميم الأولى اسم مفعول من لامه يلومه عدله وهو نصب على الحال أي: ما انتهر حال لومه، وتكرير سبحان للتأكيد والمضاد إليه محذوف وتقديره سبحانه.

وفي الجلوس يَحْتَبِي تواضعًا ومرة كالْقَرْفَصَاء خاضعًا
مجلسه حلمٌ وصبرٌ وحَيَا يبدأ بالسَّلام مَنْ قَدْ لَقِيََا
ويؤثر الداخل بالوسادة أو يبسط الثوب له زيادة

كان المصطفى يَحْتَبِي في الجلوس فقسي خبر أبي داود وغيره: «كان إذا جلس في مجلس احتبى بيديه»^(١) فكان يفعل ذلك تواضعاً لله، وكان يجلس مرة القرفصاء بضم القاف والفاء كما في خبر الشائل^(٢)، وكان أبداً خاضعاً مجلسه مجلس حلم وصبر وحياء كما في خبر الشائل أيضاً، يبدأ من لقيه بالسلام ويؤثر الداخل عليه بالوسادة كما في

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٧٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الشائل الحمدي ص (١١٨)، وأبو داود (٧٤٨٤) من حديث قيلة بنت مخزوم - رضي الله عنها - وضعفه الألباني - رحمه الله - في مختصر الشائل برقم (١٠١) وقال في هامشه: وله شاهد من حديث أبي أمامة الحارثي مرفوعاً بلفظ: كان إذا جلس جلس القرفصاء. أخرجه أبو الشيخ ص (٢٤٧) بسند لا بأس به في الشواهد. اهـ وانظر: صحيح الجامع (٤٩١٤).

خير أحمد، أو ييسط له ثوباً زيادة في إكرامه كما فعله مع جرير حين دخل عليه، وورد ذلك من طرق.

ليس يقول في الرضا والغضب قطعاً سوى الحق فخذْه واكتب
يعظ بالجد إذ ما ذكرنا كآله منذر جيش حذراً
ويستنير وجهه إن سراً تخالعه من السرور بذراً
كان المصطفى لا يقول في حالة الرضا والغضب إلا الحق قطعاً لعصمته، وقوله: (فخذْه) ضميره راجع إل مصدر المضارع الذي هو يقول، أي: فاقبل قوله كله على أي حالة كان فهو حق واكتب عنه كل ما يقوله في حال الرضا والغضب فإنه معصوم لا ينطق إلا بالحق.

وكان يعظ الناس أي: يخطبهم بالجد والاجتهاد إذا ذكرهم بآيات الله وخوفهم من عقابه فكان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش أي: قوم يُصيحهم عدوهم رواه مسلم وغيره^(١).

وقوله: (حذراً) أي خوفهم من النار ليس له كبير فائدة هنا، وكان إذا سر استنار وجهه حتى تخالعه أي: تحسب وجهه من السرور بداراً أي: قمراً كاملاً، وفي خبر الشيخين: (كان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر).

يَمْنَعُ أن يَمْشِي خَلْفَهُ أَحَدٌ بل خلفه ملائكة الله الأَحَدُ وليس يَجْزِي سَيِّئاً بِمِثْلِهِ لكنْ بعفو وبصفح فضله
كان يمنع أن يمشي خلفه أحد بل يمشي خلفه ملائكة الله الواحد الأحد، وفي خبر أبي نعيم: «امشوا أمامي واخلوا ظهري للملائكة»^(٢).

وقوله: (وليس يجزي) بفتح أوله ويضم، وسيئاً بفتح المهملة وشد التحتية أي لا يجازي الكلام والفعل القبيح بمثله، وفي الصحيح: «ولا يجزي بالسيئة مثله»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١١٧/٧) من حديث جابر رضي الله عنه. وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٨٩).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٢٤٨٨٩) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وأخرجه البخاري (٢١٢٥) من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- ولفظه: «ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر...» الحديث.

وقوله: (لكن بعفو) مجرور بالباء الموحدة أي: لكن يقابل بالعفو، وقوله: (وبصفح) مثله، وقوله: (فضله) بالجر بدل اشتغال من عفو أي: يعفو عنه تفضيلاً عليه مع القدرة، فمن ذلك عفوّه عن اليهودية التي سمته، وعن اليهودي الذي تقاضاه دينه فأغلظ عليه، وعن جذبته بردائه حتى أثرت حاشيته في عنقه، وقال: «هذه قسمة ما أريد بها وجه الله»^(١) إلى غير ذلك مما لا تسعه بطون الدفاتر.

كَانَ يُحِبُّ الْفَأْلَ مِمَّنْ ذَكَرَهُ وَكَانَ يَكْرَهُ اتِّبَاعَ الطَّيْرَةِ
كان يحب الفأل وهو أن يسمع كلاماً حسناً فيتيمن به من ذكره كقوله
وقد سمع رجلاً يقول يا خضرة حال خروجه لخير: اخرجوا بنا إلى خضرة:
«أخذنا فالك من فيك» فما سل فيها سيف، وكان يكره اتباع الطيرة وهي التشاؤم
بالشيء يسمعه أو يراه، وقوله: (اتباع الطيرة) بمثابة فوقية مشددة والطيرة بكسر ففتح.



باب ذكر خلقه بضميتين في الطعام والشراب ومتعلقاتهما

وَلَمْ يَعْزُ قَطُّ طَعَامًا يَخْضُرُهُ يَأْكُلُهُ إِنْ يَشْتَهِي أَوْ يَذَرُهُ
وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسُهُ مُتَكِيًا فِي حَالَةِ الْأَكْلِ وَلَكِنْ مُقْعِيًا
كان المصطفى لا يعيب طعاماً يحضر إليه قط بل إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه
وفي الصحيحين^(٢): (ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه)، ولم يكن
جلوسه متكياً أي: معتمداً على أحد شقيه أو على وطاء تحته حال الأكل لأنه فعل
الشره النهم ولكنه يأكل مقعياً بأن يجلس على وركيه مستوفراً غير متمكن.

يُعْجِبُهُ الذَّرَاغُ وَالذَّبَّاءُ وَالْعَسَلُ الْمَحْبُوبُ وَالْحُلُوءُ
وَيَأْكُلُ الْبَطِيخَ وَالْقِثَاءَ بَرُطَبٍ يَنْغِي بِهِ الدَّوَاءُ
يَقُولُ يُطْفِي بِرَدِّ ذَيْنِ حَرٍّ ذَا وَكُلُّ إِرْشَادٍ فَعْنُهُ أَخِيذَا

(١) انظر: صحيح البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان يعجبه الذراع وفي الصحيحين^(١): «أنه كان أحب الشاة إليه الذراع»،
والدباء أي: القرع، وفي الصحيحين^(٢): «أنه كان يتبعه من حوالي القصعة، ويعجبه
العسل والحلواء»، وفي الصحيحين^(٣): «كان يحب الحلواء والعسل».

قال الأزهري: (والحلواء اسم لما يؤكل من الطعام إذا كان معالجاً بحلاوة)، وكان
يأكل البطيخ بكسر الباء والعامية تفتحها وهو خطأ والمراد أنه كان يأكل البطيخ
بالرطب والقثاء بالرطب يتغي بالجمع بينهما الدواء بالجمع بين حارٍ وباردٍ ويقول: (يطفي
برد ذين) أي: البطيخ والقثاء، (حر ذا) أي: الرطب رواه الترمذي وغيره.

يَأْكُلُ بِالأَصَابِعِ الثَّلَاثَةَ يَلْعَقُهَا لِقْصْدِ ذِي الْبَرَكَةِ
يَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ ثُمَّ يَخْتُمُ بِالْحَمْدِ فِي شَرْبٍ وَأَكْلٍ يَطْعُمُ
يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسَا يَمْصُرُ فَهُوَ أَهْنَأُ اخْتِلَاسَا
لَمْ يَتَنَفَسْ فِي الْإِنْسَانِ إِذَا يَشْرَبُ يُبَيِّنُهُ عَنْ فِيهِ فَهُوَ أَطْيَبُ
كان يأكل بالأصابع أي: بأصابعه فأل فيه بدل من الضمير الثلاثة ويستعين بالرابعة
كما في حديث عامر بن ربيعة، وكان يلعقها أي: الأصابع واحدة واحدة كما جاء هكذا
في رواية مسلم، ويقول: «لا أدري في أي الأصابع البركة»^(٤)، ويصح كون الضمير
في يلعقها لغیر مذكور لكونه معلوماً على حد ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص:
٣٢]، وتقديره يلعق القصعة كما يشير إليه خبر البيهقي في الشعب^(٥): «ولا يرفع القصعة
حتى يلعقها فإن آخر الطعام فيه البركة»، وإليه أشار الناظم بقوله: (لقصد ذي
البركة) أي: يقصد تحصيلها.

وكان يبدأ بسم الله ثم يختم بالحمد أي: بحمد الله في وقت شرب وأكل، وفي
الصحيح عن أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٩)، ومسلم (٢٠٤١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٣١)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٣٣) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -.

(٥) انظر: شعب الإيمان (٨١/٥)، وانظر: صحيح الجامع (٣٧٩).

مكفي ولا مكفور^(١)، وكان يشربُ في ثلاثة أنفاس كما رواه الطبراني، وزاد: (وله فيها ثلاث تسميات، وفي آخرها ثلاث تحميدات). وقول الناظم: (أنفاسًا) بالنصب على التمييز.

وكان يحص الماء مصًّا ولا يعبه عبًّا فهو أهنأ اختلاصًا والاختلاص أخذ الشيء بسرعة، وكان لا يتنفسُ حين يشرب بل يبينه أي: يبعده عن فيه إذا أراد التنفس فهو أطيب من العب نفسًا وأجدي.

يَشْرَبُ قَاعِدًا وَمَنْ قِيَامَ لِعَارِضٍ كَزَمَزِمِ الْحَرَامِ
وَشَرْبُهُ مِنْ قَرِيبَةٍ مُعَلَّقَةٍ دَلٌّ بِهِ لِلرُّخْصَةِ الْمُحَقَّقَةِ
كان يشرب قاعدًا في أكثر أحواله ويشرب من قيام لعارض كشربه من بئر زمزم التي بالمسجد الحرام فإنه كان للزحام، وقول الناظم: (وشربه) بالجر عطفًا على زمزم وبالرفع مبتدأ خبره دل على إلخ.. أي: وشربه من قربة معلقة الذي رواه ابن ماجه وغيره كان لعارض، وقوله: (دل به) أي: بشربه قائمًا بيأنًا لقوله: (لِلرُّخْصَةِ الْمُحَقَّقَةِ).

يُنَاوِلُ الْأَيْمَنَ قَبْلَ الْأَيْسَرِ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِحَقِّ الْأَكْبَرِ
كان إذا شرب لبنا أو غيره وحوله جماعة يناول سورة من على جانبه الأيمن قبل الأيسر كما في البخاري وغيره^(٢)، وعن أنس فكان يقدم الأيمن ولا يقدم الأيسر عليه إلا بإذنه أي: الأيمن، ليخير مسلم^(٣) أنه أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: «أتأذنُ لي أن أعطي هؤلاء القوم» فقال: لا أوثر بنصيب منك أحدًا، وإنما استأذنه لحق الأكبر أي: لرعاية حق الأكبر على الأصغر.

وَالْبَارِدُ الْخَلْسُ يَحِبُّ شَرْبَهُ وَاللَّبَنُ اسْتِزَادَ إِذْ أَحْبَبَهُ
يَقُولُ زَدْنَا مِنْهُ فَهُوَ يُجْزِي عَنْ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ الْمُجْزِي

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٢)، ومسلم (٢٠٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٢٠)، ومسلم (٢٠٣٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

وكان البارد من الحلو يشربه ويأكله يحب شربه وأكله لخبر الطبرانسي وغيره: «أبردوا الطعام فإن الحار غير ذي بركة»^(١)، ولخبره أيضاً: «كان أحب الشراب إليه الحلو البارد»^(٢). وقول الناظم: (واللبن) مفعول مقدم لقوله استزاد تقديره واستزاد النبي من حب اللبن، وقوله: (إذ) للتعليل أي: لأنه أحبه، والسين في استزاد للطلب وكان إذا شرب لبناً قال: «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» كما رواه الترمذي^(٣). وفي خبر: «ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب إلا اللبن»^(٤). والقاء في قوله: (فهو) سببية أو للتعليل أي لأنه يُجزي بضم الباء من الإجزاء، وقوله: المجزي بضم الميم.



باب ذكر خلقه في اللباس

أي: ما يلبس.

يَليْسُ ما مِنْ الثَّيابِ وَجَدًا	مَنْ الإِزارَ والقَميصَ والرِّدا
وَبِرْدَةٍ وَشَمْلَةٍ وَحِجْرَةٍ	وَجَبَّةٍ أَوْ فَقْبَاءَ حَضْرَةٍ
لَبَسَ أَيْضًا حُلَّةَ حَمراءَ	فَزَادَهَا بِحُسْنِهِ بَهَاءَ
وَرُبَّمَا ارْتَدَّى الكِساءَ وحده	ليْسَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ لَمْ يَعدْ
وَرُبَّمَا كانَ الإِزارُ وَحْدَهُ	ليْسَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ يَعمَدُ
وَرُبَّمَا كانَ عَلَيْهِ مَرطُ	مُرَحَّلٌ يَفْتَنُ لا يَشْتَطُ
وَرُبَّمَا صَلَّى بِثَوْبٍ وَاحِدٍ	مُلْتَحِفًا بِهِ بِغَيْرِ رَائِدٍ

كان يلبس من الثياب ما وجده من إزار وقميص ورداء وبردة وشملة وحبرة بكسر ففتح ثوب أخضر مخطط من برود اليمن، وجبة من صوف وقباء بالمد عربي من قبوت الشيء ضمته.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٠٩/٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحاكم في المستدرک (٤/

١٣٢) من حديث جابر رضي الله عنه. وضعفه الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٥) من حديث عائشة - رضي الله عنها -، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٦٢٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٣٠)، والترمذي (٣٤٥٥)، وابن ماجه (٣٣٢٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، وحسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٣٨١).

(٤) التخریج السابق نفسه.

وقول الناظم: (حضره) أي: يلبس ما حضره من ذلك كما كان يأكل ما حضر، ولبس أيضاً حلة حمراء وهي ثوبان من جنس واحد فلماً لبس الحلة الحمراء زادها بحسنه بهاء إلى بهائها، وقوله: (وربما ارتدى الكساء) أي: بالكساء فحذف حرف الجر نحو: تمرّون الديار أي: بالديار وحده ليس عليه شيء غيره، ولم يعدّه بسكون العين أي: لم يجاوز الكساء إلى غيره، وربما كان يلبس الإزار وحده ليس عليه غيره، وقوله: (بعقدة) الباء حرف جر وعقدة -بضم العين- مجرور أي: يربطه بعقدة يعقد بها، وربما كان عليه مرط بكسر الميم كساء من صوف أو خز مرحل بحاء مهملة مفتوحة مشددة أي: نقش فيه تصاوير، وفي أبي داود: «خرج علينا رسول الله وعليه مرط مرحل من شعر أسود»^(١).

وكان يتقنع بذلك ولا يشتط أي: لا يفرط بل يراعي الوسط المعتدل في خشونة الثياب ولينها ويستعمل ما حضر من غير تكلف، وربما صلى بثوب واحد أي فيه ملتحقاً به أي مشتملاً به بغير زائد عليه، وفي البخاري عن الزهري: الملتحف المتوشح، وهو المخالف بين طرفيه على عاتقه.

لا يُسْبَلُ الْقَمِيصَ وَالْإِزَارَ بل فَوْقَ كَعْبِيهِ هُمَا اقْتَصَارَا
بل رُبَّمَا كَانَا لِنَصْفِ السَّاقِ تَوَاضَعَا لِرَبِّهِ الْخَلَاقِ
كان لا يُسْبَلُ الْقَمِيصَ وَلَا الْإِزَارَ أي: لا يرسلهما إلى الأرض إذا مشى لأن ذلك فعلُ التكبرين بل يجعل الإزارَ والقميصَ فوق كعبيه، وقوله: (هما اقتصارا) أي: مقتصرًا على ذلك لا يزيد عليه، وفي خير: «ما جاوز الكعبين ففي النار»^(٢) بل ربما كان إزاره وقميصه لنصف الساق، يفعل ذلك تواضعاً لربه الخلاق سبحانه.

يَلْبَسُ ثَوْبَهُ مِنَ السَّمَاءِ وَكَزَعُهُ بِالْعَكْسِ لِلتَّيَّاسِ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨١)، وأبو داود (٤٠٣٢) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، ولفظه: «خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود».

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار».

كان إذا لبس ثوبه لبسه من ميامنه كما في الترمذي عن أبي هريرة^(١)، وإذا نزع نزع بالعكس أي: ينزعه من مياسره، وإنما كان يفعل ذلك رعاية للتيامن فإنه كان يحب التيامن في شأنه كله أي: مما هو من قبيل التكريم والτίαςر في ضد ذلك، وفي خبر أبي الشيخ وغيره: «كان إذا لبس بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر». كانت له ملحفة مصبوغة بزعفران أو بورس يُنبتُ كانت له ملحفة بكسر الميم مصبوغة بزعفران أو بورس، وقوله: (ينبت) بالبناء للمفعول أي: هو نبت يُزرع باليمن، وفي أبي داود: (كانت له ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس يشتمل به).

يَقُولُ عِنْدَ اللَّبْسِ بِاللِّسَانِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ مِنْ لِبَاسٍ مَعَ التَّجَمُّلِ بِهِ فِي النَّاسِ
كان إذا لبس ثوباً جديداً يقول عند لبسه بلسانه: «الحمد لله الذي كساني ما يستر عورتي»^(٢) من اللباس مع التجميل به في الناس، وفي خبر الترمذي: «من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كَنَفِ اللَّهِ وفي حفظ الله وفي ستر الله حياً وميتاً»^(٣).

وَيَصْعَدُ الْمَنِيرُ إِذَا يَشَاءُ بِرَأْسِهِ عَصَابَةٌ دَسْمَاءُ
كان يصعد المنير إذ يشاء أي: وقت شاء على أي حال تيسر فربما صعده وبرأسه أي: عليها عصابة دسماء أي: لونها لون الدسم يعني سوداء وهذا مروى في البخاري وغيره^(٤)، والمنير بكسر الميم. ونعله الكريمة المصونة طوبى لمن مسَّ بها جيئة

(١) أخرجه الترمذي (١٧٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٧٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٦٠)، وابن ماجه (٣٥٥٧) من حديث عمر رضي الله عنه. وضعفه الألباني - رحمه الله - في ضعيف الجامع (٥٨٢٧).

(٣) التخريج السابق نفسه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٢٨) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

لَهَا قَبَالَانِ بِسِيرٍ وَهُمَا سَبْتَيَّانِ سَبَتُوا شَعْرَهُمَا
وَطَوَّلَهَا شَبْرًا وَإِصْبَعَانِ وَعَرَضُهَا مِمَّا يَلِي الْكَعْبَانِ
سَبْعُ أَصَابِعٍ وَبَطْنُ الْقَدَمِ خَمْسٌ وَفَوْقَ ذَا فَسَتْ فَاعْلَمِ
وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ وَعَرَضُ مَا بَيْنَ الْقِبَالَيْنِ إِصْبَعَانِ اضْطَبَّهْمَا
وَهَذِهِ تَمَثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ وَدَوْرَهَا أَكْرَمُ بِهَا مَنْ نَعَلَ

وأما صفة نعله الكريمة المصونة عن الأدناس فهي التي تُسمى التاسومة طوي لمن مس بها جبينه، وكان لنعله قبالاتان كما في البخاري وغيره^(١)، وهما تنية قبالة بقاف مكسورة وهو الزمام الذي بين الأصبع الوسطى والتي تليها.

والباء في قول الناظم: (بسير) بمعنى من أي: القبالة من سير وهما أي: النعلان سبتيتان مخصوفتان، أي: سبتوا شعرهما وقيل: كانت صفراء، والسبتية بالكسر جلود البقر المدبوغة سميت به لأن شعرها سبت أي: حلق وأزيل أو لأنها أسبتت بالدباغ أي: لانت، وكان طولها شبرًا وإصبعين وعرضها من جهة الكعبين سبع أصابع مستوية وبطن القدم منها خمس أصابع وفوق بطن القدم ست أصابع فاعلم هذه الحدود، ورأسها أي: رأس النعل محدود.

قال السهيلي: جاء في صفة نعله أنها كانت معقبة مخصرة ملسنة محترمة هو كالتحديد في مقدمها وكان عرض ما بين القبالتين إصبعين ملتصقين، وقوله: (اضبطهما) حشو كمل به الوزن، وكذا قوله قبله: (فاعلم)، وهذه الصفة التي ذكرها الناظم هي صفة تمثال لتلك النعل الشريفة وتحديد دورها فأكرم بها من نعل مباركة شريفة.



(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

باب ذكر صفة خاتمه

بفتح التاء وكسرهما والكسر أفصح.

خَاتَمُهُ مِنْ فَضَّةٍ وَقَصُّهُ مِنْهُ وَنَقَشَهُ عَلَيْهِ نَصُّهُ
مُحَمَّدٌ سَطَّرَ رَسُولُ سَطَّرُ اللَّهُ سَطَّرَ لَيْسَ فِيهِ كَسَرُ
وَقَصُّهُ لِبَاطِنٍ يَخْتَمُ بِهِ وَقَالَ لَا يُنْقَشُ عَلَيْهِ يَشْتَبِهُ

كان خاتمه من فضة كله وفصه منه كما في خبر أبي داود^(١)، وكان نص نقشه عليه (محمد رسول الله) محمد سطر ورسول سطر والله سطر.

قال الإسنوي شيخ الناطم: وفي حفظي، أنها كانت تقرأ من أسفل ليكون اسم الله من فوق الكل، وقوله: (ليس فيه كسر) أي كان كل سطر حروفه كاملة وهو حشو كمل به الوزن، وكان إذا لبسه جعل فصه بباطن كفه وكان يختم به على الكتب.

وفي الشماثل وغيرها، عن ابن عمر «أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه»^(٢). وقوله: (وقال لا ينقش عليه) بالبناء للمفعول أي: ينهى أن ينقش عليه أحد لئلا يشتهه خاتمه بخاتم غيره.

يَلْبِسُهُ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي خَنْصَرٍ يَمِينٍ أَوْ يَسَارٍ
كِلَاهُمَا فِي مَسْلَمٍ وَيُجْمَعُ بِأَنَّ ذَا فِي حَالَتَيْنِ يَفْعُ
أَوْ خَاتَمَيْنِ كُلِّ وَاحِدٍ يَدٍ كَمَا بِفَصِّ حَبَشِيٍّ قَدْ وَرَدَ

وكان يلبس خاتمه كما رواه البخاري في صحيحه^(٣) في خنصر يمينه، أو يساره أي يده اليمنى أو اليسرى، وكلاهما أي التختم في اليمين واليسرى جاء في صحيح مسلم أيضاً^(٤)، ويجمع بين الحديثين بأن هذا كله كان في حالتين في حالة يتختم في يمينه وفي حالة في يساره بياناً للجواز وأنه تختم في يمينه ثم حوله إلى يساره، قال البخاري:

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٠)، وأبو داود (٤٢١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي (٥٢١٨)، والترمذي في الشماثل (ص ٩٠) وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في مختصر الشماثل (٧٢) دون قوله: "ولا يلبسه" فهو شاذ.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(حديث التختم في اليمين أصبح شيء في الباب)^(١)، ويُجمع بأنه كان له خاتمان كل واحد أي: كل خاتم بيد، كما أنه كان يتختم بخاتم بقص أي: له فص حبشي كما ورد في مسلم^(٢) وتارة يتختم بخاتم فسه منه أو حبشي.



باب ذكر فراشه

أي: كيفيته وهو بكسر الفاء وشين معجمة المتاع يوضع تحت الإنسان لينام عليه يقى عنه البرد وأذى الحر.

فراشه من آدم وحشوه ليفٌ فلا يُلهي بعجب زهوه
وربما نام على العباءة بثنتين عند بعض التسوة
وربما نام على الحَصِير ما تحته شيء سوى السرير

كان فراشه من آدم بفتحيتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ وحشوه ليف رواه الشيخان^(٣)، وقوله: (فلا يُلهي) بضم أوله وكسر ثالثة، بعجب: بالتونين، زهوه: أي حسن منظره أي: لا يؤدي بمنظره الحسن إلى عجب وكبر بل يؤدي إلى تواضع، وربما نام على العباءة يثنيتها ثنتين عند بعض نسائه أي تفرش له العباءة إذا نام طاقين تحته.

وفي الترمذي عن حفصة: «كان فراشه مسحاً يثنيه ثنتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ لك فثناه بأربع فلما أصبح أمر برده لحالته الأولى»^(٤)، وربما نام على الحَصِير ما تحته شيء غيره سوى السرير الذي ينام عليه كما جاء نومه على الحَصِير في الصحيحين وغيرهما^(٥).



(١) ذكر قول البخاري هذا الترمذي في سننه (١٧٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (ص ٢٦١)، وقال الألباني - رحمه الله - في مختصر

الشمائل (٢٨٣): ضعيف جداً.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

باب ذكر طيبه الذي كان يتطيب به وكحله

الطيبُ والنساءُ حُبًّا له ويكرهُ الريحَ الكريهَ كُلَّهُ
وطيبُهُ غاليةٌ ومسكٌ والمسكُ وحدهُ كذاكَ السُّكِّ
بُخورهُ الكافورُ والعودُ النَّدى وعِيْنُهُ يَكْحُلُهَا بِالْإِثْمِدِ
ثَلَاثَةً فِي الْعَيْنِ لِلْإِيتَارِ وَرُؤْيَا اثْنَتَيْنِ فِي الْيَسَارِ

قوله: (الطيب والنساء) مبتدأ خبره قوله: (حببا له) روى النسائي وغيره خبر: «حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: النَّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١).

وكان يكره كل ما له ريح كريه، وكان طيبه الذي يتطيب به الغالية وهي مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور، وكان يتطيب أيضا بالمسك وحده، وكذاك السك بضم المهملة وشد الكاف وهو طيب معروف ويُضاف إليه غيره من الطيب.

وفي خبر الترمذي: (كان له سَكَّةٌ يتطيبُ منها)^(٢)، وكان بخوره الكافور والعود الند بفتح النون وأصله التشديد لكن خفف للوزن، والعود الند هو ما يتبخر به، وكان يكحل عينه بالإثمد وهو الكحل الأسود المعروف.

وقول الناظم: (ثلاثة) بالنصب بدل، وقوله: (في العين) أي في كل عين لأجل الإيتار المحبوب المطلوب، وروي: (أنه كان يَكْحُلُ ثَلَاثًا فِي الْيَمِينِ وَثْنَيْنِ فِي الْيَسَارِ)^(٣) ليحصل الوتر في العينين معًا.



(١) أخرجه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (١٣٦٢٣) من حديث أنس رضي الله عنه. دون قوله: "ثلاث"، وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٦٢)، والترمذي في الشمائل من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٨٣١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٦٤/١٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩٦/٥)، وقال: "فيه عتبة بن علي وهو ضعيف" اهـ.

باب ذكر شيء من معجزاته

جمع معجزة وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، وهو ﷺ أكثر الأنبياء معجزات فقد قيل: إنها تبلغ ألفاً، وقيل: ثلاثة آلاف سوى القرآن فإن فيه ستين ألف معجزة تقريباً.

قال الحلبي: وفيها مع كثرتها معنى آخر وهو أنه ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراق الأجسام وإنما ذلك في معجزات نبينا خاصة، وقد جمع له كل ما أوتيته الأنبياء من معجزات وخصائص وفضائل ولم يجمع ذلك لغيره بل اختص كل بنوع.

أعظمها معجزة القرآن تبقي على تعاقب الأزمان
كذا انشفاق البدر حين انفراقا بفرقتين رأي عين حَقَّقَا
ذكر الناظم للمصطفى معجزات:

الأولى: وهي أعظم معجزاته: القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإنها تبقى على تعاقب الأزمان، فإن القرآن معجزة باقية على تعاقب السنين فهو معجزة باقية إلى يوم القيامة ومعجزات سائر الأنبياء انقضت لوقتها.

الثانية: انشقاق القمر ليلة البدر حتى افترق فرقتين كما قال تعالى: ﴿اَفْتَرَقَتِ السَّاعَةُ وَالشَّقُّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وهذا كما أنه من معجزاته فهو من خصائصه أيضاً. وقوله: (رأي العين أي: وكان انشقاقه رأي العين المحقق حقيقه الجمع الغفير والعدد الكثير شاهدوه منشقاً فلقنتين^(١)).

وقد زوى له الإله حَقًّا الأرض مغرباً لها وشرقاً
وقال ما زواه لي سيبلغُ إليه مُلْكُ أمتي فبلغوا
الثالثة: أن الله زوى أي: جمع له الأرض كلها وضم بعضها لبعض حتى رآها وشاهد مغاربها ومشارقها وقال: «إِنَّ مُلْكُ أمتي سيبلغ ما زوى لي منها»^(٢) وخص المغرب والمشرق إشارة إلى أن ملك أمته شملهما بخلاف الجهة الجنوبية والشمالية

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) مطولاً، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

لم يبلغ ملك الأمة الإسلامية منهما مبلغه من المغرب والمشرق.

وَحَنُّ جَذْعُ النَّخْلِ لَمَّا فَارَقَهُ لِمَنْبَرٍ إِلَيْهِ حَتَّى اعْتَنَقَهُ
وَنَبْعُ الْمَاءِ فَجَاشَ كَثْرَهُ مِنْ بَيْنِ إصْبَعَيْهِ غَيْرَ مَرَّةٍ
وَسُبْحُ الْحَصَا بِكَفِّهِ بِحَقِّ كَذَا الطَّعَامِ عِنْدَهُ بِهِ نَطَقُ
وَشَجَرٌ وَحَجَرٌ قَدْ سَلِمَا عَلَيْهِ نُطْقًا وَالْأَذْرَاعُ كُلَّمَا
وَقَدْ شَكَالَهُ الْبَعِيرُ إِذْ جُهِدَ وَبِالْتَّبُوءَةِ لَهُ الذُّنُبُ شَهْدُ

الرابعة: حين الجذع إليه لما فارقه إلى المنبر فصار يخطب على المنبر بعدما كان يخطب إليه ولم يسكن حتى أتى إليه فضمه واعتنقه لما في البخاري: "كان في مسجد النبي جذع في قبلته يقوم إليه فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشائر"^(١) أي: النوق الحوامل، وفي رواية: "فنزل عليه فاحتضنه وسار به شيء"، وفي رواية الترمذي: "فالتزمه وسكن"^(٢).

الخامسة: نبع الماء من بين أصابعه ففي البخاري: "وضع النبي يده في ركوة فجعل الماء يفر من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا"^(٣).

وقول الناظم: (فجاش) أي: ارتفع وفار كثيراً من بين أصابعه، ووقع ذلك غير مرة ففي قصة الحديدية أيضاً مثل ما مر، قال ابن عبد السلام: وهذه كالتّي قبلها لم يثبت لواحد من الأنبياء مثلها فهما من خصائصه.

السادسة: تسبيح الحصى بكفه رواه ابن عساكر^(٤) من حديث أبي داود وغيره.

السابعة: تسبيح الطعام حين وضع عنده أي: بين يديه فنطق كما في البخاري عن ابن مسعود^(٥).

الثامنة: تسليم الحجر والشجر عليه بالنطق ففي دلائل النبوة لأبي نعيم عن علي: «كان

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٥) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الأصبهاني في دلائل النبوة (ص ٤٧)، والبراز في مسنده (٤٣١/٩، ٤٣٤).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

يَمْضِي إِلَى الشَّعَابِ وَيَطُونُ الْأُرْدِيَةَ فَلَمْ يَرِ بِشَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(١).
 التاسعة: تكليم الذراع له ففي البخاري لما أهدت زينب بنت الحارث له شاة مسمومة بخير فأكل ناسٌ من أصحابه منها منهم بشرٌ فتناول النبي ﷺ الكتف فقال: «لأنه يخبرني أنه مسموم» فلم يقم بشرٌ من مكانه حتى تغير لونه فمات.

العاشرة: أن البعير شكاً إليه الجهد أي: المشقة، فقول الناظم: (إذ جهد) بضم الجيم مبني للمفعول، والجهد المشقة، ففي سنن أبي داود وغيرها^(٢) عن ابن جعفر أنه أردفه النبي خلفه فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فوجد بعيراً فلما رآه حنَّ واغرورت عيناه فمسح عليه فسكت، فنأى صاحبه أنه شكاً إلي أنك تجيعه وتدبّه.

الحادية عشرة: شهادة الذئب له بالنبوة وروى الطبراني وأبو نعيم: «بينما راع يرعى إذ انتهز الذئب شاة فتبعه الراعي فحال بينه وبينها فقال له: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي»، قال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يكلمني، فقال الذئب: أعجب من هذا رسول الله بين الحرتين يدعو الناس إلى أبناء ما قد سبق»^(٣).
 تنبيه: عدّ الجلال السيوطي وغيره من معجزاته إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة وغير ذلك.

وجاء مرة قضاء الحاجة فلم يجد ستراً سوى أشاءة ومثلها لكن هُما بعدتا أمر كلاً منهما فأتتا تحذ الأرض ذي وذي حتى قضى حاجته أمر كلاً فمَضَى
 الثانية عشر: أنه جاء إلى قضاء الحاجة ولم يجد شيئاً يستتر به سوى أشاءة بفتح الهمزة وشين معجمة والمد نحلة صغيرة.

وقول الناظم: (ومثلها) بالجر أي وأشاءة أخرى مثلها ولكن هما أي: الأشاءتان بعدتا أي: بعدت كل منهما عن الأخرى ثم أمر كلاً من الأشاءتين فأتتا إليه تحذ أي: تشق الأرض، والخدة حديدة يشق بها الأرض فسترتا النبي حتى قضى حاجته، أمر كلا منهما

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص (٣٨٩)، والحاكم في المستدرک (٢/٦٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١١٣٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بالمضي إلى مكانها فمضى، رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي من عدة طرق^(١).
 وَأَزْلَفْتُ إِلَيْهِ سِتُّ بُدُنٍ لِّلنُّحْرِ كُلِّ سَابِقٍ لِلطَّعْنِ
 الثالثة عشر: أنه أزلفت إليه أي: قربت منه ست بدن جمع بدنة وهي البعير للنحر
 كل واحدة منه تسبق للطعن أي: للذبح، روى أبو دارود والنسائي: «قُرِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ
 بدناتٌ خمسٌ أو ستٌ أو سبعٌ لينحرها يوم عيد فطفقن يزدفنن إليه بأيتهن يبدأ»^(٢).

وَنَدَرْتُ عَيْنَ قِتَادَةٍ فَرْدٍ تِلْكَ فَكَانَتْ مِنْ صَحِيحَةٍ أَحَدٍ
 الرابعة عشر: أن عين قتادة بن النعمان الأنصاري ندرت بفتح النون أي: سقطت يوم
 أحد فردها، فكانت المردودة أحد من العين الصحيحة أي: أشد حدة وأقوى نظراً من السالمة
 رواه الحاكم^(٣) وغيره من عدة طرق، وقال السهيلي: كانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وَبَرَأْتُ عَيْنَ عَلِيٍّ إِذْ تَقَلُّ فِيهَا لَوْقَتُهُ وَمَا عَادَ حَصْلُ
 الخامسة عشر: أن عين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه برأت من الرمد حين تغل
 أي: بصق فيها لوقته وما عاد الرمد بعد ذلك أبداً، ففي الصحيح أن علياً كان يوم خيبر
 أرمد فقال المصطفى: «لَأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»^(٤) فدعا علياً وكان أرمد فتغل في عينيه، الحديث.

وَابْنُ عَتِيكَ رَجُلُهُ أَصِيبَتْ فَهِيَ بِمَسْحِهِ سَرِيعًا بَرَأَتْ
 السادسة عشر: أن عبد الله بن عتيك الأنصاري أصيبت رجله حين نزل من درج
 إلى رافع بن أبي الحقيق لما قتله فمسحها بيديه الشريفة فبرأت كما في البخاري عنه^(٥)،
 وقول الناظم: (فهي بمسحه) جار ومجرور أي: بمسح يده عليها.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٤) من حديث يعلى بن مرة عن أبيه قال: "كنتُ مع النبي ﷺ في سفر فنزل منزلاً، فقال لي: «إئت تلك الأشياءين فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجمعا»، فأتيتهما فقلتُ لهما ذلك، فوثبت إحداهما إلى الأخرى فاجتمعتا، فخرج النبي ﷺ فاستتر بهما فقصى حاجته، ثم وثبت كل واحدة منهما إلى مكانها".

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٦٥) من حديث عبد الله بن قرط ﷺ.

(٣) انظر: مستدرک الحاكم (٢٩٥/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (١٨٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

وقال أقتل أبي بن خلف خَدَشَهُ خَدَشًا يسيرًا فأنحَتَفَ

السابعة عشر: أن أبي بن خلف كان يلقي المصطفى فيقول: إن عندي قعودًا أعلفه كل يوم أقتلك عليه فيقول: «هل أنا أقتلك إن شاء الله» فطعنه يوم أحد في عنقه فخدشه غير كثير فقال: قتلني محمد!! فقالوا له: ليس بك بأس، قال إنه قال: «أنا قاتلك» فلو بصق عليّ لقتلني فمات بسرو^(١)، وقول الناظم: (فأنحَتَفَ) انقلع من حنقه الله إذا أماته. كَذَاكُمْ أُمِّيَةُ بْنُ خَلَفٍ قُتِلَ كَافِرًا بِبَدْرٍ فَوْفِي وَعَدٌ فِي بَدْرٍ لَهُمْ مَصَارِعًا كُلٌّ بِمَا سَمَى لَهُ قَدْ صُرِعَا

الثامنة عشر: أنه أخبر أمية بن خلف أنه يقتله فقتل كافرًا يوم بدر كما في البخاري عن ابن مسعود، عن سعد بن معاذ^(٢)، وقول الناظم: (فوفي) بضم الواو حشو كَمَلْ به الوزن. التاسعة عشر: أنه عد لأصحابه في بدر مصارع الكفار فقال: هذا مصرعُ فلان غداً ويضعُ يده على الأرض وهذا وهذا فكان كما وعد وما تجاوز أحدٌ منهم عن موضع يده كما في خبر أبي داود^(٣).

وقول الناظم: (وعدّ) بفتح العين وشد الدال، وقوله: (كل بما سمى) بفتح السين وشد الميم أي: في الموضع الذي سمى النبي أنه يصرع فيه، وقوله: (صُرعا) مبني للمفعول. وقال عن قوم سركبونا تَبَجَّ هذا البحر أي يغزونا ومنهم أم حرام ركبَت البحر ثم في رجوعهم قَصَّت العشرون: أنه قال أي: أخبر عن طوائف من أمته أنهم سركبون تبج أي: وسط البحر أي: يغزون في البحر كالمملوك على الأسرة ومنهم أم حرام الغميصاء أو الرميضاء بنت ملحان أخت أم سليم أم أنس فكان كما أخبر، فإنها خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت أول ما ركب المسلمون البحر فلما قفلوا من غزوهم نزلوا إلى الشام فقدم إليها دابة لتركيبها فصنعها فماتت ودفنت بجزيرة قبرص وكان أمير الجيش معاوية، رواه البخاري وغيره^(٤).

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٩)، وأبو داود (٢٦٨١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقوله: (ثبج) بمثابة وموحدة وجيم مفتوحات أي: وسط البحر ومعظمه، وقوله: (يغزونا) بفتح أوله، وألف يركبون ويغزون للإطلاق، وقوله: (ومنهم) بضم الميم، وأم حرام بفتح المهملة، وقضت ماتت.

وقال في الحسن سبط نسبه يوماً لعلَّ الله أن يُصلحَ به
ما كان بينَ فتين وهما عظيمتان الكلُّ ممَّن أسلما
فكان ذا وقال في عثمان يُصِيْبه بلوى فحقاً كانا

الحادية والعشرون: أنه قال في الحسن بن علي سبطه: «إن ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فتين عظيمتين من المسلمين»، فكان كما قال فإنه لما توفي أبوه بايعه أربعون ألفاً على الموت فنزل عن الخلافة لمعاوية لا من قلة ولا من ذلة بل حقناً لدم المسلمين كما رواه البخاري وغيره^(١).

الثاني والعشرون: أنه أخبر في شأن عثمان ؓ أنه ستصبيه بلوى شديدة يريد قتله، ففي البخاري من حديث أبي موسى فجاء عثمان فاستأذن له أبو موسى فقال: «أذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه»^(٢) فكان كما قال.

ومقتل الأسود في صنعاء اليمن ذكره ليلة قُتلَه ومن
قُتلَه كذلك كسرى أخبراً بقتله فكان ذا بلا مبراً
الثالثة والعشرون: أنه أخبر بمقتل الأسود العنسي واسمه غهله في صنعاء اليمن ذكر ذلك في الليلة التي قتل فيها في المدينة فجاء الخبر بما أخبر به كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وقصة كيفية قتله مشهورة، وقول الناظم: (في صنعاء) بالقصر للوزن إذ أصله المد.

الرابعة والعشرون: أنه أخبر بقتل كسرى كذلك في ليلة مقتلته فجاء الخبر كما ذكر واسمه ابرويز بن هرمز، وفي الصحيح أنه لما جاءه كتاب المصطفى مزقه^(٣)، وسير لعامله باليمن أن يرسل للمصطفى من يحضره له فأرسل إليه فأخبره أن الله قتل كسرى تلك الليلة فجاء الخبر بأن ولده قتله فيها بعينها.

وقال إخباراً عن الشيماء قد رُفعت في بغلة شهباء

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٤) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

خَمَارُهَا أَسْوَدُ حَتَّى أَخَذَتْ عَهْدَ أَبِي بَكْرٍ كَمَا قَدْ وَصَفْتُ
الخامسة والعشرون: أنه أخبر عن الشيماء بفتح الشين المعجمة بنت الحارث
السعدية أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة أنها قد رفعت بضم الراء وكسر الفاء له في خمار
أسود على بغلة شهباء أي: غلب بياضها سوادها، فكان كذلك. فإنما أخذت في عهد
الصديق كما وصف.

روى أبو نعيم عن خُرَيْم بن أَوْس أنه قال: قدمت على النبي منصرفة من تبرك فأسلمت
فسمعتة يقول: «هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزدية على بغلة شهباء
مُتَجَرَّةٌ بِخِمَارٍ أَسْوَدٍ»^(١)، فقلت: يا رسول الله إن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي قال:
(هي لك) فلما دخلناها كانت أول من تلقانا.

وقول الناظم: (إخباراً) بكسر الهمزة، وقوله: (خمارها) مبتدأ، وقوله: (عهد)
منصوب بحذف حرف الجر أي في عهده.

وَقَدْ دَعَا لَوْلَدِ الْخَطَّابِ بَعِزَّةُ الدِّينِ بِهِ أَوْ بِأَبِي
جَهْلٍ أَصَابَتْ عَمْرًا فَأَسْلَمَا عَزَّ بِهِ مَنْ كَانَ أَضْحَى مُسْلِمًا
السادسة والعشرون: أنه دعا لعمر بن الخطاب ﷺ بأن الله تعالى يعزُّ به الإسلام
أو بأبي جهل بن هشام فأصابت دعوته عمر فأصبح مسلمًا فعزَّ بإسلامه كل من كان
أضْحَى مسلمًا، ففي الترمذي خير: «اللهم أعز الإسلام بأحبَّ الرجلين إليك بأبي جهل أو
بعمر»^(٢)، وصرف الناظم عمر للوزن.

وَلَعَلِّيْ بِذَهَابِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ لَمْ يَكُنْ بِذَيْنِ يَذْرِي
السابعة والعشرون: أنه دعا لعلي كرم الله وجهه بذهاب الحر والبرد عنه فما
كان علي يجد حرًّا ولا بردًا فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين وفي البرد
الشديد ثوبين خفيفين، رواه البيهقي^(٣).

وَلَا بَنَ عَبَّاسَ بِفَقْهِ الدِّينِ مَعَ عِلْمِ بَتَاوِيلِ قَبْحَرَا اتَّسَعُ

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٥٤٠)، وذكر الحديث الميثمي في الجمع (٢٢٣/٦)، وقال: "فيه
جماعة لم أعرفهم" اهـ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٥٦٦٣) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢١٣/٤).

الثامنة والعشرون: أنه دعا لابن عباس بفقه الدين وعلم التأويل فقال كما في الصحيح وغيره: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(١) فصار بحراً زخاراً واسعاً في العلم، فصار يُسمى البحر والحبر وترجمان القرآن.

وَثَابَتْ بِعِيشِهِ سَعِيدًا حَيَّائِهِ وَمَوْتِهِ شَهِيدًا
فَكَانَ ذَا وَأَنْسَ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَالْوُلْدِ وَطُولِ الْمُدَّةِ
فِي عَمْرِهِ فَعَاشَ نَحْوَ الْمِائَةِ وَكَانَ يُؤْتَى نَحْلُهُ فِي السَّنَةِ
حَمَلِينَ وَالْوُلْدُ لَصْلَبٍ مِائَةً مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ ذُكُورًا أَثْبَتُوا

التاسعة والعشرون: أنه دعا لثابت بن قيس بن شماس بأنه يعيش سعيداً ويقتل شهيداً هكذا رواه ابن عبد البر^(٢) فكان كذلك عاش سعيداً وقتل يوم اليمامة شهيداً، وقول الناظم: (وثابت) بالجر أي: دعا لثابت، وقوله: (حياته) أي: في حياته، وقوله: (وموته) بالجر عطف على عيشه، ولو قال: وقتله كان أحسن.

الثلاثون: أنه دعا لأنس بن مالك خادمه بكثرة المال والولد بضم الواو وسكون اللام لغة في الولد بفتحيتين وبطول المدة في عمره فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيه»^(٣). فعاش نحو مائة سنة إلا سنة، وكان له نخل يحمل في كل سنة حملين كما رواه أبو العالية. وكان ولده لصلبه مائة وعشرين ولداً ذكوراً.

وقول الناظم: (في عمره) بسكون الميم تخفيفاً، وقوله: (يؤتى) بضم التحتية وكسر الفوقية بعد الواو، وقوله: (نخله) فاعل يؤتى، قوله: (وحملين) أي: حملتين، وقوله: (أثبتوا) بضم الهمزة وكسر الموحدة حشو كمل به الوزن.

وَقَالَ فَيَمَنْ ادَّعَى الْإِسْلَامَا وَقَدْ غَزَا مَعَهُ الْعَدَا وَحَامَا
مَعَ شِدَّةِ الْقِتَالِ لِلْكَفَّارِ مَعَهُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ
فَصَدَّقَ اللَّهُ مَقَالَ السَّيِّدِ بَنَحْرِهِ لِنَفْسِهِ عَمَدَ الْيَدِ

الحادية والثلاثون: أنه قال في رجل ادعى الإسلام وغزا معه وأكثر قتال الكفار مع

(١) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) دون قوله: «وعلمه التأويل»، وهو في مسند أحمد (٢٣٩٣) بسند صحيح.

(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩٣/١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٦٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

المسلمين: «إنه من أهل النار»، فصدق الله مقاتله فإنه أصابته جراحة قتل نفسه بيده عمداً كما في الصحيحين^(١)، وقاتل نفسه في النار.

وقول الناظم: (معه) بسكون العين، والعدا بكسر العين الكفار، وقوله: (وحاماً) أي: احتفل وانتصر له، وقوله: (عمد اليد) بنصب عمد أي: قتل نفسه بيده عمداً.

وكان من عتيبة بن أبي لهب أذى له دعا عليه فوجب
فسلط الله عليه كلباً قتل الأسد قتلاً صعباً

الثانية والثلاثون: كان بينه وبين عتيبة مصغراً ابن أبي لهب أذى وذلك أنه بصق عليه فدعا عليه فوجب ما دعا به عليه، وذلك أنه سأل الله أن يسلط عليه كلباً من كلابه فقتله الأسد قتلاً صعباً بالزرقاء من أرض اليمامة كما روى قصته أبو نعيم وغيره^(٢).

وقد شكاً له قحوط المطر
فرفع اليدين لله وما
فطلعت سحابة وانتشرت
حتى شكى له انقطاع السبل
شاك أتاه وهو فوق المنبر
قرعة ولا سحاب في السما
فأمطروا جمعة تواترت
فأقلعت لما دعا الله العلي

الثالثة والثلاثون: أنه لما شكاً إليه شاك قحوط المطر أي: حبسه وانقطاعه وهو فوق المنبر في خطبة الجمعة، فرفع يديه إلى الله ودعا وما في السماء قرعة بفتح الزاي أي: قطعة من الغيم ولا سحاب، فطلعت سحابة من ورائه مثل الترس حتى توسطت السماء فانتسعت وانتشرت فأمطروا جمعة من الجمعة إلى الجمعة، وتواترت بفتح المثنتين والراء يعني الأمطار حتى شكاً الناس إليه انقطاع السبل فدعا الله وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فأقلعت أي: كفت وانقطعت، رواه الشيخان وغيرهما^(٣).

وقول الناظم: (قحوط) مفعول مقدم، وقوله: (شكى) بالبناء للمفعول، وقوله: (انقطاع) برفعه نائب الفاعل، والسبل بضم الموحدة جمع سبل.

وأطعم الألف زمان الخندق من دون صاع وبهيمة بقي

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٤٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ عَنِ الطَّعَامِ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ مِنْ طَعَامٍ
كَذَلِكَ قَدْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ ثَمَرِ أَتَتْ بِهِ جَارِيَةٌ فِي صُغُرِ
الرابعة والثلاثون: أنه أطعم الألف الذين كانوا معه في غزوة الخندق من صاع
شعير أو دون صاع، وبُهيمية يضم الموحدة تصغير بجمة وهي ولد الضأن، فأكلوا وشربوا
وانصرفوا وبقي بعد انصرافهم عن الطعام أكثر مما كان من الطعام كما في الصحيحين عن
جابر^(١). وقول الناظم: (وبقي) بسكون الباء وأصلها الفتحة.

الخامسة والثلاثون: أنه أطعم أهل الخندق أيضًا من ثمر يسير جدًا أتت به إليه
جارية وهي بنت بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير كما رواه عنه أبو نعيم^(٢)، وقال:
إنهم شبعوا منه جميعًا وكانوا ثلاثة آلاف.

قول الناظم: (في صغر) أي: الجارية صغيرة السن وهو إمّا حشو أو يبين به أن التمر
غاية في القلة بحيث تقله بنت صغيرة جدًا.

وأمر الفاروق أن يُزودًا مَنِ ارْتَبَعَا أَتُوا فَزَوَّدَا
وَالْتَمَرُ كَانَ كَالْفَصِيلِ الرَّابِضِ كَأَنَّهُ مَا مَسَّهُ مِنْ قَابِضِ
السادسة والثلاثون: أنه أمر عمر الفاروق رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب أتوا إليه
من تمر كان عنده فزودهم منه والتمر كان مقداره كالفضيل الرابض أي: الجالس، أي: أن
الجراب الذي فيه التمر بمقدار الفضيل إذا جلس فزودهم جميعهم وكأنه ما مسه قابض
أي: ما قبض أحد منه قبضة بيد، كما رواه أحمد وغيره عن دكين بن سعيد الخثعمي وقال
فيه: (كأنه لم يقبض منه ثمرة واحدة)^(٣).

كَذَلِكَ أَقْرَاصُ شَعِيرٍ جُمِعَتْ مِنْ تَحْتِ إِبْطِ أَنْسٍ فَأَكَلَتْ
جَمَاعَةٌ مِنْهَا ثَمَانُونَ وَهَم قَدْ شَبِعُوا وَهوَ كَمَا أَتَى لَهُمْ
وَأَطْعَمَ الْجَيْشَ فَكُلُّ شَبَعَا مِنْ مَزُودٍ وَمَا بَقِيَ فِيهِ دَعَا
لصاحب المزود فيه فأكل مِنْهُ حَيَاتُهُ إِلَى حِينَ قُتِلَ

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٤٩٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٢٦).

عُثْمَانُ ضَاعَ وَرَوُوا أَنَّ حَمَلًا خَمْسِينَ وَسَقَا مِنْهُ اللَّهُ عَلا السابعة والثلاثون: أنه أطعم جماعة من أقراص شعير قليلة بحيث جعلها أنس تحت إبطه لقلتها فأكل منها ثمانون رجلاً وشبعوا كلهم وهو كما أتى لهم كأنه لم يمسسه أحد كما جاء في الصحيحين عن أنس^(١)، وقول الناظم: (أكلت) بفتح الهمزة مبني للفاعل، وجماعة فاعل أكلت.

الثامنة والثلاثون: أنه أطعم الجيش حتى وصلوا إلى حد الشيع من مزود وهو وعاء التمر ورد ما بقي فيه لصاحبه أبي هريرة ودعا له بالبركة فأكل منه حياته أي: حياة النبي وأبي بكر وعمر وعثمان إلى حين قتل عثمان فضاع المزود لما غلب بيت أبي هريرة. التاسعة والثلاثون: روى أهل السير من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة أنه يعني أبا هريرة حمل من ذلك المزود خمسين وسقا في سبيل الله ﷻ، أخرج البيهقي عنه قال: "أصبْتُ بثلاث مصائب في الإسلام: موت النبي، وقتل عثمان، والمزود"^(٢)، قيل: وما المزود فذكر نحو ما تقدم.

وقول الناظم: (المزود) بكسر الميم، وقوله: (بقي) بكسر القاف وسكون الياء للضرورة، وألف حملاً للإطلاق.

وفي بنائه يزنبُ أطعماً
أهدتْ له أمٌ سليمٌ رُفْعاً
الأربعون: أنه حين بنائه يزنب بنت جحش أطعم خلقاً كثيراً من طعام قدم إليه في قصعة أهدتها إليه أم سليم سهلة بنت ملحان أم أنس، ثم رفع الطعام من بينهم وقد شبعوا وهو كما وضع أو أكثر كما رواه أبو نعيم^(٣) عن أنس، والألف في قول الناظم: (أطعما) (وقدما) للإطلاق.

والجيش في يوم حُتَيْنِ إذ رُمُوا
وَأَزَلَّ اللَّهُ بِهِ كِتَابَا
منه بقبضة ثراباً هُزِمُوا
وامتلات أعينُهُم ثُرَابَا

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١١٠/٦).

(٣) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٥٥٨).

الحادية والأربعون: أنه في يوم غزوة حنين رمى الكفار بقبضة من تراب وقال: (شاهت الوجوه) فامتلأت أعينهم كلهم تراباً وهزموا عن آخرهم، وأنزل الله تعالى في ذلك كتاباً أي: قرأنا فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، كما رواه مسلم وغيره^(١).

وقول الناظم: (والجيش) مبتدأ، وقوله: (تراباً) نصب على التمييز أو على حذف حرف الجر أي: بقبضة من تراب.

كَذَا التُّرَابِ فِي رَعُوسِ الْقَوْمِ قَدْ وَضَعَهُ وَلَمْ يَرَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ
وَكَمْ لَهُ مِنْ مُعْجَزَاتٍ بَيِّنَةٍ تَضِيقُ عَنْهَا الْكُتُبُ الْمُدَوَّنَةُ

الثانية والأربعون: أنه لما اجتمعت صناديد قريش في دار الندوة وأجمعوا على قتله وجاءوا إلى بابه ينتظرون خروجه فيضربونه بالسيوف ضربة رجل واحد، خرج عليهم ووضع التراب على رأس كل واحد منهم ولم يره أحد كما مر.

وكم له من معجزات بينة ظاهرة كظهور الشمس في رابعة النهار، ووقع الاقتصاد على هذا المقدار لما أنه تضيق عنها الكتب المدونة أي المجموعة.



باب ذكر خصائصه

وهي كثيرة وفيها مؤلفات غزيرة شهيرة وذكرها جائز بمندوب بل قيل يجب، ثم هي أربعة أضرب: الأول: الواجبات لزيادة ثوابها على مثلها نفلاً بسبعين درجة وإليها أشار الناظم بقوله:

خُصَّ النَّبِيُّ بِوُجُوبِ عِدَّةٍ الْوُتْرِ وَالسَّوَاكِ وَالْأَضْحِيَّةِ
كَذَا الضُّحَىٰ لَوْ صَحَّ وَالْمُصَابِرَةِ عَلَى الْعَدْوِ وَكَذَا الْمُشَاوِرَةِ
وَالشَّافِعِي عَنِ الْوُجُوبِ صَرَفَهُ حَكَاهُ عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَعْرِفَةِ

خُصَّ النَّبِيُّ بِوُجُوبِ عِدَّةٍ أُمُورٍ فَهِيَ فَرَضٌ عَلَيْهِ وَفِي حَقِّ أَمْتِهِ نَفْلٌ وَحُكْمَتُهُ
زيادة الزلفى والدرجات.

الأول: الوتر.

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

الثاني: السواك لكل صلاة.

الثالث: الأضحية.

الرابع: الضحى لو صح ما جزموا به من وجوبها عليه لكنه لم يصح. قال البلقيني: لم يثبت أن الضحى واجبة عليه كما جزموا به.

الخامس: المصابرة على قتال العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف.

السادس: وجوب المشاورة للعقلاء عن المعظم لآية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، لكن الشافعي صرفه أي صرف الأمر بالمشاورة للنذب فقال: هو كقولك البكر تستأمر، حكاه عنه البيهقي في كتاب المعرفة، وهل في الحرب ومكائد العدو فقط أو في أمر الدنيا أو في أمر الدين وجوه حكاهما الماوردي.

كذا التَّهَجُّدُ وَلَكِنْ خُفِّفْنَا نَسْنَحًا وَقِيلَ الْوُتْرُ ذَا وَضْعًا
السابع: التهجد وهو صلاة الليل فُرِضَ عليه وعلى أمته حولاً كاملاً، لكن خفف ذلك عنه وعن أمته ونسخ وجوبه بما في آخر المزمّل، وقيل: إن الوتر هو التهجد وضعف هذا القول، والأصح أنه غيره وأن الوتر واجب عليه ولم ينسخ.

كذا قَضَاءُ دَيْنٍ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ وَقَاءُ قَيْلٍ بَلْ هَذَا كَرَمٌ
الثامن: قضاء دين من مات وعليه دين ولم يخلف وقاء أي: إن زاد ما عنده على مصالح الأحياء، وقيل: بل إنما كان الذي يقضيه كرمًا منه لا وجوبًا عليه، وعلى الأول الأصح فلا يجب على الإمام بعده قضاؤه من المصالح.

ومن الواجبات عليه أيضًا أن يموت عيال من مات معسرًا ويؤدي الجنايات عمن لزمته وهو معسر، وكذلك الكفارات وغير ذلك.

كذاكَ تَخْيِيرُ النِّسَاءِ اللَّاتِي مَقْعُهُ فَأَمَّا فِي الْمُحَرَّمَاتِ
التاسع: تَخْيِيرُ نِسَائِهِ أَي زَوَاجَاتِهِ اللَّاتِي كُنَ مَعَهُ فِي عَصْمَتِهِ بَيْنَ مَفَارِقَتِهِ وَالْمَقَامِ مَعَهُ، وَلَا يَشْتَرَطُ الْجَوَابُ فَوْرًا، وَفِي جَوَازِهِ قَبْلَ مَشَاوَرَتِهَا وَجِهَانٍ؛ ثُمَّ مِنْ اخْتَارَتْ الْمَقَامَ مَعَهُ فَلَهُ طَلَاقُهَا، وَمِنْ اخْتَارَتْ فِرَاقَهُ وَلَمْ تَتَرَاجَعْ لَزِمَهُ طَلَاقُهَا.

ومن الواجبات عليه أيضًا راتبة الصبح لخبر في المستدرک وغيره^(١)، وتغيير المنكر مطلقاً

(١) انظر: مستدرک الحاكم (١/٣٠٠).

وإن ظن أن فاعله فعله عنادًا خلافًا للغزالي، قيل: وغسل الجمعة لخبر فيه لكنه واه، وأربع عند الزوال، والوضوء لكل صلاة تُنسخ بالوضوء كلما أحدث فلا يكلم أحدًا ولا يرد سلامه حتى يتوضأ ثم نسخ، ووجوب الوفاء بوعد كضمان غيره بخلاف سائر الأمة ذكره ابن الجوزي وغيره، والصبرُ على ما يكره، وصبر نفسه مع الذين يدعون ربحم بالغداة والعشي، والرفق، وترك الغلظة، وإبلاغ كل ما أنزل إليه، وخطاب الناس بما يعقلون، والدعاء لمن أذى صدقة ماله ذكره ابن رزين وغيره.

فَمَا أَبْيَحَ لِسَوَاهِ حُرْمًا عَلَيْهِ فَهُوَ مَدُّ عَيْنِهِ لِمَا
قَدْ مُتَعَ النَّاسُ بِهِ مِنْ زَهْرَةِ دُثْيِهِمْ كَذَاكَ مِنْ خَائِنَةِ
الْأَعْيُنِ اغْدُذُّهُ وَنَزَعُهُ لِمَا لَيْسَ مِنْ لَأْمَةٍ حَرْبٍ حُرْمًا
حَتَّى يُلَاقِيَ الْعَدَا فَيَنْزِعَا صَدَقَةً فَاْمَنْعَ وَلَوْ تَطَوُّعًا

الضربُ الثاني: الحُرُمَاتُ أي: مما أبيح فعله لغيره وحرم عليه هو خاصة وهي أمور:

الأول: مد عينيه إلى ما متع الناس به من زهرة الحياة الدنيا.

الثاني: خائنة الأعين بأن يومئ إلى مباح من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهره، وقيل له خائنة لأنه يشبه الخيانة من حيث إنه يخفي، ومثله في ذلك الأنبياء.

قال ابن القاص: ومثل ذلك أن يخدع في الحرب وخالف الجمهور.

الثالث: نزع ما لبسه من لأمته أي: درعه وسلاحه عند دعاء الحاجة لذلك حتى

يُلاقِي العدو فيقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه، وكذلك جميع الأنبياء.

قال أبو سعيد وابن سراقه: وكان لا يرجع إذا خرج إلى الحرب ولا ينهزم إذا لقي

العدو وإن كثر.

الرابع: الصدقة فيحرم عليه قبولها ولو تطوعًا.

وقول الناظم: (حرما) بضم الحاء وشد الراء المكسورة، وقوله: (متع) بضم الميم

وكسر التاء المشددة، و(زهرة) بفتح الزاي، وقوله: (اعدده) حشو كمل به الوزن، وقوله:

(لما لبس) أي: لبسه من لأمة بهمزة ساكنة بعد اللام وتخفيف، وقوله: (حرم) بضم الحاء

وكسر الراء، و(العدا) بكسر العين، وقوله: (صدقة فامنع) في نسخة: (لصدقة امنع) وهو

مفعول مقدم تقديره امنع حل أكله الصدقة.

وَالشَّعْرَ وَالْخَطَّ وَقِيلَ يَمْنَعُ تُؤْمَ وَحَرُّهُ وَأَكْلَ يَقَعُ
مع اتكاء والنكاح للأمة مع الكسائية غير المسلمة
كذلك إمساك التي قد كرهت نكاحه والخلف في هذا ثبت

الخامس: الشعر أي: إنشاؤه قال الماوردي: وكذا روايته والقراءة في الكتاب.

السادس: الخط أي: نقله قال البغوي في التهذيب: قيل: كان يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله، والأصح أنه كان لا يحسنهما لكن كان يميز بين رديء الشعر وجيده. انتهى

السابع: أكل ما له ربح كربة كنوم وبصل فإنه قيل إنه يتمتع عليه أكله.

الثامن: الاتكاء عند الأكل فإنه قيل بحرمة عليه أيضاً لكن الأصح في الروضة كراهتهما، وروى البيهقي وغيره^(١): أنه لما خيّر الله فاختار أن يكون نبياً عبداً لم يأكل بعد ذلك متكئاً حتى لقي ربه.

وقول الناظم: (يمنع) مبني للمفعول، والثوم بضم المثلثة.

التاسع: نكاح الأمة المسلمة لأنه إنما أجاز لأئمة بشروط منها خوف العنت وهو معصوم منه.

العاشر: نكاح الكتانية ولو حرّة لإخباره بأن زوجاته في الدنيا زوجاته في الجنة والجنة حرام على الكفار. وقول الناظم: (والنكاح) بالنصب عطفاً على الخط والشعر والصدقة أي: وامنعه النكاح، وقوله: (غير المسلمة) حشو كمل به الوزن.

الحادي عشر: إمساك المرأة التي كرهت نكاحه، وقد تزوج ابنة الضحاك فلما هوي إليها ليقبلها قالت: أعوذ بالله منك، قال: «قد استعذت بعظيم الحقني بأهلك»^(٢).

وقول الناظم: (والخلف في هذا ثبت) أي: أن هذا ليس بمقطوع به بل ثبت فيه خلاف محقق، فقل: إنما فارقها تكرماً لا وجوباً والأصح الأول، بل تحرم عليه مؤبداً في أحد الوجهين.

وَقَدْ أَبَاحَ رَبُّهُ الْوَصَالَ لَهُ وَفِي سَاعَةِ الْقِتَالَا
بِمَكَّةَ كَذَا بِلَا إِحْرَامٍ دُخُولُهَا وَلَيْسَ بِالْمَتَامَا

(١) انظر: سنن البيهقي (٤٩/٧)، وذكر الحديث الهيثمي في المجمع (١٩/٩)، وقال: «إسناده حسن». اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها-.

مُضْطَجِعًا نَقَضَ وَضُوئُهُ حَصَلَ كَذَا اصْطَفَاءُ اللَّهِ مَا لَهُ أَحَلُّ
 مِنْ قَبْلِ قِسْمَةِ كَذَاكَ يَقْضِي لِنَفْسِهِ وَوُلْدِهِ فِيمُضِي
 الضرب الثالث: المباحات له دون غيره وهي أمور:

الأول: الوصال فإنه نهي عنه، فقيل له: إنك تواصل فقال: «إنني لست كأحدكم
 إنني أبيت عند ربي يطعمني ويسقي»^(١)، ويباح له أيضًا القبلة في الصوم.

الثاني: القتال بمكة ساعة من نهار لقوله في الصحيح: «أحلت لي ساعة من نهار
 وإنها لم تحل لأحد من بعدي»^(٢) وله حَمْلُ السلاح فيها والقتل بها والقتل بعد الأمان.

الثالث: دخول مكة بغير إحرام لخبر مسلم: "أنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء
 بغير إحرام"^(٣)، فباح له استمرار الطيب في الإحرام فيما ذكره المالكية.

الرابع: أن وضوءه لا ينتقض بالنوم مضطجعاً لأنه تمام عينه ولا يتأثم قلبه.

الخامس: اصطفاء أي: اختيار ما أحله الله له من الغنيمة من جارية وغيرها قبل
 القسمة وكذا من الفَيء، ذكره ابن كعب في التجريد، وكان له الأنفال يفعل فيها ما يشاء.

السادس: أنه يقضي لنفسه ويحكم لنفسه ولولده فيمضي حكمه بذلك. وقول
 الناظم: (وولده) بضم فسكون على وزن ما مر، وقوله: (فيمضي) بفتح الياء.

كَذَا الشَّهَادَةُ كَذَاكَ يَقْبَلُ مَنْ شَهِدُوا لَهُ كَذَاكَ يَفْصَلُ
 فِي حُكْمِهِ بَعْلَمَهُ لِلْعَصْمَةِ وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِهِ لِلرَّيْبَةِ

السابع: أن له أن يشهد لنفسه ولولده، وأن يقبل شهادة من شهد له.

الثامن: جواز الشهادة له بما ادعاه كما في قصة خزيمة ذكره في روضة الحكام.

التاسع: أن له أن يقضي ويحكم بعلمه ولنفسه ولولده ولغيره ولو في الحدود مطلقاً
 بغير شرط لعصمته، وأما غيره ففيه خلاف فمنعه بعضهم للريبة أي: التهمة والشك،
 والجوز له شروط. وقول الناظم: (يَفْصَلُ) بفتح أوله وكسر ثالثه.

تنبيه: له أيضاً قبول الهدية مطلقاً بخلاف غيره من الحكام. وله إقطاع الأراضي قبل
 فتحها لأن الله ملكه الأرض، وأفنى حجة الإسلام بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-..

(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٥٨) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

أقطعهم، وقال: كان يقطع أرض الجنة فالدنيا أولى.

كذا له أن يحمي المَوَاتَا لنفسه ويأخذ الأقوات
وغيرها من الطعام مَهْمَا احتاج والبذل فواجب حَتْمَا
من مالك وإن يكن مُحْتَاجَا لكنّه لفعل هذا ما جَا
العاشر: أن له أن يحمي الموات لنفسه ولا يحمي غيره من الأئمة لنفسه بل للمصالح العامة، ولا ينتقض ما حماه، ومن أخذ شيئاً مما حماه ضمن قيمته في الأصح بخلاف ما حماه غيره من الأئمة.

الحادي عشر: أن له أن يأخذ الأقوات وغيرها من نحو طعام وشراب متى احتاج لذلك، قال ابن رزين: واللباس كالآلات.

وقول الناظم: (والبذل) بالنصب أي ويجب على المالك البذل لما احتاج إليه وإن مالكة محتاجاً بل وإن هلك، ويفدي بمجته مهجة رسول الله ﷺ، لكن ما جاء عنه أي: النبي أنه فعل هذا المباح ولا معظم المباحات بل كان يؤثر على نفسه.

والخلف في التَّقْضِ بِلَمْسِ الْمَرْأَةِ والمُكْتِ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ جَنَابَةِ
الثاني عشر: أنه لا ينتقض طهره بلمس المرأة بل يصلي بذلك الطهر في أحد وجهين، قال الجلال السيوطي في الخصائص: «إنه الأصح»، وليس الأمر كما قال.

الثالث عشر: أنه يحل له المكث في المسجد جنباً كما في التلخيص^(١) لخبر فيه، لكن فيه أن علياً مثله ولم يقولوا به، قيل: وخص أيضاً بحل استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة، حكاه القشيري في شرح العمدة.

وَجَائِزٌ نِكَاحُهُ لَتَسْعَةٍ وَفَوْقَهَا وَعَقْدُهُ بِالْهَيْةِ
فَإِنْ فَلَا بِالْعَقْدِ حَتَمَ مَهْرِهِ وَلَا الدُّخُولُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ
الرابع عشر: أنه يُباح له نكاح تسع من النسوة وما فوق التسع بغير حصر، قال الجلال في الخصائص: وكذا الأنبياء^(٢).

الخامس عشر: أنه ينعقد نكاحه بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبصدق مجهول

(١) انظر: التلخيص الحبير، لل حافظ ابن حجر (١٣٦/٣).

(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٤٢٦/٢).

العجالة السنية على الخية السيرة النبوية

ذكره في البحر، فإن عقد بلفظ ألّهبة لم يجب عليه بالعقد ولا بالدخول مهر بخلاف غيره فإنه إذا عقد بلا مهر ثم وطئ لزمه مهر المثل. وقول الناظم: (فإن فلا بالعقد حتم مهره) أي: لا يتحتم عليه مهر بعقد النكاح.

كَذَا بِلَا وَلِيٍّ أَوْ شُهُودٍ أَوْ
وَمَنْ يَرْمُ نِكَاحَهَا لَزَمَهَا
وَمَنْ لَهَا زَوْجٌ فَحَقًّا وَجَبَا
فِي حَالِ إِحْرَامٍ يَخْلَفُ قَدْ حَكَمُوا
إِجَابَةً وَحَرَمَتْ خَطْبَتُهَا
طَلَقَهَا كَمَا جَرَى لَزِيمَتَا

السادس عشر: أنه ينعقد نكاحه بلا ولي أو بلا شهود أو بلاهما جميعًا.

السابع عشر: أنه ينعقد نكاحه في حال الإحرام على خلاف فيه قد حكاه الشافعية والأصح عندهم الانعقاد.

الثامن عشر: أن من يروم أي: يرغب في نكاحها وهي خلية يلزمها إجابته على الصحيح وتُجبر، ويحرم على غيره خطبتها بمجرد الرغبة وظهور الميل.

التاسع عشر: أن من يرغب في نكاحها ولها زوج وجب عليه طلاقها لينكحها كما جرى في زينب بنت جحش^(١)، قال الغزالي في الخلاصة: (وله نكاحها من غير انقضاء عدة)، وفيه نظر. وله الخطبة أيضًا على خطبة غيره، ويُباح له أيضًا النظر إلى الأجنبية والخلو به وإردافها، وله تزويج من شاء لمن شاء بلا إذن من المرأة ولا وليها، وله تزويجها لنفسه، وتولى الطرفين بغير إذنها ولا إذن وليها، وله إجبار الصغيرة من غير بناته، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس فقدم على الأقرب، وقال لأم سلمة: «مري

(١) وَلَمْ يُطَلَّقْ زَيْدُ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لَكِي يَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ يُطَلِّقْ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، ذَلِكَ رَأْسًا قَدَرُ اللَّهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَيْدٍ مَا اقْتَضَى أَنْ جَاءَ زَيْدٌ بِنِ حَارِثَةَ يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ ﷺ فِي فِرَاقِهَا، فَنَصَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِإِمْسَاكِهَا وَعَدِمَ مَفَارِقَتَهَا، وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ ﷺ أَنْ لَوْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ لَتَزَوَّجَهَا، وَلَكِنَّهُ قَدِمَ مَصْلَحَةُ زَيْدٍ عَلَى رَغْبَتِهِ ﷺ. وَكَانَ الْهَدَفُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هُوَ الْقَضَاءُ عَلَى التَّبَنِيِّ وَإِبْطَالِهِ، وَقَدْ كَانَ زَيْدٌ ﷺ يُدْعَى: "زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ" حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ فَقِيلَ لَهُ: "زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ"، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّرْعُ قَوْلًا مِنْ رَسُولِهِ وَفِعْلًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا؛ جَعَلَ لَهُ سَبَبًا. انظر: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للعلامة السعدي (ص ٦١٣). ط - مؤسسة الرسالة.

ابنك أن يزوجه»^(١) فزوجها له وهو يومئذ صغير لم يبلغ، وزوجه الله زينب بغير عقد وكان كفواً لكل أحد، وإذا تزوج بولي فاسق أو أعمى أو أحرس جاز له، ذكره أبو سعد، وله جمع امرأة وأختها وعمتها وخالتها في أحد وجهين، وبين امرأة وابنتها في وجه حكاة الرافعي.

وفي وجوب قسميه بين الإماء وبين زوجات له خلف كما
الضرب الرابع: ما اختص به من الواجبات عليه وهي أمور:

الأول: قسمه بين إماءه وزوجاته على خلف أي: خلاف فيه، وقول الناظم: (قسمه) بفتح القاف مصدر بمعنى القسمة، والإماء بكسر الهمزة، و(خلف) بضم الخاء، و(كما) أي: ظهر وانتشر.

تنبيه: قال ابن العربي في تحفة الأحوزي: خصَّ النبي بأشياء منها أنه أعطي ساعة لا حق فيها لأزواجه حتى يدخل عليهن فيفعل بهن ما يريد ولو لغير صاحبة النوبة، ولا يجب عليه نفقتهن كالمهر، ولا ينحصر طلاقه في الثلاث في وجه، والحاصل أن النكاح في حقه كالتمسري في حقنا.

زَوَّجَاتُهُ كُلُّ مُحَرَّمَاتٍ هُنَّ لِذِي الْإِيمَانِ أُمَهَاتُ
نِكَاحُهُنَّ مَعَ عَقُوقِهِنَّ مَعَ الْوُجُوبِ لِاحْتِرَامِهِنَّ

الثاني: تحريم زوجاته التي توفي عنهن على غيره أبداً، وفيمن فارقتها في حياته أوجه أصحها تحريمها، وفي الخصائص للجلال^(٢): يُحرَّم نكاح أمة وطئها، وصرح عياض بحرمة رؤية أشخاص أزواجه في الأزُر وكشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها وسؤالهن مشافهة وصلاتهن على ظهور البيوت. انتهى

الثالث: أن زوجاته هن أمهات المؤمنين فيحرم عليهم عقوقهن ويجب عليهم احترامهن، وقول الناظم: (نكاحهن) أي: يجرم نكاحهن مع تحريم عقوقهن ومع وجوب احترامهن، والهاء في عقوقهن واحترامهن للسكت.

لَا تَنْظُرُ وَخُلُوَّةٌ بِهِئِنَّ وَلَا تَحْرِيْمُ بِنَاتِهِنَّ

(١) انظر: سنن البيهقي (١٣١/٧).

(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٤٣٨/٢).

محل كونهن أمهات المؤمنين في الاحترام والإعظام لا في نظر الرجل إليهن ولا في الخلوة بهن فإن ذلك حرام، ولا في تحريم بناهن فإنه لا يحرم على أحد من المسلمين نكاح بناهن، والهاء في المصراعين للسكت.

مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَوْ قَدْ فُورِقَتْ أَوْ مَاتَ عَنْهَا أَوْ تَكُونُ سَبَقَتْ
أي: وسواء في تحريم أمهات المؤمنين من دخل بها وفارقها في حياته أو مات عنها، أو تكون سبقت بأن ماتت وهي في عصمته كخديجة فإنهن كلهن أمهات المؤمنين.

وَهُنَّ أَفْضَلُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ ضَعُفْنَ فِي الْأَجْرِ وَفِي الْعُقُوبَةِ
وهن أي: أمهات المؤمنين أفضل نساء هذه الأمة، وهن ضعفن في الأجر والعقوبة أي: يُضَاعَفُ ثَوَابُهُنَّ فِي الْأَجْرِ وَيُضَاعَفُ عِقَابُهُنَّ فِي الْوِزْرِ، ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحراب: ٣٠].

أَفْضَلُهُنَّ مُطْلَقًا خَدِيجَةُ وَبَعْدَهَا عَائِشَةُ الصَّدِيقَةُ
اختلف في أي: نسائه أفضل، والصحيح أن أفضلهن مطلقاً خديجة وبعدها في الفضل عائشة الصديقة أي: بنت الصديق، لما رواه أحمد والنسائي وغيرهما، عن ابن عباس مرفوعاً: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية»^(١)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(٢): هذا نص صحيح صريح في تفضيل خديجة على عائشة لا يحتمل التأويل، قال السبكي: ونسائه بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل.

وَأَلَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ خَيْرُ الْخَلَائِقِ بِلَا مِرَاءٍ
الرابع: مما اختص به أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده أبداً، وعيسى إنما ينزل بشرعه، وكما أنه خاتم الأنبياء فهو بالحقيقة أول الأنبياء فقد عدوا ممّا خص به أنه أول النبيين خلقاً^(٣) وأن نبوته قد تقدمت الكل فكان نبياً، وآدم منجحد

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-. وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (١١٣٥).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣٥/٧).

(٣) لا يثبت حديث صحيح يؤيد هذا القول، أي: أنه ﷺ كان أول النبيين خلقاً، وكل ما ورد في ذلك من آثار فهو دائر بين الضعف والوضع، وهو معارض لصريح الأدلة الموضحة بأن آدم ﷺ هو أول الخلق. والله أعلم

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢٠٠٧٣) بإسناده عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» وهذا إسناد صحيح، وقد صحح الحديث

في طيبته^(١)، كما أنه أول من أخذ الميثاق عليه وأول من قال: بلى، يوم أُلست بربكم.
الخامس: أنه خير الخلائق أجمعين بلا مرأى أي: بلا شك، فهو أفضل الأنبياء والرسول والملائكة عليهم الصلاة والسلام حتى أمين الوحي ﷺ خلافاً للزحشرى، كيف وجميع المخلوقات خلقت لأجله؛ وكتب اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت، وأخذ الميثاق على النبيين آدم فمن دونه أن يؤمنوا به وينصروه ويعظموه.

أُمَّتُهُ فِي النَّاسِ أَفْضَلُ الْأُمَمِ معصومةٌ من الضلال بعصم
السادس: أن أمته خير الأمم وأنها معصومة من الاجتماع على الضلال، وقول الناظم: (بعصم) بكسر العين وفتح الصاد المهملتين جمع عصمة من عصمه الله أي: حفظها ووقاها من الضلال بفضلها.
قال بعضهم: ومن خواص نبينا أن الله لم يره في أمته شيئاً يسوءه حتى قبضه بخلاف سائر الأنبياء.

تتمة: من خواص أمته أيضاً أن اشتق لهم اسمان من أسمائه تعالى المسلمون والمؤمنون وسمي دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع عنهم الأصر الذي كان على الأمم قبلهم، وأبيح لهم الكثر إذا أدوا زكاته، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، وأبيح لهم أكل الإبل والنعام والأوز والبط وجميع السمك والشحوم والدم غير المسفوح ككبد وطحال، ورفع عنهم المؤاخذه بالخطأ والنسيان وما استكروهوا عليه وحديث النفس، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وفقء العين من النظر إلى ما لا يحل، وقرض موضع النجاسة، وربع المال في الزكاة، وتحرير الأولاد بالتحصن، والرهابانية والسياحة وغير ذلك.

العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٤٥٨١)، وهذا لا دليل فيه على أولية خلقه ﷺ بل يدل على أن وصفه بالرسالة كان معلوماً في الوقت الذي لم يتم فيه دخول الروح في جسد آدم عليه السلام. والله أعلم.

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده (١٦٧٠٠) من حديث العرياض بن سارية أن النبي ﷺ قال: «إني عند الله في أم الكتاب لحائث النبيين، وإن آدم لم يُنجدل في طيبته...» الحديث. وهذا حديث ضعيف، وانظر: ضعيف الجامع للعلامة الألباني - رحمه الله - (٢٠٩١).

أَصْحَابُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ فِي الْمَلَأِ كِتَابُهُ الْمَحْفُوظُ أَنْ يُبَدَّلَا
 السابع: أن أصحابه خير القرون في الملأ وهم أشرف الناس، قالوا: ومن خصائصه
 أنهم أفضل العالمين إلا النبيين والمرسلين، ولهذا قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم
 اهتديتم»^(١).

الثامن: أن كتابه الذي هو القرآن محفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور،
 ومشمئ على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة، وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره
 وميسر للحفظ، وهو حجة إما لك أو عليك، وقراءته بكل حرف عشر حسنات، وقال
 الزركشي: وهذا كله من خصوصياته، قال في التحرير: وفضل القرآن على سائر الكتب
 المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن في غيره، وفي شعب الإيمان للحليمي: «من عظيم قدر
 القرآن أن خص بأنه دعوة وحجة، فهو دعوة بمعانيه حجة بألفاظه وكفى بالحجة شرفاً أن
 لا تنفصل الدعوة عنها وكفى بالدعوة شرفاً أن تكون حجتها معها».

شرعته قَدْ أَبْدَتْ وَنَسَخَتْ كُلُّ الشَّرَائِعِ الَّتِي قَبْلُ خَلَتْ
 التاسع: أن شرعته بكسر الشين أي: شريعته قد أبدت بالموحدة أي: مؤبدة على
 الأبد لا تتسخها ملة، وقد نسخت كل الشرائع التي قبل بضم اللام أي: قبله خلت، أي:
 مضت وذهبت، ولو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه.

وَالْأَرْضُ مَسْجِدٌ لَهُ طَهُورٌ وَالرُّعْبُ شَهْرًا لِنَصْرِهِ يَسِيرُ
 العاشر: أن الأرض كلها جعلت له مسجداً وجعل له تراهما طهوراً وهو التيمم،
 ففي الخبر: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»^(٢) فحيث ما أدرك رجل من أمته الصلاة
 تطهر وسجد أي: صلى، ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس.

ومما خص به أيضاً الوضوء على أحد القولين فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وعبرة
 ابن سراقه في الأعداد: خص بكمال الوضوء، والتيمم، ومسح الخف، وجعل الماء
 مزيلاً للنجاسة، وأن كثير الماء لا يؤثر فيه الخبث، والاستنجاء بالجامد ذكره كله
 أبو سعد النيسابوري في شرف المصطفى وابن سراقه في الأعداد.

(١) حديث ضعيف: ذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الخبير (١٩٠/٤)، وقال: أخرجه عبد بن حميد

في مسنده من طريق حمزة النصيبي، عن نافع، عن ابن عمر، وحمزة ضعيف جداً. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

الحادي عشر: أنه نصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه^(١).

سَيِّدُ أَوْلَادِ أَيْبِنَا آدَمَ ۖ قَدْ حَلَّلَ اللَّهُ لَهُ الْعَنَانِمَا
 الثاني عشر: أنه سيد ولد أئبنا آدم الخير: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»^(٢) أي: لا أقول
 فخراً وادعاء للعظم بل تحدثنا بالنعمة، وخير: «آدم فمن دونه تحت لوائي»^(٣) وهو صريح في
 تفضيله على آدم.

أَرْسَلْ لِلنَّاسِ جَمِيعًا أُعْطِيَا مَقَامَهُ الْمَحْمُودَ حَتَّى رَضِيَا

الخامس عشر: أنه أعطي المقام المحمود أي: أعطاه الله المقام الذي يحمد فيه الأولون والآخرون بقبول شفاعته في فصل القضاء، وقول الناظم: (مقامه) بالنصب.

تنبیه: قال بعضُ من جمع الخصائص خصص بالمقام المحمود، بأن بيده لواء الحمد وآدم

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥)، ومسلم (٥٢١) وعند مسلم: «وَنَصَرْتُ بِالرَّعْبِ بَيْنَ يَدَيِ مَسِيرَةِ شَهْرٍ».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وصححه

العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (١٤٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فمن دونه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم، وأول من يؤذن له في السجود، وأول من يرفع رأسه، وأول من ينظر إلى الله تعالى.

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يوم القيامة يكون بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع^(١).

وُخْصَّ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى الَّتِي يُخْجَمُ عَنْهَا كُلُّ مَنْ لَهَا أَتَى

السادس عشر: أنه خص بالشفاعة العظمى في فصل القضاء وهي التي يحجم بضم الياء أي يُعرض عنها كل من أوتي لها أي: دُعي إليها فإنهم يأتون آدم ثم نوحًا ثم الخليل، ثم موسى ثم عيسى، فكلُّ يقول: لست لها نفسي نفسي حتى يأتوا إليه فيقول: «أنا لها أنا لها»^(٢).

وُخْصَّ أَيْضًا بِالشَّفَاعَةِ فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة، كما حوِّزَ النووي اختصاص هذه والتي قبلها به، ووردت فيه أخبار، وصرح به عياض وابن دحية، وبالشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المؤمنين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى، وبالشفاعة في الموقف تحفيظًا عمن يحاسب، وبالشفاعة في أهل بيته أن لا يدخل النار أحدًا.

أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ بَلْ غَمَضُ

السابع عشر: أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يفيق من الصعقة كما جاء في أخبار، وخص أيضًا بأنه يحشر في سبعين ألف ملك، وعلى البراق ويؤذن باسمه في الموقف، ويكسى أعظم اللؤلؤ، ويقوم تحت عرش الرحمن.

الثامن عشر: أنه لا ينام قلبه بل عينيه، وقول الناظم: (بل غمض) أي: بل نومه غمض عينيه، وأما قلبه فيقظان أبدًا.

أَوَّلُ مَنْ يَقُومُ لِلشَّفَاعَةِ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ

التاسع عشر: أنه أول شافع وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة أي: من يطرقُ بابها

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٢٨/١١) وهو حديث ضعيف مرسل.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وينقره، وأول من يفتح له، وأول من يدخلها، قال الجلال في الخصائص: وبعده ابنته^(١).
 أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ حَقًّا تَبَعًا يَرَى وَرَاءَهُ كَقُدَّامٍ مَعًا
 العشرون: أنه أكثر الناس أتباعاً، وفي حديث الإسراء: «أضحى النبي وما معه إلا الواحد
 والاثنان»، وفيه: «فإذا بسواد قد سد الأفق فقل هذه أمتك»^(٢). وفي الحديث الصحيح: «لأرجو أن
 تكونوا نصف أهل الجنة»^(٣).

وقول الناظم: (أكثر الأنبياء) وصل همز القطع بالنقل، وقوله: (تبعاً) بالتحريك.
 الحادي والعشرون: أنه كان يُصْرُ من وراء ظهره كما يصْرُ من أمامه، زاد ابن رزين:
 (وعن يمينه وعن شماله)، ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار وفي الضوء، وقول الناظم:
 (كقدام) بالتونين ويجوز الفتح بلا تونين.

تمة: عدّوا من خصائصه أنه عُرِض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم، وعُرِض عليه ما هو
 كائن في أمته حتى تقوم الساعة، قال الإسفراييني: وعُرِض عليه الخلق كلهم آدم فمن بعده،
 كما علم أسماء كل شيء.

آتاه رُبُّهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ قَرِينُهُ أَسْلَمَ فَهُوَ قَدْ سَلِمَ
 الثاني والعشرون: أن الله أعطاه جوامع الكلم يعني القرآن، وكان يتكلم بجوامع الكلم،
 أي: كلامه كثير المعاني قليل الألفاظ، وهو في غاية الفصاحة.

الثالث والعشرون: أن قرينه أي: صاحبه من الجن أسلم، فهو قد سلم منه، ففي خبر
 مسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك، قال: «وإياي إلا أن الله
 أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»^(٤).

صُفُوفُهُ وَالْأَمَّةُ الْمُبَارَكَةُ كَصَفِّ عِنْدَ رَبِّهَا الْمَلَائِكَةُ
 الرابع والعشرون: أن صفوفه وصفوف أمته المباركة كصفوف الملائكة، أي: يصطفون
 في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها، أي: عند عرشه.

وقول الناظم: (الأمّة) بالجر عطف على الضمير المحرور هو قليل، والأكثر لا يعطف عندهم

(١) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٣٨٩/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٥)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

إلا بإعادة الجار وفصل بالظرف مع ما أضيف إليه بين المضاف والمضاف إليه.

قال جمع: ومن خصائصه أيضاً قوله: «اللهم ربنا لك الحمد» في الصلاة، وتحريم الكلام فيها، واستقبال الكعبة، وتحية الإسلام وهي تحية الملائكة وأهل الجنة، وجعل يوم الجمعة، وساعة الإجابة، وعيد الأضحى، ذكره النيسابوري وغيره، وصلاة الجمعة، وصلاة الليل، وصلاة العيدين، والكسوفين، والاستسقاء، والوتر، ذكره ابن سراقه.

وَلَا يَحِلُّ الرُّفْعُ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلَا يُنَادَى بِاسْمِهِ بَلْ نَعْتُهُ
الخامس والعشرون: أنه لا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢]، فيحرم نداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد، وأن يقول له راعنا.

السادس والعشرون: أنه لا ينادى أي: لا يحل لأحد أن يناديه باسمه بأن يقول يا محمد، بل يناديه بعبته فيقول يا رسول الله، يا نبي الله، وكره الشافعي -رحمه الله- أن تقول في حقه الرسول بل رسول الله؛ لأنه ليس فيه من التعظيم ما في الإضافة.

خَوِطَبٌ فِي الصَّلَاةِ بِالسَّلَامِ عَلَيْكَ دُونَ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ
السابع والعشرون: أنه خوطب في الصلاة بقولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولا يجوز خطاب غيره من سائر الناس فيها بل تبطل به الصلاة، وقول الناظم: (بالسلام) أصله بضم الميم على الحكاية فانكسر للوزن.

تنبيه: ذكر الجلال السيوطي من خصائصه أنه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله على غيره فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الأنبياء، وأن الصلاة لم تقصر بعذر السفر والمطر والمرض إلا له^(١)، وأن صلاة الخوف لم تشرع لأحد من الأمم قبله، وأن صوم رمضان لم يشرع إلا له^(٢)، ذكره القنوي.

وَمَنْ دَعَاهُ فِي الصَّلَاةِ وَجَبَتْ إِجَابَةُ لَهُ وَفَرَضُهُ تَبَتَّ
الثامن والعشرون: أن من كان في صلاة ودعا النبي وجب عليه إجابته لآية: ﴿اسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ولا تبطل بذلك صلاته وإن كانت

(١) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٤٤٩).

(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٣٥٨).

فرضاً، وهو مراد الناظم بقوله: (وفرضه ثبت)، ومثله في ذلك كما قال الجلال السيوطي^(١) وغيره جميع الأنبياء، ومن تكلم وهو يخطب بطلت جمعته وكان يجب الاستماع والإنصات لقراءته إذا قرأ في جهريته وعند نزول الوحي.

وَبَوَّلُهُ وَذُمُّهُ إِذْ أَتَىَا تَبَرُّكًا مِنْ شَارِبٍ مَا نَهَىَا
التاسع والعشرون: أن من شرب بوله أو دمه للترك لا يُنهي عنه لأن فضلاته طاهرة عند جمع جم من الشافعية، وقد أقر^(٢) ابن الزبير على شرب دمه، وأقر على شرب بوله^(٣).

وقول الناظم: (ودمه إذ) بسكون الذال أي: حين، وقوله: (أتىَا) بضم الهَمْزة وكسرت الفوقية أي: حين شرب أو حين فعل ذلك، وقوله: (تبرُّكًا) مفعول له أي: كان يشرب لأجل الترك والشفاء به، وقوله: (من شارب ما نهىَا) مبني للمفعول أي: ما نهىَاهم رسول الله ﷺ عن شرب بوله ودمه بل أقرهم عليه.

يَقْبَلُ مَا يُهْدَى لَهُ فَحُلٌّ دُونَ الْوَلَاةِ فَهَوَ لَا يَحُلُّ
الثلاثون: أنه يحل له قبول الهدية من العمال وغيرهم، بخلاف غيره من الولاة فإنه لا يحل لهم قبول هدية عمالهم، فإنها في حقهم رشوة محرمة، وقول الناظم: (فحل) بكسر الحاء أي: فهو حلال له.

فَاتَتْهُ رَكَعَتَانِ بَعْدَ الظَّهْرِ صَلَّاهُمَا وَدَامَ بَعْدَ الْعَصْرِ
وَمَا لَنَا دَوَامٌ ذَا بَلٍ يَمْتَنِعُ وَمَا سَوَى سَبِيهِ فَمُنْقَطِعُ
وَنَسَبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ رَأَهُ نَوْمًا فَهُوَ قَدْ رَأَهُ لَنْ
يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ مَنْ تَمَثَّلَ بِصُورَةِ النَّبِيِّ أَوْ تَخَيَّلَ

الحادي والثلاثون: أن له قضاء الراتبة بعد صلاة العصر بخلاف غيره، فقد فاتته الركعتان سنة الظهر البعدية فقضاها بعد العصر وداوم على صلاتيهما بعده تركهما حتى لقي الله كما في البخاري^(٤) عن عائشة -رضي الله عنها-، وأما نحن فليس لنا المداومة على

(١) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٤٤٣/٢).

(٢) يعني النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٩/٢٤) وذكره الهيثمي في المجمع (٢٧١/٨)، وقال: "رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة". اهـ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

الصلاة بعد العصر بل يمتنعُ لنا فعلها، كذلك لأجل الاقتداء به لأن ذلك من خصائصه.
 الثاني والثلاثون: أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه كذا جاء في عدة أخبار ومعناه أن أمته ينسبون إليه، وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل: ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب، ويكنى به آدم في الجنة تكريماً له فيقال له أبو محمد.

الثالث والثلاثون: أن من رآه في النوم فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بصورة النبي ﷺ ولا يتخيل به كما ورد في الصحيح من عدة طرق.

وَكَذِبَ عَلَيْهِ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَى سِوَاهُ فَهُوَ أَكْبَرُ الكَذِبِ
 الرابع والثلاثون: أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فإن الكذب عليه أكبر الكذب أي: أفحشه وأعظمه جرماً، وقد تواتر خبر: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(١) فهو من أعظم الكبائر، بل قال الجويني: ردة، ومن كذب عليه لم تقبل روايته أبداً، وإن تاب فيما ذكره جمع من أهل الأثر.

خاتمة: يكفر من استهان به أو زنا بحضرته أو تمني موته وكذا الأنبياء، ذكره المحاملي في الأوسط ويترتب عليه تحريم إرثهم لثلاثيئة وارثه فيكفر، ومن سبه قتل وكذا الأنبياء، والسب بالتعريض حقه كالنصریح، ولم ترن امرأة نبي قط، ومن قذف أزواجه فلا توبة له.

وفيه وفي المقنع لابن قدامة^(٢): من قذف أمه قُتل ولو مسلماً، وأولاد بناته ينسبون إليه وأولاد بنات بناته، وفي شرح التلخيص للشيخ أبي علي: لا يتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار، ولا يجتهد في محرابه مطلقاً، ويجل منصبه عن الدعاء له بالرحمة كما ذكره جمع، ويجرم النقش على خاتمه، ولا يقول في الغضب والرضا إلا حقاً، ورؤياه وحي وكذا الأنبياء.

ولا يجوز على الأنبياء جنون، وله تخصيص من شاء بما شاء كجعله شهادة خزيمة باثنتين، وترخيصه في إرضاع سالم وهو كبير، وفي النياحة لخولة بنت حكيم، وفي تعجيل

(١) صحيح مترائر، وانظر: صحيح الجامع للعلامة الألباني - رحمه الله - (٦٥١٩).

(٢) انظر: المقنع لابن قدامة (ص ٣٠٠).

صدقة عامين للعباس، وترك الإحداد لأسماء بنت عميس، والجمع بين اسمه وكنيته للولد الذي يولد لعلي، وفي المكث بالمسجد جنباً لعلي، وفتح باب من داره للمسجد له، وفي لبس الحرير للزبير وابن عوف، ولبس خاتم الذهب للبراء، وفي إعادة امرأة أبي ركانة إليه بعد أن طلقها ثلاثاً بغير محلل، وأسلم رجل على أن لا يُصلي إلا صلاتين فقبل منه ذلك، وضرب لعثمان بسهم يوم بدر ولم يضرب لمن غاب غيره، وكان يواخي بين صحبه ويثبت بينهم التوارث وليس لغيره، وكان أنس يصوم من طلوع الشمس لا الفجر فلعلها خصوصية، وأصام أطفال أهل بيته وهم رُضْعَاء، وغير ذلك.



باب ذكر حجه وعمره

بكسر الحاء، وعمره - بضم العين وفتح الميم - جمع عمرة.

قَدْ حَجَّ بَعْدَ هَجْرَةِ لَطِيه
سَنَةَ عَشْرَ قَطٍ بِغَيْرِ مَرِيه
واعتَمَرَ النَّبِيُّ بَعْدَ الْهَجْرَةِ
أَرْبَعَةً وَالْكُلُّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ
إِلَّا الَّتِي فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ
قَرَنَهَا لَمْ يَخْلُ بِالنِّزَاعِ

قد حج المصطفى بعد الهجرة من مكة إلى المدينة سنة عشر من الهجرة ولم يحج بعد الهجرة غيرها (قط بلا مربة) أي: شك، وفي البخاري^(١): حج رسول الله ﷺ بعدما هاجر حجة واحدة وتسمى حجة الوداع.

واعتمر بعد الهجرة عمراً كلها في ذي القعدة إلا العمرة التي اعتمر بها في حجة الوداع فإنه قرنها أي قرن فيها بين الحج والعمرة معاً على خلاف فيه فقليل: حج قارئاً، وقيل: متمتعاً وهو الأصح، وقيل: بل مفرداً.

أَوَّلُهَا سَنَةَ سِتٍّ صُدَا
فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ فَحَلَّ قَصْدَا
كَانَتْ بِهَا بَيْعَتُهُ الْمَرْضِيَّةُ
ثُمَّ قَلْبُهَا عُمَرَةُ الْقَضِيَّةُ
سَنَةَ سَبْعٍ بَعْدَهَا الْجَعْرَانَةُ
عَامَ ثَمَانٍ وَاعْدُدْ قَرَانُهُ
وَلَمْ يَعُدَّ مَالِكٌ ذِي الرَّابِعَةِ
وَقَالَ حَجٌّ مَفْرَدًا وَتَابَعُهُ
بَعْضُهُمْ وَحَجٌّ قَبْلَ الْهَجْرَةِ
ثَنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ فَمَرَّةُ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٤) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

ولم يصحَّ عددُ الحجَّات من قبل هجرة ولا العمُرات
 أوَّل عمرة اعتمرها المصطفى عمرة الحديبية وكانت يوم الإثنين هلال ذي القعدة
 سنة ست من الهجرة - لما أن صُدَّ - أي: صده المشركون فيها عن الوصول إلى البيت
 فتحلل عن العمرة بذبح هديه وحسب له عمرة، ولم تذكرها عائشة - رضي الله
 عنها - في عمره، وكانت بها بيعةُ الرضوان.
 ثمَّ تليها العمرة الثانية وهي التي تُسمى عمرة القضية وعمرة القضاء وعمرة
 القصاص حيث صالحوه من العام المقبل وكانت في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة.
 وبعدها العمرة الثالثة حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت عام ثمان
 من الهجرة، وقول الناظم: (واعددن قرانه) أي: واعدد أنت.
 العمرة الرابعة عمرة قرانه بين العمرة و الحج على الصحيح، ولم يعد مالك بن
 أنس في الموطأ هذه الرابعة وهي عمرته مع حجة الوداع مفردًا بالحج دون العمرة، وتابعه
 على مقالته هذه بعضهم كالشافعي في أحد قوليه.
 وأمَّا عدد ما حجه المصطفى قبل الهجرة فقد قيل: إنه حج ثنتين لما رواه
 الترمذي عن جابر: «حج النبي ﷺ ثلاث حجج ثنتين قبل أن يهاجر»^(١)، وقيل: أكثر من
 ثنتين، وفي الإكليل عن جابر: «حج النبي ﷺ قبل أن يهاجر حججًا»، وقيل: مرة واحدة
 فقط، والراجح أنه لم يصح عدد الحجَّات التي حجها قبل الهجرة ولا عدد العمرات
 التي اعتمرها قبلها.



(١) أخرجه الترمذي (٨١٥) من حديث جابر رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح
 الترمذي (١٧٨/٣).

باب ذكر مغازيه

جمع مغزاة، والمغزاة الغزاة المرة الواحدة من الغزو، والفاعل غاز يُقال: غزوت العدو غزواً، ويتعدى بالهمزة فيقال: أغزيتُه إذا بعثه يغزو، وإنما يكون غزو العدو في بلاده كذا في المصباح وغيره^(١).

سَبْعًا وَعَشْرِينَ أَغْدَدْنِ أُولَٰهَا وَذَانُ وَهِي الْأَبْوَا
ذكر ابن سعد في طبقاته^(٢) أن غزوات المصطفى التي خرج فيها بنفسه سبع وعشرون، وما في سيرة عبد الغني^(٣) عن ابن إسحاق وغيره أنها خمس وعشرون اعترضوه، وفي جامع عبد الرزاق عن ابن المسيب بسند صحيح «أنها أربع وعشرون»^(٤)، وفي مسند أبي يعلى^(٥) عن جابر بسند صحيح أنها إحدى وعشرون، ووراء ذلك أقوال آخر، والأول أولى.

فأولها غزوة ودان^(٦): بفتح الواو وشدة الدال المهملة على وزن فعلان قرية جامعة من أمهات القرى وهي الأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة التحتية والمد جبل بين مكة والمدينة بقرب الجحفة، بينها وبين ودان ستة أميال وبينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، سميت به لما كان فيها من الوباء، وهي على القلب وإلا لقل: الأبواء، فخرج من المدينة في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة يتعرض لعير قريش ويريد بني ضمرة بن عبد مناف وبني بكر فوادعته بنو ضمرة وسيدهم مخشى بن عمرو وكتب بينه وبينهم كتاباً أن لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثرؤا عليه جمعاً ولا يعينوا عليه عدواً، ثم رجع للمدينة بغير قتال وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

ثُمَّ بُرَاطُ بَعْدُ فَالْعُسَيْرُ فَبَدْرُ الْأُولَى فَبَدْرُ الْكُبْرَى

(١) انظر: المصباح المنير للفيومي (ص ١٧٠).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٢).

(٣) انظر: سيرة النبي ﷺ (ص ٣٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/٢٩٤).

(٥) انظر: مسند أبي يعلى (١٦٧/٤)، وانظر: فتح الباري (٢/٢٨٠).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/٥٩١).

الثانية غزوة بُواط: بضم الموحدة التحتية وقد تفتح ويفتح الواو المخففة وآخره طاء مهملة على وزن فعال جبل من جبال جهينة من ناحية رَضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصوراً وهو جبلٌ من جبال تهامة من ينبع على يوم ومن المدينة على سبع مراحل ومن البحر على مرحلتين، غزاها في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من هجرته، خرج في ثمانين من أصحابه يعترض عير قريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير، وكان لواءه أبيض حملة سعد بن أبي وقاص واستخلف على المدينة سعد بن مُعاذ أو غيره فلما بلغ بواط رجع ولم يلق أحداً.

الثالثة غزوة ذات العُشيرة^(١): بضم العين المهملة وشين معجمة وقيل: مهمة مفتوحة بعدها مثناة تحية وراء مهمة على لفظ التصغير، ويُقال بزيادة هاء في آخره وبعده نسب إلى المكان الذي وصلوا إليه وهو موضع لبني مدلج (بناحية ينبع) وبين ينبع والمدينة تسعة برد، خرج إليها في جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من مهاجرته؛ وحمل لواءه وكان أبيض حمزة بن عبد المطلب.

خرج من المدينة في خمسين ومائة وقيل في مائتين من المهاجرين وثلاثين بعيراً يعقبونها، ولم يُكره أحداً على الخروج فسلك ﷺ على نقب بني ذبيان فنزل تحت شجرة بطحاء ابن أزره فضلى عندها فثم مسجده وصُنِعَ له طعام فأكل هو وصحبه، فوضع الأنثاني أي: حلقة في الرمة معلوم هناك، ثم ارتحل فهبط بلبل فنزل بمجمعه واستقى له من بئر الضبوعة ثم سلك الفرش حتى لقي الطريق بصخورات اليمام ثم اعتدل حتى نزل ذات العشيرة يعترض لعير قريش لما نزلت من الشام فوجدتها مضت بأيام، فوادع بني مدلج ورجع ولم يلق حرباً، وأقام فيها أياماً من جمادى الآخرة، وكفى فيها علياً عليه السلام بأبي تراب حين وجده نائماً وعمار بن ياسر وقد علق به تراب فأيقظه برجله وقال: «ما لك أبا تراب» لما رأى عليه من التراب، ثم قال: «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى تبتل منها هذه وأخذ بلحيته»^(٢).

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥٩٨/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٨٥٧) من حديث عمار عليه السلام، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٢٥٨٩).

وقول الناظم: (ثم بواط) أي: بعد غزوة الأبواء غزوة بواط، وقوله: (بعد) بضم الدال أي: وبعد بواط العشير.

الرابعة غزوة بدر الأولى^(١): عُرِفَت ببدر بن الحارث، وقيل سميت به لرؤية البدر فيها، قال ابن إسحاق: لم يَقم بالمدينة حين قدم من العشيّة إلا ليالي قلائل نحو الأسبوع حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج في طلبه حتى بلغ واديًا يُقال له سَفَوَان بفتح السين والفاء من ناحية بدر فلم يدرك كرزًا، وحمل لواءه فيها علي المرتضى، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، قال ابن سعد: كانت على رأس ثلاثة عشر شهرًا من الهجرة.

الخامسة غزوة بدر الكبرى^(٢): ويُقال لها: العظمى وهي التي أعز الله بها الإسلام وغفر لأهلها، وكانت في سابع عشر رمضان يوم الجمعة وقيل: الاثنين وهو شاذ، وذلك أن رسول الله سمعَ بأبي سفيان مقبلًا من الشام في غير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون أو أربعون أو سبعون رجلًا من قريش وألف بعير فبعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتجسسان خبر العير وندب المسلمين، وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها»^(٣) فانتدب الناس فحف بعضهم واثقل بعض لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حربًا، وكان أبو سفيان يتجسس بمهمات الأخبار أي: يتتبعها بنفسه وبالجيم أي: يتفحص بغيره عن الأخبار حتى بلغه من بعض الركبان أن محمدًا سينفر لك ولعيرك فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو فبعثه إلى مكة ليستنفر قريشًا إلى أموالهم وخبرهم بتعرض محمد لها في أصحابه، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بثلاث قالت لأخيها العباس: (رأيتُ رؤيا أفضعتني وتخوفتُ أن يدخل على قومك منها شرف فاكنتم عني ما أحدثك، رأيتُ راکبًا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بمثلها، ثم مَثَلَ به على رأس أبي

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٨/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٦٠١/١).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٨/٢)، وسيرة ابن هشام (٦٠٦/١).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢٣/٢).

قبس فصرخ بمثلها، ثم اقتلع صخرة فأرسلها فأقبلت تموي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلها منه فلقة).

فقال العباس: اكنمها، ثم خرج فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقه فذكرها له واستكنمه إياها فذكرها الوليد لأبيه ففشى الحديث، ثم غدا العباس ليطوف وأبو جهل في رهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآه قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغ جلس معهم فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة، قال: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة ما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث فستربص بكم الثلاث فإن يكن حقاً كما تقول فسيكون وإلا نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب العرب.

قال العباس: فما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت أن تكون رأت، وقيل: بل قال له العباس: هل أنت منته فإن الكذب فيك وفي أهل بيتك، ولقي العباس من أخته أذى شديداً حين أفشى سرها ولم يبق امرأة من بني المطلب إلا أنه فقالت: أقررت بهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم يتناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت، قال: فقلت: ولم الله لأتعرض له فإن عاد لأكفيكنه، فغدوت في اليوم الثالث من الرؤيا وأنا مغضبٌ أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه فدخلت المسجد أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأوقع به وكان رجلاً خفيفاً حديد اللسان حديد النظر إذا خرج نحو باب المسجد يشتد فقلت: ما له لعنه الله أكل هذا فرق مني أن أشائمه فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم وهو يصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيه قد جدع بعيه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم تعرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث، فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهزوا سراعاً وقالوا: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأرعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبا هب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم فأفلس بها فاستأجره بها.

وأجمع أمية بن خلف القعود لأن سعد بن معاذ كان قال له: سمعت محمداً يقول: إنه قاتلك يا أمية، قال أمية: بمكة؟! قال: لا أدري، ففزع لذلك فلما رجع لأهله أخبر

بذلك أم صفوان فقالت: ما يكذب محمد، فلما جاء الصريخ قالت امرأته: هذا ما قال لك أخوك البثري، قال: لا أخرج، فألزمه أبو جهل بالخروج وأناه عتبة بن أبي معيط وهو بالمسجد بمحجرة وقال: استحجر فإئماً أنت من النساء، قال: قبحك الله، ثم تجهزوا وخرجوا في خمسين وتسعمائة مقاتل وساقوا مائة فرس، ثم خافوا كنانة لما بينهم فظهر لهم إبليس في صورة سراقا بن مالك فقال: أنا جار لكم من أن تأتكم كنانة من خلفكم، وخرج رسول الله ﷺ بعد من أرسلهما بعشر ليال وضرب عسكره بيثر أبي عتبة فعرض أصحابه ورداً من استصغر وخرج في ثلاثمائة رجل وخمسة نفر المهاجرون منهم أربعة وستون رجلاً وسائرهم من الأنصار يعتقبون سبعين بعيراً، وخلف ثلاثة من المهاجرين عثمان بن عفان لمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد ابن زيد أرسلهما يتجسسان خبر العير قبله بعشرة أيام.

ومن الأنصار أبا لبابة خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي على أهل العالية، والحرث بن حاطب رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، وضرب رسول الله ﷺ للجميع بسهامهم وأجورهم.

وكان اللواء أبيض مع مصعب بن عمير، ورايتان سوداوان أمامه إحداهما مع علي والأخرى مع رجل من الأنصار، فلما كان بعرق الظبية لقوا رجلاً فسألوه فلم يجدوا عنده خبراً، فلما كان بوادي ذفران بفتح المعجمة وكسر الفاء وفتح الراء أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس فقام أبو بكر ثم عمر فقالا وأحسنا، ثم قام المقداد ابن عمرو فقال: «امض لما أمرك الله به فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - بفتح الموحدة وسكون الراء والغماد بكسر الغين المعجمة وراء مكة بخمسة أيام وقيل المراد أقصى معمور الأرض - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه».

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ثم قال: «أشيروا علي» فقال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا؟ قال: «أجل». قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك موافقة على السمع والطاعة فامض لما أردت فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل، وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا

لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يُريك ممّا ما تقرُّ به عينك فسر على بركة الله.

فسرَّ بذلك وقال: «سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنسي الآن أنظرُ إلى مصارع القوم»، ثم نزل بقرب بدر وركب هو وأبو بكر حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه فقال: لا أخبركما حتى تخراني من أتما فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك»، قال: ذاك بذلك، قال: «نعم»، قال: بلغني أن محمداً وصحبه خرجوا يوم كذا فإن صدق المخبر فهم اليوم بمكان كذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وقال مثل ذلك عن قريش، ثم قال: ممن أتما، قال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرف والشيخ يقول: من ماء أمن ماء العراق، فلما أمسى رسول الله ﷺ بعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض غلام بني العاص فأتوا بهما ورسول الله ﷺ يصلي فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقي من الماء، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان حتى قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما فلما سلم رسول الله ﷺ قال: «إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا إنما هما لقريش أخبراني عنهم»، قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكتيب العنقل، قال: «كم القوم؟» قالوا: كثير، قال: «كم عدتكم؟» قالوا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، قال القوم: «ما بين تسعمائة وألف»، ثم قال: «فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالوا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختری بن هشام، وحكيم ابن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأممية بن خلف، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبدود فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة ألفت إليكم أفلاذ كبدها».

ثم إن أبا سفيان صرف وجهه العير عن بدر بساحل ورأى أنه قد أحرز عيره وأرسل إلى قريش: «إنما خرجتم لتمعنوا غيركم ورجالكم وأموالكم قد نبأها الله فارجعوا»، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدرًا فنتقيم عليها ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتسمع العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالوا يهابونا أبداً، وكان جهيم بن الصلت بن مخزومة بن عبد المطلب بن عبد مناف رأى لما نزلوا الجحفة وأنه بين النائم واليقظان رجلاً

من قريش أقبل علي حتى وقف ومعه بعيره ثم قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمّية بن خلف، وفلان وفلان فعد رجالاً ممن قتل يوم بدر من الأشراف، ثم ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خيأ من أحييتهم إلا أصابه نضح من دمه، فقال أبو جهل: وهذا نبي آخر من بني المطلب سيعلم اليوم من المقتول إن نحن التقينا، ورجع الأخنس بن شريق ببني زهرة وكان حليفاً لهم وقد قال لهم: (قد نجى الله لكم أموالكم وخلّص صاحبكم مخزّمة بن نوفل وإنّا نفرثم لتمنّعه وماله فاجعلوا خبيها في وارجعوا)، فأطاعوه ورجع طالب بن أبي طالب لمحاوره كانت بينه وبين بعض قريش لما قالوا: (قد علمنا أن هواكم لَمَعَ محمد).

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي وبعث الله السماء فأمطرت مطراً لبّد الأرض لرسوله ومنع قريشاً من الارتحال فبادرهم رسول الله ﷺ إلى السماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل بها فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله هذا المنزل منزل أنزلكه الله أم هو الرأي والمكيدة؟ فقال: ((بل الرأي والمكيدة))، قال: ارحلوا حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فتملأه فنشرب ولا يشربون، فقال: ((أشرت بالرأي))، ففعل ما قال.

ثم قال سعد بن معاذ: يا بني الله بنبسي لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم تلقى عدونا فإن أظهرنا الله كان ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدّ لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا، فدعا له ثم بنى له العريش فكان فيه، ولما رأى رسول الله ﷺ القوم تصوب قال: ((اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحيهم)) -بفتح الهمزة وكسر المهملة وسكون النون- أمر من الحين أي: أهلكهم الغداة، وكانت قريش قالت لخفاف بن إيماء بن رخصة حين بعث إليهم بالجزائر وسألهم أن يمدّهم بالسلاح: (لئن كنا إنّما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم وإن كنا إنّما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة).

ثم أقبل نفر من قريش فيهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فقال: ((دعوه))، فلم يشرب منه رجل منهم إلا قتل غير حكيم، ثم قالوا لعمير بن وهب: احرص لنا أصحاب محمد فجال بفرسه حول العسكر ثم قال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو

ينقصون، ثم قال: حتى أنظر للقوم كميئاً أو مدداً، فضرب في بطن الوادي فلم ير شيئاً فرجع فقال: لم أر لكن رأيتُ البلايا تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد فروا رأيكم، فمشى حكيم بن حزام في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فكلمه في الرجوع بالناس وقال: (يا أبا الوليد أنت كبير قريش وسيدها المطاع هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الأبد، ترجع الناس وتحمل أمر حليفك عمرو ابن الحضرمي قال: قد فعلت إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الخطلية يعني أبا جهل فإني لا أخشى أن يسخر من الناس غيره، وكان رسول الله حين رأى عتبة على جمل أحر، قال: «إن يكن في القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا»^(١) فقام عتبة خطيباً، فقال:

يا معشر قريش إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وصحبه شيئاً لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرضوا ما ليس تريدون، فانطلق حكيم حتى جاء أبا جهل فوجده انتل درعاً له من جراهما فقلت: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا، فقال: انتفخ سحره بفتح السين وسكون الحاء المهملتين أي: رثته حين رأى محمداً وصحبه كلا لا ترجع حتى يحكم الله بيننا، لكنه قد رأى محمداً وصحبه أكلة جزور وفيهم ابنه أبو حذيفة فقد تخوفكم عليه.

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت تأرك بعينك فقم فانبشد مقتل أخيك فقام فاكشف ثم صرخ واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس فلما بلغ عتبة قول أبي جهل قال: سيعلم مُصَفِّرُ أَسْتِهِ من انتفخ سحره، وقال بعض المنافقين: غرَّ هؤلاء دينهم لما رأوا من قتلهم فنزل: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] الآية، وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه فخرج إليه حمزة فضربه

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٩٥١) من حديث عليّ رضي الله عنه.

فأطن قدمه بنصف ساقه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا فحبًا إلى الحوض فاقتحمه يزعم أنه ير يمينه فضربه حمرة في الحوض فقتله فيه.

ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا للمبارزة فخرج فتية من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديه: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال: «قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة ويا علي»، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم فعرفوهم فقالوا: اكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة، وحمزة شيبة، وعلي الوليد، فأما حمزة وعلي فلم يمهلما صاحبيهما أن قتلاهما واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكرَّ علي وحمزة بأسيا فهما على عتبة فذفعا عليه واحتملا صاحبيهما فحازاه إلى أصحابه ثم تراحف الناس وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال: «إن اكتفكم القوم فانضحوا عنكم بالنبل»، وهو في العريش معه أبو بكر وكان حين سؤى الصفوف بقدح في يده رأى سواد بن غزية مستنسلًا من الصف فطعن في بطنه بالقدح، وقال: «استويا سواد» فقال: أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأفدني، فكشف عن بطنه فقال: «استقد» فاعتنقه وقبل بطنه فقال: «ما حملك على هذا؟» قال: حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له ثم رجع إلى العريش يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: «اللهم إن قتلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد»، وأبو بكر ﷺ يقول: سل كل بعض مناشدتك ربك إن الله منجز لك ما وعدك، فكان المصطفى في مقام الخوف وهو هنا أعلى، والصدیق في مقام الرجاء وهو هنا دونه، وخفق رسول الله خفقة ثم انتبه، فقال: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله» قال: «هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده»، وكان قد هبت ثلاث رياح في الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع المصطفى، والثانية ميكائيل في ألف عن يمينه، والثالثة إسرافيل في ألف عن يساره.

وقاتلت الملائكة يومئذ ولم تقاتل في غيره، وكانت مددًا وعددًا فقد كان رجل يشتد خلف رجل كافر إذ سمع ضربة سوط وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر إلى الكافر خروًا أمامه فإذا هو حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، والأخبار في ذلك كثيرة، وكان شعار الملائكة يومئذ (أحد أحد) وعليهم عمام بيض وعلي جبريل عمامة صفراء أرسلها من خلفه.

وعن ابن عباس، عن رجل من غفار أنه صعد في جبل هو وابن عمه يشرف على بدر إذ دنت سحابة فسمعنا فيها حممة الخيل فسمعت قائلاً: «أقدم حيزوم»^(١) وهو اسم فرس جبريل، فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات، وأما أنا فتماسكت.

ثم كان أول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر، ثم حارثة بن سراقة أصابه سهم وهو يشرب فقتله، وخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: «لا يقاتلهم رجل فيقتل إلا دخل الجنة» فقال عمر بن الحُمام ويده غمرات يأكلهن: يخ بخ فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذفها من يده وقاتل حتى قُتل^(٢)، وكان أبو جهل حين دنا الناس قال: اللهم أقطعنا الرحم وأتانا بما لا نعرف اللهم فأحنه الغداة فكان هو المستفتح.

وعن عبد الرحمن بن عوف: (إني لواقف يوم بدر في الصف وإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيت لو كنتُ بين أضلع منهما فغمزني فقال أحدهما: هل تعرف أبا جهل؟ قلتُ: نعم فما حاجتك، قال: بلغني أنه يسب رسول الله لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فغمزني الآخر فقال مثلها، فلم أنشب أن نظرت أبا جهل يجول في الناس فقلت: هذا صاحبكما فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراهُ وقال كلُّ منهما: أنا قتلته، قال: «هل مسحتما سيفيكما» قالوا: لا، فنظر فيهما فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح وهما معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء رواه مسلم^(٣).

وذكر أبو الربيع أن أول من لقيه معاذ بن عمرو وقال: سمعتُ القوم يقولون أبو الحكم لا يخلص إليه فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنتني ضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة وأجهضني القتال عنه فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما أذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، وعاش بعد ذلك إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم (١٦٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

ومر ابن مسعود عليه حين أمر المصطفى بالتماسه في القتلى وهو عقير بآخر رمق فوضع رجله على عنقه وكان قد آذاه مرة بمكة ثم قال: هل أحزاك الله يا عدو الله، قال: وم أجزاني لمن يكون الدين؟ قلت: لله ورسوله، ويُقال إنه قال: قد ارتقيت مرتقى صعباً يا رُوعي الغنم، قال: إني قاتلك، قال: ما أنت بأول عبد قتل سيده أما إن أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي، وفي رواية البخاري: «فلو غيرك قتلتني»^(١).

فاحتز رأسه ثم جاء به لرسول الله ﷺ فقال: هذا رأس عدو الله، فقال: «والله الذي لا إله غيره؟» وكانت يمينه فقال: نعم والله الذي لا إله غيره، قال: ثم ألقىته بين يديه فحمد الله.

وذكر ابن عقبة أن المصطفى وقف على القتلى فالتمس أبا جهل فلم يجده فاعتم حتى عرف ذلك في وجهه فقال: «اللهم لا يعجزك فرعون هذه الأمة»، فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود مصروعاً بينه وبين المعركة غير كثير متقنعا بالحديد واضعاً سيفه على فخذه ليس به جرح لا يستطيع أن يحرك منه عضواً وهو مكبٌ ينظر إلى الأرض، فلما رآه طاف حوله ليقتله وهو خائف أن يتعالیه فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظن أنه مثبت جراحاً، فأراد أن يضربه بسيفه فخاف أن لا ينفذ، فأتاه من ورائه فتناول قائم سيف أبي جهل فاستله ثم رفع سابعة البيضة عن قفاه فضربه فوق رأسه بين يدين ثم سلبه، فلما نظر إليه هو ليس به جراح فأتى ابن مسعود النبي ﷺ فأخبره بقتله.

وروى البيهقي أنه استحلفه ثلاثاً فخر المصطفى ساجداً وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصاء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: «شاهت الوجوه»، ثم نفخهم بها وقال لأصحابه: «شدوا» فكانت الهزيمة، وقتل الله منهم سبعين من صناديد قريش وأسر سبعين ولم يبق منهم رجل إلا دخل في عينه التراب، وسعد بن معاذ قائم على رأس العريش متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون المصطفى، وشاور أبا بكر وعمر في الأسارى فقال أبو بكر: (هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان أرى أن نأخذ منهم الفدية لتكون قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله)، وقال عمر: (ما أرى ذلك أرى أن نمكني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه، ونمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وحمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هواده للمشركين).

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢٠)، ومسلم (١٨٠٠).

فهوى المصطفى ما قال أبو بكر رضي الله عنه وأخذ الفداء فلما كان من الغد رأى عمر رسول الله وأبا بكر يسيان وقال النبي ﷺ: «لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة فيما أخذتم من الفداء»، فأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية (١).

وشبه أبو بكر بإبراهيم وعيسى وعمر بنوح وموسى، وكان رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً من بني هاشم أخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتال فمن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله»؛ لأنه كان يؤذيه ولا يبلغه عنه ما يكره، وكان ممن قام في نقض الصحيفة، ومن لقي العباس لا يقتله فقال أبو حذيفة: أقتل آباؤنا وإخواننا وأخواتنا ونترك العباس لئن لقيته لأجمنه السيف، فبلغ رسول الله ﷺ فقال لعمر رضي الله عنه: «أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف»، فقال عمر: دعني أضرب عنقه فقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة ولا أزال خائفًا منها إلا أن يكفر عني بالشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا.

فلقي المجذر أبا البختري فأخبره بما قال رسول الله ﷺ فأبى أن يستأسر إلا أن يترك زميله وقاتل فقتل.

وكان عبد الرحمن بن عوف مارًا ومعه أدرع استلبها فلقية أمية بن خلف ومعه ابنه علي فقال: (هل لك في أنأنا خير لك من هذه الأدرع)، فطرح الأدرع وأخذها، فقال: (من الرجل منكم المعلم بريش نعامة في صدره)؟ قال: قال: (ذاك حمزة)، قال: (ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل)، قال: فوالله إني لأقودهما إذا رآه بلال معي وكان هو الذي يعذبه بمكة فقال: «رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجأ» (٢)، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله فقلت: اسمع يا ابن السوداء، فقال: لا نجوت إن نجأ، ثم صرخ كالأول فأحاطوا بنا حتى جعلونا كالمسكة فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعتُ بمثله قط، فقلت: انج بنفسك، ولا نجاة فما أغني عنك، فهبروها بالسيف فبرحم الله بلالاً ذهب أدراعي وفجعني بأسيري.

وقاتل عكاشة بن محصن حتى انقطع سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ جذلاً من حطب

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

فهزه فعاد في يده سيفاً، وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القلب فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف انتفخ في أذراعه فذهبوا ليحركوه فتزابل فلموه في مكانه وكانت عدتهم بضعة وعشرين رجلاً، ووقف رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل القلب بشس عشرة النبي كنتم لنبيكم كذبتوني وصدقتي الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتوني ونصري الناس، يا أهل القلب هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً»، فقال له صحبه: أتكلّم قوماً موتى، قال: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً»، وفي حديث أنهم قالوا: أتنادي قوماً قد جيفوا فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا»^(١).

ثم ارتحل عن بدر وجمع الغنيمة وبعث عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة ثم أقبل إلى المدينة ومعه الأسارى فلما خرج من مضيق الصّفراء قسّم الثّقل الذي أفاء الله على المسلمين على السّواء، وكان في ذلك صلاح ذات البين فإنهم اختلفوا في ذلك وساءت أخلاقهم، ثم لقيه المسلمون بالروحاء يهتثونه. وقُتلّ النضر بن الحارث بالصفراء قتله علي، وقتل عقبة بن أبي معيط بعرق الظبية فقال: ما للصبية يا محمد؟ قال: «النار» قيل قتله عاصم بن أبي الأفلح، وقيل علي.

ودخل المدينة قبل الأسرى يوم ثم لم يلبث أهل مكة أن جاءهم الخلسمان الخزاعي فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم، وزمعة بن الأسود، وأمّية بن خلف، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري، فلما جعل يُعَدّد أشراف قريش قال صفوان بن أمّية وهو قاعد بالحجر: والله إن يعقل هذا سلوه عني، قالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هاهو وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلّا.

ثم قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمرى الخير فجلس إليه والناس قيام عليه فقال: ما هو إلا أن لقينا القوم منحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وأثم الله ما ملت الناس رأيت رجلاً ييضاً على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ وكان للعباس وهو جالس مع أم الفضل: (تلك الملائكة)، فضرب أبو لهب وجهي ثم احتملني وضرب بي الأرض وكنت

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

ضعيفاً، وقامت أم الفضل إلى عمود فضربته به فشجته شجة منكراً وقالت: أستضعفته إن غاب سيده، فقام مولياً ذليلاً فما عاش إلا سبع ليال حتى أتاه الله بالعدسة فقتله وبقي بعد يومه ثلاثة لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة حفروا له ثم دفعوه في حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه.

ثم أرسلت قريش في فداء الأسرى ومنهم سهيل بن عمرو، وكان قام خطيباً في جمع قريش لحرب رسول الله ﷺ فقال عمر رضي الله عنه: (دعني أدلع لسانه فلا يقوم خطيباً عليك في موطن أبداً)، فقال: «عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه»، فقام في تثبيت أهل مكة في موت المصطفى مقاماً يأتي ذكره، وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت المصطفى وكان يثني عليه في صهره خيراً وهو ابن أخت خديجة، وكانت قريش بذلت له الرغائب أن يفارق زينب فأبى وكان من العدودين ملاً وتجارة وأماناً فبعث في فداء زوجها بمال وبقلادة، وكانت خديجة أدخلتها بها عليه فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ماله» ففعلوا وشرط عليه رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل ابنته ففعل، وأرسل زيد بن حارثة إلى بطن ناجح وخرج بها من مكة كنانة بن الربيع أخو زوجها ثمراً فخرج في طلبها رجال من قريش فأدركوها بذى طوى وكان أولهم هبار ابن الأسود فروّعها بالرمح فأجهضت فنثر حموها كنانته وقال: لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً فأنهزموا، وأتى أبو سفيان في جملة من قريش وكلمه في العود بها وإخراجها ليلاً لئلا يظن بهم الضعف والوهن ففعل وأسلمها زيداً فأحضرها وقالت هند بنت عتبة للذين خرجوا إلى زينب:

أفي السلم أعياراً جفساء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء العوارك
وأمر المصطفى بتحريق هبار ورفيقه، ثم رأى أنه لا يعذب بالنار إلا الله فقال: «فإن وجدتموها فاقتلوهما».

ثم خرج أبو العاص في تجارة فلقى المسلمون فغنموا ما معه وفر إلى المدينة فدخل إلى زينب فأجارته فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح صرخت زينب: أيها المسلمون إني أجزت أبا العاص فلما سلم المصطفى قال: «هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم، قال: «أما والله ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم أنه يجير على المسلمين أديانهم» ثم قال لها: «أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له» وبعث إلى السرية الذين أصابوا ماله:

«هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم ماله فإن تحسنوا وتردوا عليه فإننا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيء أفاءه الله عليكم فأنتم أحق به»، فردوه بأسره فاحتمله إلى مكة فأدَّى كل ذي مال ماله ثم قال: «يا معشر قريش هل يبقى لأحد منكم عندي شيء» قالوا: لا، قال: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ما منعتني من الإسلام عنده إلا أن تظنوا إنني أردت أكل أموالكم، ثم قدم المدينة فرد عليه زوجته قيل: بالنكاح الأول، وقيل: بجديد، ومن المصطفى على نفر من قريش فأطلقهم بغير فداء منهم أبو عزة ثم كان من شأنه ما يأتي في حراء الأسد.

واستشهد من المسلمين بدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. فقيتقاع والسويق عطفان وهي فذو أمر فغزو بحرآن السادسة غزوة بني قينقاع^(١): بتثليث النون بطن من يهود المدينة وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وكانت هذه الغزوة يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وذلك أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوق بني قينقاع وقال: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم» قالوا: يا محمد لو حاربنا لتعلمن أنا نحن الناس فنزل فيهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكُمْ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ كَبِيرُ الْعَمَلِ﴾ [آل عمران: ١٢] الآيات.

وقال ابن سعد^(٢): كانوا قوماً من يهود حلفاء عبد الله بن أبي، وكانوا أشجع يهود، فوادعوا رسول الله ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد وتركوا العهد والذمة، وذلك أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ منهم بسوق بني قينقاع فراودها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فقامت فانكشفت سوءها فضحكوا فوثب مسلم على الصائغ فقتله فقتلته اليهود، فغضب المسلمون، فسار المصطفى إليهم وحمل لواءه حمزة وكان أبيض ولم تكن الرايات يومئذ، وخلف على المدينة أبا لبابة الأنصاري، وحاصروهم خمس عشرة ليلة فنزلوا على حكمه فحكم بأن له

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢١)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٧).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢١).

أموالهم ولهم النساء والذرية، فنزلوا فكتفوا واستعمل على أكتافهم المنذر بن قدامة السلمي فكلّم ابن أبيّ فيهم رسول الله ﷺ وأخ وقال: موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة درّاع منعونا من الأسود والأحمر تحصدكم في غداة واحدة إني والله أخشى الدوائر فقال: «خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم»، وأمر أن يجلو من المدينة فلاحقوا بأذرعات، ولما رأى ذلك عبادة بن الصامت وكان له من حلفهم كالذي لابن أبيّ فتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١] الآيات من المائدة، وولّى قبض أموالهم محمد بن مسلمة وإخراجهم عبادة بن الصامت، ووجدوا بحصنهم سلاحاً كثيراً فأخذ المصطفى الخمس ثم قضى بالبقية على صحبه.

السابعة غزوة السويق: بفتح السين المهملة، وسببها أنه لما رجع الكفار من بدر إلى مكة نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يقرب النساء ولا الدهن حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب ليبرّ في قَسَمه، فسلّك النجدية حتى نزل على نحو بريد من المدينة، ثم خرج ليلاً حتى أتى بني النضير فضرب على حبي بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له فانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيدهم فأذن له وقراه وسقاه، فاستخبره خبر المصطفى ثم رجع من ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجلاً فأتوا ناحية العريض بضم العين المهملة وضاد معجمة - واد على ثلاثة أميال من المدينة - فحرقوا من النخيل وقتلوا رجلين من الأنصار ورأى أن يمينه قد انحلت، فبلغ المصطفى فخرج في طلبه في مائتين من المهاجرين والأنصار لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من هجرته فقاته أبو سفيان وجعل يتخفّف للهرب، فألفى جرب السويق وهي عامة زادهم فأخذها المسلمون فسميت به، ولم يلحقهم وغاب خمسة أيام ثم عاد إلى المدينة.

الثامنة غزوة غطفان: بفتح المعجمة - قبيلة بناحية نجد - وقول الناظم: (وهي فذو أمر) أي: وهي غزوة ذي أمر يفتح الهمة والميم وشدة الراء أفعّل من المارة - موضع بنجد عند واسط الذي بالبادية بناحية النخيل - فخرج رسول الله ﷺ من المدينة لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من هجرته واستعمل عليها عثمان، وذلك أنه بلغه أن جمعاً من ثعلبة ومُحارب قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة جمعهم دعثور بن الحارث السحاري، فندب المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً وهبط عليهم فهربوا إلى رعوس الجبال فلم يلحق منهم أحداً لكنه ينظر

إليهم في رعوس الجبال، وأصابه مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليحفا واضطجع تحتها، فأبصره دعثور فأقبل عليه حتى قام على رأسه ومعه سيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله» فسقط السيف من يده فأخذه المصطفى وقال: «من يمنعك مني؟»، قال: لا أحد^(١)، وأسلم فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ [المائدة: ١١] الآية. وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة أو أكثر.

التاسعة غزوة بخران^(٢): أي: غزوة بني سليم بناحية بخران بضم الموحدة وفتحها وسكون الحاء المهملة، من ناحية الفرع بفتحين، خرج على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة لست خلون من جمادى الأولى في ثلاثمائة رجل لجمع من بني سليم، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فوجدهم تفرقوا فرجع ولم يلق كيذا، وغاب عشر ليال وجعلها ابن عبد البر بعد قينقاع.

وَأُحْدُ بَعْدُ فَحَمْرَاءُ الْأَسَدِ ثُمَّ بَنُو النَّضِيرِ ثُمَّ فِي الْعَدَدِ
ذَاتُ الرَّقَاعِ ثُمَّ بَدْرُ الْمَوْعِدِ قَدْوَمَةٌ فَالْخَنْدَقِ اذْكُرْ وَاعْلُدْ

العاشرة غزوة أحد^(٣): بضم الهمزة والحاء المهملة، جبل مشهور يقرب المدينة به قير هارون، فإن موسى وهارون مرّا به حاجين أو معتمرين فمات به، وكان من حديث أحد أنه لما قتل الله كفار قريش بيد رجع أبو سفيان بالعر مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في قوم ممن أصيب آبائهم وأبناءهم وأهلهم وكلموا أبا سفيان وقالوا: إن محمداً وترككم وقتل خياركم فأعينونا بالمال على حربته لعلنا ندرك ثأراً.

وقال ابن سعد: كانت العير موقوفة بدار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا: جهزوا بهذه العير - وكانت ألف بعير - جيشاً إلى محمد، فأجاب، واجتمعت قريش ومن أطاعها من القبائل ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة، وكتب العباس إلى المصطفى بخبرهم، فخرج أبو سفيان قائد الناس بحد بنت عتبة، وقال جبير بن مطعم لغلامه وحشي الحبشي: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق، فكانت هند

(١) انظر: صحيح البخاري (٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢٧/٢).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٢٨/٢)، والسيرة النبوية (٦٠/٢)، وفتح الباري (٣٤٥/٧).

إذا رأيته يقول: وبها أبا دسمة اشف واشتف؛ فأقبلوا حتى نزلوا بعينين تشية عين جبل بيطن السبخة مقابل المدينة، فلما سمع بهم المصطفى قال: «إني رأيْتُ والله خيراً رأيْتُ بقرًا تُذبح، ورأيْتُ في ذباب سفي ثلماً، فأما البقر فناسٌ من أصحابي يقتلون، وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل، ورأيْتُ أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بها وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها»^(١)، وكان المصطفى يكره الخروج وابن أبي يرى رأيهُ فقال رجال من المسلمين: اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبننا وقال ابن أبي: لا تخرج فما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فلم يزل برسول الله من أحب لقاء العدو حتى دخل فلبس لأمته بعد صلاة الجمعة وقد ندم الناس، فقالوا: استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد فقال: «ما ينبغي للنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»^(٢) فخرج في ألف حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد تحرك عبد الله بن أبي ينكت الناس: وقال: أطاعهم وعصاني ما ندري علّامٌ تقتل أنفسنا، فرجع بمن تبعه من أهل النفاق ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذبته فأصاب كلاب سيف فاستله فقال المصطفى وكان يحب الفأل ولا يعتاف أي: لا يتطير: «يا صاحب السيف شم سيفك فإني أرى السيف تستل اليوم»، ثم قال: «من رجل يخرج بنا على القوم من كذب» أي: قرب، «لا يمر بنا عليهم» فقال أبو خيثمة: أنا فنفذ به في حرة بني حارثة حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعنقه إليه وقال: «لا يقاتل أحد حتى أمره بالقتال»، وتعباً للقتال وهو في سبعمئة وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وهو معلم بثياب بيض وهم خمسون فقالوا: (انضح الخيل عنا لا يأتونا من خلف إن كان لنا وعلينا فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك)، فظاهر المصطفى بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، ولم يكن مع المسلمين فرس إلى فرس رسول الله ﷺ وفرس أبي بردة، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر أو سعد بن عباد، وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف معهم مائتا

(١) انظر: مسند أحمد (٢٤٤١) و(١٤٣٧٣).

(٢) انظر: مسند أحمد (١٤٣٧٣)، وسنن الدارمي (٢١٥٩)، والحديث ضعفه العلامة الألباني رحمه الله - في ضعيف الجامع (٢٠٧٥).

فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وميسرها عكرمة بن أبي جهل وعلى القلب صفوان بن أمية أو عمرو بن العاص وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة.

وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم: إنكم قد وليتم يوم بدر فأصابنا ما رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، فاقتلوا حتى حمي الحرب وقال المصطفى لسيف عنده: «من يأخذه بحقه» فقام إليه رجال منهم الزبير فأمسكه حتى قام أبو دجانة فقال: ما حقه؟ قال: «أن يضرب به حتى ينحني»^(١) قال: أنا، فأعطاه إياه، قال الزبير: وجدت نفسي حين منعي وأعطاء إياه وأنا ابن عمته ومن قريش، فقلت: لأنظرن ما يصنع فتبعته فأخرج عصاة حمراء فعصب رأسه فقال الأنصار: أخرج عصاة الأنصار فخرج يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول
فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله وكان من المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذف
عليه، فجعل كل منهما يدنو لصاحبه فالتقيا فاختلفا ضربتين فضربه أبو دجانة فقتله، ثم حمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ثم عدل عنها، وقاتل حمزة حتى قتل أحد الذين يحملون اللواء.

قال وحشي: رأيت حمزة في عرض الناس كاجمل الأوراق يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء، فإني لأتألم له أريده وأستتر منه بشجر أو حجر ليدنو مني إذ تقدم إليه سباع ابن عبد العزى فلما رآه حمزة قال: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه ختانة، فضربه فكأنما أخطأت رأسه قال: فهززت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه فوقعت في شتته حتى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوي فتركته وإياها حتى مات، ثم أتيت ولم يكن لي بغيره حاجة إنما قتلت لأعق، ثم كان من أمره أن خرج بعد الفتح إلى الطائف ثم وفد على المصطفى بعد أن أعيتته المذاهب فلم يشعر به إلا على رأسه يتشهد شهادة الحق، فسأله كيف قتل حمزة ثم قال: «ويحك غيب وجهك عني» فكان يتكبه إذا رآه، فلما كان وقعة مسيلمة الكذاب رماه بالحربة التي ضرب بها حمزة وضربه رجل من

الأنصار بالسيف فربك أعلم أيهما قتله، وكان لا يزال يحد في الخمر حتى خلع من الديون، فقال عمر: قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة وقاتل مصعب بن عمير حتى قتله ابن قمئة وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فقال: قتلت محمدًا.

وأعطى المصطفى اللواء عليًا وجلس لما اشتد القتال تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي أن قدم الراية فتقدم فقال: أنا أبو القصم، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة: هل لك يا أبا القصم في البراز قال: نعم، فبرزا به في الصفين فاختلعا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف، ولم يجهز عليه لكونه استقبله بسوأته قال: فعطفتني عليه الرحمة فعلمت أن الله قتله، ويقال إنه طلب البراز مرارًا فلم يخرج له أحد فقال: زعمتم يا أصحاب محمد أن قتلكم في الجنة وقتلانا في النار كذبتهم واللات، لو تعلمون ذلك حقًا لخرج إلى بعضكم، فخرج له علي فقتله، وقيل: قتله سعد بن أبي وقاص، وقيل: عاصم بن أبي الأفلح، فتأتي أمه فتضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأفلح فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم عاهد الله أن لا يمس مشركًا ولا يمسه فتمم له ذلك حيًا وميتًا كما يأتي، واستعلى حنظلة بن الغسيل يومئذ أبا سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله، وكان خرج جنبًا حين سمع الهائعة فرأى المصطفى الملائكة تغسله.

ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوه بالسيف حتى كشفوه، وكانت خيل المشركين قد حملت ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلولة، وكانت الهزيمة لا شك فيها، فلما أبصر الرماة ذلك قالوا: ما نجلس هنا لشئ وقد أهلك الله العدو فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله ﷺ وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول، قال الزبير: لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها منكشفات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إلى أن مالت الرماة على العسكر وخلوا ظهورنا للخيل، فأوتينا من خلفنا وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قتل، فأنكفأنا وأنكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء فأنكشف المسلمون وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم فيه بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فقفذ بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وكلمت شفته وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: «كيف يُفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل

عمران: ١٢٨] (١)، والذي كسر رباعيته وشج وجهه عتبة بن أبي وقاص وشحه عبد الله بن شهاب الزهري في جبهته وجرح ابن قمعة وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها، ووقع في حفر القوم التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ علي بيده ورفع طلحة حتى استوى قائماً، ومص مالك والد أبي سعيد الخدري الدم من وجهه ثم ازدرده فقال المصطفى: «من مس دمه دمي لم تصبه النار، ومن أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي فليُنظر إلى طلحة» (٢)، ونزع أبو عبيدة إحدى الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت الأخرى، وكان سعد بن أبي وقاص يقول: ما حرصتُ على قتل رجل كحرصتي على قتل عتبة أخي، وقال المصطفى: «اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله» (٣)، وقال حين غشيه القوم: «من رجل يشتري لنا نفسه» فقام زياد أو عمارة بن السكن في خمسة من الأنصار فقاتلوا دونه حتى قُتلوا رجلاً رجلاً آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراح، فجاءت فئة من المسلمين فأزالوهم، فقال رسول الله ﷺ: «أذنوه مني» فأذنوه وخذه على قدم رسول الله ﷺ، وقاتلت أم عمارة يومئذ عنه هي ومصعب بن عمير حتى بلغت منها الجراح.

وترس دون رسول الله أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، ورمى سعد دون رسول الله ﷺ وهو يناوله النبل وهو يقول: «أرم فذاك أبي وأمي» (٤)، وأصيب عین قتادة بن النعمان فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه، ورمى أبو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم فوق في نحره فجاء رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ، وانتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقالوا: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد، قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، فوجدوا به بضعة وثمانين جراحة وكان غاب عن بدر فقال: إن أشهدي الله قتلاً ليرين الله كيف أصنع،

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس ؓ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٣٩)، وابن ماجه (١٢٥) من حديث جابر ؓ دون قوله: «من مس دمه دمي لم تصبه النار». وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٣٩١٥، ٥٩٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٧٦) من حديث ابن عباس ؓ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٥٥)، ومسلم (٢٤١٢).

فلما انكشف المسلمون قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني المشركين، وأعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، فلقبه سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة وأها لريحها، وكان أول من عرف رسول الله بعد الهزيمة، والحديث عن قتله كعب بن مالك قال: عرفتُ عينيه تزهران تحت المغفر فنادت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله، فأشار إلي أن انصت، فلما عرفه المسلمون نهضوا به ونهض بهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين، فلما اشتد في الشعب أدركه أيُّ بن خلف وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا، فقال القوم: أعطف عليه رجل منا، فقال: «دعوه» فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث وانتفض بها انتفاضة تطاير من حوله تطاير الشعر من ظهر البعير إذا انتفض، ثم طعنه في عنقه طعنة تدلى منها عن فرسه ماراً، فرجع وقد احتقن الدم وقال: قتلني محمد، قالوا: ذهب والله فؤادك إنه ليس بك بأس، قال: قد كان قال لي بمكة: «أنا أقتلك» فلو بصق علي لقتلني، وذلك أنه كان إذا لقي النبي بمكة يقول: عندي فرس أعلفه أقتلك عليه فيقول: «أنا أقتلك إن شاء الله» فمات بسرف وهم قافلون.

وقال المصطفى: «اشتد غضب الله على رجل قتل نبياً أو قتله نبي فسخاً لأصحاب السبعين»^(١)، ثم ملأ عليُّ درقته من المهراس فجاء بها إلى المصطفى ليشرب منه فوجد له ريحاً فغافه فلم يشرب وغسل عن وجهه الدم وهو يقول: «اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله»^(٢).

فبينما رسول الله بالشعب في أولئك النفر علت عالية من قریش الجبل فقال: «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا»^(٣)، فقاتل عمر ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة فلم يستطع أن يعلوها وكان قد بدّن بفتح الموحدة والمهملة وشدها أي أسن وظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة حتى نهض به واستوى عليها فقال: «أوجب طلحة» وصلى الظهر قاعداً من الجراح والمسلمون خلفه قعوداً.

وكان من خبر خيريق يومئذ وكان من أخبار يهود أنه قال لهم: علمتم أن نصر

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٦) بنحوه، وأحمد (٣٨٥٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: مسند أحمد (٢٦٠٤).

محمد عليكم لحق فتعللوا عليه بأنه يوم السبت فقال لهم: لا سبت لكم وأخذ سيفه وعدته فلحق به وقتل حتى قتل بعد أن قال: إن أصبت فأموالي لمحمد يصنع فيها ما شاء، وفيها قال المصطفى: «مخزيق خير يهود»^(١)، وغدر الحارث بن سويد وكان منافقاً لما التقى المسلمون والكفار بالجذر لأنه قتل أباه في الجاهلية، وبقيس بن زيد وفر إلى الكفار، ثم رجع إلى قومه بالمدينة، فنزل جبريل على المصطفى فأخبره بقدومه وأمره أن ينهض إليه ويقتص منه لمن قتله، فنهض المصطفى إلى قباء فخرج إليه أهلها في جماعتهم وفيهم الحارث وعليه ثوب مورس وأمر عويم بن ساعدة بضرب عنقه ففعل، وعاد ولم ينزل عندهم. ومثلت هند بالقتلى فاتخذت من أنوفهم وآذانهم قلائد.

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف صعد صخرة ثم صرخ بأعلى صوته انعمت فقال: إن الحرب سجال يوم بيوم بدر بأحد، أعل هبل فقال المصطفى: «قل له يا عمر: الله أعلى وأجل لا سواء فقتلانا في الجنة وقتلاك في النار».

وفي الصحيح^(٢) أن أبا سفيان قال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»، فقال: أفي القوم محمد، فقال: «لا تُجيبوه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة، أفي القوم ابن الخطاب فلما لم يجبه أحد قال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله قد أبقي الله لك ما يخزيك، قال: هلم يا عمر فقال المصطفى: «ائته فانظر ما شأنه» فجاءه فقال: أنشدك الله أقتلنا محمدًا قال: اللهم لا والله إنه ليسمع كلامك، قال: أنت أصدق من ابن قمئة، ثم نادى أبو سفيان أنه كان في قتلاك مثل والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت وما نhit وموعدكم بدر العام القابل، فقال المصطفى لرجل: «قل: نعم»، ثم بعث عليًا فقال: «اخرج في آثارهم فانظر ما يصنعون فإن كانوا جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، ولئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنجزهم» فرآهم جنبوا الخيل ووجهوا إلى مكة، وفزع الناس لقتلاهم فلم يجدوا قتيلًا إلا ومثلوا به غير حنظلة فإن أباه كان مع الكفار فقال المصطفى: «من رجل ينظر ما فعل

(١) انظر: تاريخ الطبري (٧٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

سعد بن الربيع في الأحياء أم في الأموات»، فقال رجل أنصاري: انظر، فوجده جريحاً في القتلى به رمق، فقال: أبلغ رسول الله مني السلام وقل له: يقول لك سعد جزاك الله عنا خيراً، وأبلغ قومك السلام وقل لهم يقول لكم سعد لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات، وخرج المصطفى يلتمس حمزة عليه السلام فوجده بقر بطنه عن كبده وكانت هند أكلتها فلم تسغها، ومثل به فجذع أنفه وأذناه فقال عليه الصلاة والسلام: «لولا أن تحزن صفة وتكون سنة من بعدي تركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمتلن بسبعين منهم» فلما رأى المسلمون حزنه وغيظه على ما فعل بعمه قالوا: لنمثلن بهم إن أظهرنا الله عليهم مثله ما مثل بها أحد فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَّقْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] الآية.

فعفا وصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة وقال حين وقف عليه: «لن أصاب بمثلك أبداً ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا رحمة الله عليك قد كنت علمتك فعولاً للغير وصولاً للرحم» ثم أمر فسجى ببرده، ثم صلى عليه فكبر سبعاً، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة ودفن؛ ويُقال إنه دفن معه في قبره عبد الله بن جحش وكان قد مثل به، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من يومه آخر النهار.

وذكر مالك في الموطأ^(١) أن السيل حفر قبر عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو ابن حرام وكان المصطفى دفنهما بقبر واحد لمصافاة بينهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن كذلك فأمیطت عنه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة.

وحين سمع المصطفى البكاء على القتلى بكى وقال: «لكن حمزة لا بواكي له» فأمر سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير نساءهما أن يتحرمن ثم يذهبن فيبكين عليه فلما سمع بكاءهن عليه قال: «رحم الله الأنصار فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة مروهن فليصرفن»^(٢)، وممر بامرأة أصيب زوجها وأخوها وابنها معه بأحد فلما نعو لها قالت: ما فعل رسول الله،

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٠٢٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٩١)، وأحمد في المسند (٤٩٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قالوا: خيراً هو كما تحيين قالت: كل مصيبة بعده جُلٌّ، ونادى مناد بين السماء والأرض لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وهو سيف رسول الله ﷺ أمر فاطمة أن تغسله ذلك الدم وقال: لقد صدقني اليوم وقال علي: «لا يصيب المشركون منا مثلهما حتى يفتح الله علينا».

وكان يوم أحد يوم بلاء أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة، ونزل من القرآن في شأن أحد ستون آية من آل عمران.

واستشهد يومئذ خمسة وستون رجلاً أربعة من المهاجرين وباقيهم من الأنصار، وقتل من الكفار اثنان وعشرون رجلاً، وقال ابن كثير: أكثر، فإن حمزة لم يُقتل حتى قتل أحد وثلاثين، وقاتل أبو دجانة وعلي وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة، ورمى طلحة وسعد بين يديه فما سقط لهما سهم إلا أصاب كافراً، وأنس بن النضر وسعد بن الربيع لم يُقتلا حتى قتلا خلقاً، فربك أعلم بعددهم. انتهى

الحادية عشرة غزوة حَمْرَاءِ الْأَسَدِ^(١): تأنيث أحمر مضافة إلى الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت الحليفة، سار النبي ثاني يوم أحد ونادى مناديه بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، وأذن لجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فخرج وكان تخلف عن أحد لوصية أبيه له، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وسار حتى وصل بحمراء الأسد ودفع لواءه وهو معقود لَمْ يَحِلْ إِلَى عَلِيٍّ أَوْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ إِظْهَارًا لِلْقُوَّةِ وَإِرْهَابًا لِلْعَدُوِّ وَلَقَالَا يَظُنُّوْنَ بِالْمُسْلِمِينَ الْوَهْنَ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَكَانَ يَوْقُدُ كُلَّ لَيْلَةٍ خَمْسَمِائَةَ نَارٍ حَتَّى تُرَى مِنَ الْبَعْدِ، وَذَهَبَ صَوْبَ مَعْسِكِهِمْ وَنِيرَانِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهِ، وَغَابَ خَمْسًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَرَّ بِهِ هُنَاكَ مَعْبِدُ بْنُ أَبِي مَعْبِدٍ الْخَزَاعِيُّ، وَكَانَتْ خِزَاعَةُ مُسْلِمِهِمْ وَكَافَرُهُمْ عِيبَةٌ نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَيْ: مَعْبِدٌ مُشْرِكٌ يَوْمَئِذٍ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ وَوَدْنَا أَنْ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ، وَتَوَجَّهَ فَلَقِيَ أَبَا سَفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ بِالرُّوحَاءِ وَقَدْ أَجْمَعُوا الرُّجْعَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ قَالَ: مُحَمَّدٌ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخْلَفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ وَنَدِمُوا وَبِهِمْ مِنَ الْخُنْثَى عَلَيْكُمْ مَا لَمْ أَرْ مِثْلَهُ، قَالَ: لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكُرَةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنِّي أَنُهَاكَ فَلَا أَرَى أَنْ تَرْحَلَ حَتَّى تَرَى نَوَاصِي الْخَيْلِ، فَفَنَى ذَلِكَ أَبَا سَفْيَانَ عَنِ الرُّجْعَةِ وَرَجَعَ.

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣٧/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٢).

الثانية عشر غزوة بني النضير^(١): بوزن أمير حي من يهود خيبر، وكانت في ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهراً من هجرته خرج فضلى ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، ثم أتاهم ليعينوه في دية العامرين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري في رجوعه من بئر معونة فأجابوه، وكان بينهم وبين المصطفى وبين بني عامر عهد فخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر فقالوا: اجلس يا محمد حتى تطعم وترجع بمجاحتك فجلس وأصحابه إلى ظل جدار من بيوتهم ينتظرون أن يصلحوا أمرهم، فابتدر عمرو بن جحاش ليلقي عليهم صخرة من أعلى الدار فنهاه ابن مشكم وقال: إنه لنقض للعهد، فأخبر بذلك من السماء فقام راجعاً إلى المدينة فلما استبطأه أصحابه قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر وأرسل إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره، وبعث إليهم أهل النفاق يثبوتهم ويعدونهم النصر وبعثوا إلى المصطفى أنهم لا يخرجون ولن قاتلهم ليقاتلونه، فأمر بالتأهب لحربهم واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة وسافر وعلي يحمل رايته فحاصروهم خمسة عشر يوماً وتحصنوا بالحصون فقطع نخيلهم وحرقها وخرّب بيوتهم، وكان بعض المنافقين أرسلوا يعدونهم بالقتال معهم فكف الله أيديهم وأيدي المنافقين وقذف في قلوبهم الرعب، فسألوا الجلاء والكف عن الدماء على أن لهم ما حملت الإبل من مالهم إلا الحلقة أي السلاح، فأجابهم فحملوا حتى كان الرجل يهدم بيته بيده فيأخذ بابه فيضعه على ظهر بعيره، فخرجوا إلى خيبر منهم ابن أبي الحقيق وحيي ابن أخطب.

ومنها من ذهب إلى الشام وتركوا مالهم لرسول الله خاصة ولم يسلم منهم سوى يامين بن عمير وأبي سعد بن وهب فأحرزا مالهما، وفي بني النضير نزلت سورة الحشر، وقبض ما فيها من السلاح خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وخرجوا على ستمائة بعير وقسمها بين المهاجرين بعد أن ذكر أن ذلك للأنصار، وخبّرهم بين قسمتها بينهم جميعاً أو تخصيص المهاجرين ويردوا عليهم أموالهم فرضوا به، ورد المهاجرون على الأنصار ما كانوا شارطوهم عليه من أموالهم، وأعطى رجلين منهما سهل بن حنيف وأبا دجانة لأههما ذكراً فقراً، وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق وكان سيف له ذكر.

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٤٣/٢)، وتاريخ الطبري (٨٣/٢).

وقدم حبي بن أخطب مكة يستنفرهم على رسول الله، وهنا نذكر قصة عمرو بن سعدى القرظي وذلك أنه مر على ديار بني النضير وهي بباب خراب ليس بها داع ولا مجيب، فرجع إلى بني قريظة فوجدهم بالكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال له الزبير بن باطا: أين كنت وكان يعهده لا يفارق الكنيسة قال: رأيت اليوم عبراً اعتبرت بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، والتوراة ما سلط الله هذا على قوم قط لله بهم حاجة، وقد أوقع قبل ذلك بابين الأشرف وبيني قينقاع فأجلاهم وكانوا أهل عدة وسلاح، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا ننبعه فإنكم تعلمون أنه نبي وبشرنا به نبينا، وأسكتوا فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد الكلام وخوفهم بالحرب والجلاء فقال كعب بن أسد: ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً، فأسلم هو.

الثالثة عشرة غزوة ذات الرقاع^(١): بكسر الراء جبل سميت به لأن فيه بقعاً حمراً وسواداً أو لترقيعهم راياتهم أو لكونهم لفوا أرجلهم بالخرق أو لأن صلاة الخوف كانت بها فسميت به لترقيع الصلاة فيها على ستة عشر نوعاً، وسببها أنه بلغه أن ثعلبة وأنماراً جمعوا الجموع، فخرج إليهم في أربعمئة أو سبعمئة واستخلف عثمان وأبا ذر في عشر خلون من المحرم سنة أربع، فوصلها فلم يجد إلا نسوة فأخذهن وهرب الرجال في رعوس الجبال، وحضرته الصلاة فخاف المسلمون إغارة الكفار عليهم فصلى بهم صلاة الخوف، وغاب خمسة عشر ليلة وعاد للمدينة، وقد اختلف في ترتيب هذه الغزوة وما قبلها فابن إسحاق وابن عبد البر على ما ذكره الناظم، وقَدَّم بعضهم بدر الموعد عليها.

الرابعة عشر غزوة بدر الموعد^(٢): وهي غزوة بدر الصغرى، وسببها قول أبي سفيان لَمَّا تفرقوا من أحد: الموعد بيدر رأس الحول فخرج المصطفى في ألف وخمسمئة ومعه عشرة أفراس وحمل لواءه علي المرتضى واستعمل على المدينة ابن رواحة، وخرجوا ببضائع وتجارات فसार حتى نزل بدرًا في هلال ذي القعدة وكان بها سوق يُقام من استهلاله إلى ثامنه، فأقام بها ثمان ليال ينتظر أبا سفيان وباعوا تجارتهم وربحوا للدرهم درهمًا، وخرج

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٤٦/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٤٥/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٠٩/٢).

أبو سفيان من مكة في ألفين حتى نزل بحر الظهران ويُقال: عسفان ومعه خمسون فرساً ثم بدا له فرجع زاعماً أنه عام جذب ولا يصلحهم إلا الحصب، وسماهم أهل مكة جيش السوق وقالوا: إنما خرجتم تشربون السوق، وأنزل الله في حق المؤمنين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْبَاقِي﴾ [آل عمران: ١٧٤]، قال الدمياطي: الفضل ما ربحوا في تجارتهم.

الخامسة عشر غزوة السجندل^(١): -بضم الدال وتفتح-، وهي ما بين الحجاز والشام وغزوها أول غزوات الشام وهي على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق وأثنى عشر من مصر، سميت بدومي بن إسماعيل كان نزلها، خرج إليها لخمس ليال من ربيع الأول على تسعة وأربعين شهراً من هجرته، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مرهم ويريدون المدينة فندب الناس واستخلف على المدينة سباع ابن عرفة وخرج في ألف يسير الليل ويكمن النهار، فنزل بساحتهم فوجدوهم تفرقوا وهربوا ووجد النعم فأصاب منها وبث السرايا فلم يصب أحداً غير رجل واحد وأسلم وأقام أياماً ثم رجع، ودخل المدينة في العشرين من ربيع الأول وفيها وادع عينة بن حصن.

السادسة عشرة غزوة الخندق^(٢): وتسمى غزوة الأحزاب وكانت في شوال أو في ذي القعدة، وذلك أنه لما جلا بني النضير خرج نفرٌ من وجوهم إلى مكة منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وابن أخطب وغيرهم من اليهود، فأتوا قريشاً ودعوهم إلى حرب المصطفى وعاهدوهم على قتاله وقالوا: نكون معكم عليه حتى نستأصله، ونشطوا قريشاً بزعمهم أن دينهم خير من دين محمد لما أقسم عليهم أبو سفيان أي الدينين خير فاجتمعوا، ثم جاءوا غطفان فكلموهم ووعدوهم بنصف تمر خيبر كل عام فخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدت اللواء بدار الندوة وحمله عثمان بن طلحة ومعهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير يقودهم أبو سفيان، ووافقهم بنو سليم بحر الظهران في سبعمئة يقودهم سفيان بن عبد شمس وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد، وغطفان في فزارة فأوعبت وهم ألف يقودهم عينة بن حصن، وأشجع وهم أربعمئة يقودهم مسعود بن ربيعة، وبنو مرة وهم أربعمئة يقودهم الحارث بن عوف، وخرج معهم غيرهم فكانوا عشرة آلاف وهم ثلاثة عساكر وعناج

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٤٧/٢)، وسيرة ابن هشام (٢١٣/٢).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٥٠/٢)، وسيرة ابن هشام (٢١٤/٢).

الأمر أي: ملاكه إلى أبي سفيان، فبلغ رسول الله ﷺ فندب المسلمين وشاورهم فأشار سلمان بالخذق ولم يكن من شأن العرب بل من مكائد الفرس، فعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح سلع وكانوا ثلاثة آلاف واستخلف ابن أم مكتوم ثم خندق على المدينة وعمل فيه بيده بضع عشرة ليلة وقيل أربعاً وعشرين.

وكان فيه من أعلام النبوة قصة الكدية التي شكوها إليه فتقل في ماء ونضحه عليها فعادت كالكتيب لا ترد فيها فأساً ولا مسحاً.

وفيها قصة الحفنة التي جاءت بها بنت بشير بن سعد لأبيها وخلها ابن رواحة فقال لها: هاتيه فصبت في كفه فما ملاء، ثم أمر بثوب فبسط ثم صرخ في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء فصدروا عنه وأنه ليسقط من أطراف الثوب.

وفيها قصة شويهة جابر حين دعا إليها المصطفى وحده فأمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا إلى بيت جابر، فسمى الله ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم أكل آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها^(١).

وفيها قصة سلمان حين غلظت عليه ناحية من الخندق فأخذ المصطفى المعول فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم أخرى فلمعت أخرى ثم الثالثة برقة ثم أخرى فلمعت أخرى فسأله سلمان فقال: «أما الأولى ففتح علي بها اليمن، وأما الثانية فالشام والمغرب، وأما الثالثة فالشرق»^(٢).

فلما فرغ من الخندق أقبلت قريش فنزلت بمجتمع الأسياال وجعل رسول الله ﷺ النساء والذراي في الآطام وجعل ظهر عسكره إلى سلع والخندق بينه وبين عدوه، ولواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة والأنصار بيد سعد بن عباد، فلا زالوا يتناوشون القتال، ثم مشى حبي بن أخطب إلى قريظة ولا زال بكعب بن أسد يقتل في الذروة والغارب وهو يقول له: إنك امرؤ مشعوم جئت والله بذل الدهر وجهام قد أحريق ماؤه يردد ويرق وليس فيه شيء ويحك ما حبي دعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء، فلا زال به حتى أعطاه عهداً أن يدخله في حصنه إذا رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً

(١) انظر: البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) انظر: سنن النسائي (٣١٧٦).

حتى يصيبه ما أصابه، فنقض كعب العهد وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ فأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج وابن رواحة وخوات بن جبير وقال: «انظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقاً فالحنوا إليّ لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس».

فوجدوهم على أبحث ما بلغهم عنهم، وشأته أحد السعدين فقال له الآخر: دع هذا فما بيننا وبينهم أربى من المشاقة، فأتوا المصطفى فقالوا: عضل والقارة أي: غدر وكفر، فقال المصطفى: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين».

فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ونجم النفاق حتى قال قائل: كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقصر وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، وأقام الكفار بضعا وعشرين ليلة لا حرب بينهم إلا الرمي بالنبل والحصا، وأراد نوفل بن عبد الله بن المغيرة أن يوثب فرسه الخندق فوق وقع وقته الله، فكبر ذلك على المشركين ودفعوا في جثته ليدفنوه عشرة آلاف فرده إليهم المصطفى وقال: «إنه خبيث الدية لعنه الله ولعن ديته»، ولبست فوارس من قريش للقتال منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة وضرار بن الخطاب فاقتحموا مضيقاً من الخندق فجالت خيلهم بين الخندق وبين سلع وخرج علي في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فقال عمرو: من يسار؟ فقال علي: أنا، فأعطاه المصطفى سيفه وعممه وقال: «اللهم أعنه عليه»، ويُقال: دعاه إلى الإسلام أو البراز فقال: لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال علي: لكني أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره، ثم أقبل على علي فتناولا وتجاوزا فقتله علي.

وفي غير هذه الرواية أنه طلب البراز وهو مقنع في الحديد فقال علي: أنا له يا رسول الله فقال: «اجلس إنه عمرو» ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخهم ويقول: أين جنتكم التي زعمتم، قال علي: أنا له يا رسول الله، قال: «اجلس إنه عمرو» ثم نادى الثالثة فقال علي: أنا له يا رسول الله، وإن كان عمراً، فأذن له فمشى إليه فقال عمرو: من أنت؟ قال: علي، قال: ابن عبد مناف، قال: ابن أبي طالب، قال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فأبني أكره أن أهريق دمك، قال: لكني ما أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً ثم التقيا فاستقبله

علي بدرقته فضربه عمرو فَقَذَّهَا وَأَثَبَتْ فِيهَا السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه علي ﷺ على جبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع المصطفى التكبير فعرف أن علياً قتل، وكان شعار الصحابة (حم لا ينصرون)، وكانت عائشة في حصن بني حارثة ومعها أم سعد بن معاذ فمر سعد وعليه درعٌ مقلصة وفي يده حربةٌ يرفل بها ويقول:

لَبِثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمْلٌ لَا بِأَسْ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فقال له أمه: الحق يا بني، ف قالت عائشة: يا أم سعد لوددت أن درع سعد كان أسيع مما هي، فرمي بسهم فقطع منه الأكحل رماه به ابن العروة، وقال: خذها وأنا ابن العروة، قال: عرق الله وجهك في النار، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقي لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تفر عيني من بني قريظة، وشغل رسول الله ﷺ عن العصرين والعشاءين فأقام لكل صلاة إقامة وقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى ملائكة الله قبورهم تاراً»^(١). ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً.

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أسلمتُ ولم يعلم قومي بإسلامي فمربي بما شئت قال: «إنما أنت رجل واحد فخذ عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة».

فأتى بني قريظة وكان لهم نديماً فقال: قد عرفتم ودي إليكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا: صدقت، قال: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم وبه مالكم ونسأؤكم وأبناءؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه، وقريش وغطفان بلدكم ونساءهم بغيره فإن رأوا هزة أصابوها وإلا لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم قالوا: أشرت بالرأي.

ثم أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه: عرفتم ودي لكم وقد بلغني أمر رأيت أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتبوا، تعلمون أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وأرسلوا إليه إنا نندمنا أفيرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فنضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم، فلا تدفعوا لليهود رجالاً

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) من حديث عليّ ﷺ.

واحدًا، ثم أتى غطفان فقال: إنكم أصلي وعشيرتي ولا أراكم تهتموني، ثم ذكر مثل ما قال لقريش وحذرهم، فأرسل أبو سفيان ورعوس غطفان إلى بني قريظة: إنا لسنا بدار مقام هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال لتناجز محمدًا قالوا: اليوم السبت ولا نعمل فيه ومع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا رهنا من رجالكم فإننا نخشى إن أضرمتم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل ببلادنا ولا طاقة لنا به، فقالوا: صدقنا نعيم فردوا إليهم: لا نعطيكم من رجالنا أبدًا فاخرجوا معنا وإلا فلا عهد بيننا وبينكم، فقال بنو قريظة: صدق نعيم، وخذل الله بينهم وبعث الله رجلاً عاصفاً فجعلت تقلب آيتهم وتكفى قدورهم ليلاً، فلما وصل إلى رسول الله ﷺ اختلافهم بعث حذيفة بن اليمان ليلاً ليأتيه بخبرهم فشق عليه ذلك حتى قال المصطفى: «قم يحفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا».

فأتاهم واستتر في غمارهم وسمع أبا سفيان يقول: ليتعرف كل منكم جلسه قال حذيفة: فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ قال: فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش ما أصبحتم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم ما نكره ولقينا من هذه الرياح ما ترون لا يثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار فارتحلوا فإني مرتحل، ووئب على جملة فما حل عقاله إلا وهو قائم، قال حذيفة: ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أن لا أحدث شيئاً لقتلته بسهم، ثم أتته فوجدته قائماً يصلي فأدخلني إلى رحله وطرح علي المرتط فأخبرته لما سلم فحمد الله؛ وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين. وأقام المصطفى بالخندق أربعة أو خمسة عشر يوماً ورجع إلى المدينة لسبع بقين من ذي القعدة وقال: «لن يغزوكم قريش بعد عامهم هذا ولكنكم تغزوهم» فكان كذلك.

فُرَيْظَةُ لِحَيَّانُ ثُمَّ ذُو قَرَدٍ ثُمَّ الْمُرَيْسِيُّ عَلَى الْقَوْلِ الْأَسَدُ
السَّابِعة عشرة غزوة بني قريظة^(١): بضم القاف وفتح الراء وبعد التحتية الساكنة ظاء معجمة، وكان من خيرهم أن المصطفى لما انصرف من الخندق إلى بيته وأصحابه وقد غمهم الحصار فوضعوا السلاح فأتاهم جبريل فقال: غفر الله لك إن الملائكة لم تضع

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٥٧/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٣٣/٢).

السلاح بعد، وإن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة فأني عامد إليهم فمزلزل بهم، فأذن بلال في الناس: (من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة)، وسار إليهم في ثلاثة آلاف يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، وقدم علياً برايته إليهم فابتدرهم الناس فسار حتى دنا من الحصون فقال: يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته، قالوا: يا أبا القاسم فما كنت جهولاً، وتلاحق الناس وحاصروهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم وفاءً بما عاهد عليه كعب ابن أسد، فلما أيقنوا بأن المصطفى مناجزهم أشار عليهم باتباعه لأنه النبي الذي يجدونه في كتابهم فيؤمنون على دمائهم وأموالهم فأبوا وقالوا: لا نفارق حكم التوراة، قال: فإذا أيتم على هذه فهل تقتل أبناءنا ونساءنا ونخرج إليهم لئلا يكون وراءنا ما نخاف عليه فأبوا وقالوا: لا خير في العيش بعدهم.

فقال: الليلة ليلة السبت وهم آمنون فخرج إليهم لتصيب منهم غرة فأبوا وقالوا: لا نحدث في سبتنا ما لم يحدث فيه من قبلنا، ثم طلبوا من المصطفى أبا لبابة ليستشيره فأرسله فلما رأوه قام إليه الرجال وجمعوا إليه النساء والأطفال يكون في وجهه فرقاً لهم، فقالوا: أترى أن ننزل على حكم محمد، قال: نعم وأشار بيده إلى حلقة إبهامه الذبح، فقال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفت أي خنت الله ورسوله، ثم انطلق حتى ربط نفسه بسارية في المسجد، وقال: لا أبرح حتى يتوب الله علي، وأقام كذلك تأتبه امرأته فتحله للصلاة ثم تربطه وأقام ست ليال لا يأكل ولا يشرب حتى نزلت توبته، ولما بلغ المصطفى قال: «لو جاءني استغفرت له لكن حيث فعل يصبر حتى يتوب الله عليه»، فلما نزلت توبته ببيت أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك قلت: مم تضحك، قال: «تاب الله على أبي لبابة»، فقامت على باب حجرتها فقالت: أبشر يا أبا لبابة فقد تاب الله عليك فثار الناس يبشرونه وأرادوا إطلاقه فأبى إلا أن يحله المصطفى فحله لما خرج للصبح.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتوائب الأوس فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت قريش في موالي إخواننا بالأمس ما علمت يعنون بني قينقاع حيث وبههم لعبد الله بن أبي لما سأله فيهم فقال المصطفى: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم سعد بن معاذ»، وكان جعله في خيمة بالمسجد ليعوده من قرب فأتاه قومه فحملوه على حمار ووطئوا له بوسادة من آدم وكان جسيماً ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم

يقولون: أحسن في مواليك فإن رسول الله إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من معه إلى بني عبد الأشهل يتغي رجال قريظة قبل أن يصل إليهم سعد لما سمع ذلك، فلما انتهى سعد إليهم قال المصطفى: «قوموا إلى سيدكم» فقاموا إليه وقالوا: قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيكم ما حكمت، قالوا: نعم، قال: وعلى من هنا في الناحية التي فيها المصطفى وهو معرض عنه إجلالاً له فقال المصطفى: «نعم»، قال: فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسي النساء والأطفال، وفي بعض الطرق أنه حكم بالديار للمهاجرين، فقال الأنصار: إخواننا كنا معهم، قال: أردت أن يكتفوا عنكم فقال المصطفى: «حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»^(١).

وقيل: إن علياً لمّا حمل على الحصن والزبير وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن الحصن، فقالوا: ننزل على حكم سعد فنخندق لهم موضعاً هو سوق المدينة اليوم وخرج بهم أرسالاً فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، وأبي بجي بن أخطب فضربت عنقه، وكانت ستمائة أو ثمانمائة، ووجدوا فيها ألفين وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس، ثم خست الغنائم ثم قسمت للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم وهو أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس وعلى سنته مضت قسمة الغنائم، وأسلم تلك الليلة ثعلبة بن سعية بالتحية وقيل: بالنون، وأسيد بفتح الهمزة بن سعية وأسيد بن عبيد وهم من هذل لا من قريظة ولا من النضير فأحرزوا دماهم وأموالهم، وضربت رقية امرأة من قريظة وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، فلما انقضى شأنهم انفجر لسعد ابن معاذ جرحه فمات واهتز العرش فرحاً بصعود روحه^(٢)، وفيه قيل:

وما اهتز عرش الرحمن من موت هالك سَمْعاً به إلا لسعد أبي عمرو

ونزلت سورة الأحزاب في شأن الخندق وبني قريظة، وكان الزبير -بفتح الزاي-

ابن باطا قد منّ على ثابت بن قيس في الجاهلية فجاءه ثابت فقال: أتعرفني، قال: وهل يجهل مثلي مثلك، قال: أردت أن أجازيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، ثم

(١) انظر: البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

ذكر ذلك ثابت للمصطفى فوهبه له فأتاه فأخبره فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة، فاستوهب ثابت من المصطفى امرأته فوهبه فأخبره فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم، فوهب رسول الله ﷺ لثابت ماله فأخبره فقال: ما فعل الذي كان وجهه مرأة مضيئة تتراعى فيها عذارى الحي كعب بن أسد، قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب، قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموال، قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة، قال: قتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عنك إلا ألحقني بالقوم فما في العيش بعدهم من خير فقدمه فضرب عنقه، وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً، واصطفى المصطفى لنفسه من نسائهم ريمانة بنت زيد وكانت في ملكه حتى مات عنها فاختارت بقاءها في ملكه على العتق والتكاح وقالت: هو أخف علي وعليك وقد توقفت في الإسلام، فوجد في نفسه من ذلك وعزها فبينما هو مع صحبه إذ سمع صوت نعلين خلفه فقال: «إن هذا لثعلبة يشربني بإسلام ريمانة»^(١)، فكان كذلك، فلما أسلمت سرُّ بذلك.

الثامنة عشرة غزوة بني لحيان^(٢): بكسر اللام وفتحها، أرخها ابن سعد في ربيع الأول سنة ست، وابن إسحاق في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة، وذلك أن المصطفى وجد على أهل الرجيع حبيب بن عدي وعاصم بن ثابت وأصحابيهما المقتولين بالرجيع وجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرةً وخرج في مائتي راكب حتى انتهى إلى منازلهم بقرب عسفان فوجدهم حذروا وتمنعوا في رعوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فلما أخطأه من غرهم ما أراد قال: «لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة» فجاء حتى نزل عسفان، ثم بعث أبا بكر في عشرة فوارس حتى بلغوا كراع الغميم ثم كروا فلم يلقوا أحداً، وراح رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة بعد غيبته أربعة عشر ليلة فسمعه جابر وهو يقول: «آيئون تائبون لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال»^(٣).

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٠٣/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٠٦/٤).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٦٠/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢٧٩/٢)، وتاريخ الطبري (١٠٥/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

التاسعة عشرة غزوة ذي قرد^(١): بفتح القاف والراء وحكى السهيلي ضمهما، على بريد من المدينة في طريق الشام، وذلك أن المصطفى لما قدم من بني لحيان لم يبق إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في أربعين فارساً من غطفان على لقاح المصطفى بالغابة وكانت عشرين وفيها أبو ذر ورجل من غفار وامرأته فقتلوا الرجل وأخذوا المرأة واللقاح.

وكان أول من نذر بكسر المعجمة أي: علم بهم سلمة بن الأكوع غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه، وسيفه، ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى خيولهم فصرخ: واصباحاه وهي كلمة يقولها المستغيث، ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان كالسبع حتى لحقهم فجعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٢)

أي: يوم هلاك الرضع وهم اللغام، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى وقال: خذها وأنا ابن الأكوع إلخ.. فيقول قائلهم: أويكنا هو أول النهار؛ بلغ رسول الله ﷺ صباح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: «الفزع يا خيل الله اركبي» وخرج مقتنعاً بالحديد فترامت الخيل إليه فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود، ثم عباد بن بشر، ثم سعد بن زيد الأشهليان، وفرسان، فلما اجتمعوا أمر عليهم سعد بن زيد هذا هو الأصح وقيل: المقداد، وقال: اخرج في طلبهم حتى ألحقك بالناس، وقال لأبي عياش الزرقني: لو أعطيت هذا الفرس أفرس منك يلحق، فقال: أنا أفرس الناس فضرب فما جرى سوى خمسين ذراعاً حتى طرحه، فعجب فأعطاه غيره، وكان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ويُقال له: قمبر فقتل ولم يقتل من المسلمين غيره، وقيل: قتل معه وقاص المدلجي، ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه ببردته، وقال الدمياطي: إنما قتله المقداد، وقتل أبو قتادة مسعدة الفزاري رئيس المسلمين؛ ثم أقبل رسول الله ﷺ في المسلمين فلما رأوا القتل مغشى بالبردة استرجع الناس وقالوا: قتل أبو قتادة، فقال المصطفى: «ليس به لكنه قتيل له وضع عليه بردته لتعلموا أنه صاحبه».

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٦٢/٢)، وتاريخ الطبري (١٠٥/٢).

(٢) انظر: البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦).

وأدر ك عكاشة بن محسن أوباراً وسماء ابن سعد أوثاراً مثلثة وابن عائذ إياراً - بكسر الهمزة - وابنه عمرو بن أوبار على بعير فانظمهما بالرمح فقتلهما واستنقذوا بعض اللقاح، وفي صحيح مسلم^(١) جميعها، وفيه عن سلمة بن الأكوع أنه طردهم وقال: ما زلت أرميهم فأعقرهم فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة فجلست فيها ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل رميتهم بالحجارة فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهور رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله أولهم الأخرم الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد فأخذت بعنان الأخرم فقلت: احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحقك الناس، فقال: إن كنت تؤمن بالله وتعلم أن الجنة والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عبيدة بن حصن فنفر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتبول على فرسه فلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فطعنه، وسار المصطفى حتى نزل بالجبل من ذي قرد.

قال سلمة: فحجته وهو على الماء وإذا بلال قد نحر ناقة ويشوي للمصطفى من كبدها وسانمها، فقلت: يا رسول الله خلني انتخب من القوم مائة فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، فضحك حتى بدت نواجذه في ضوء النهار وقال: «أترك كنت فاعلاً» قلت: نعم والذي أكرمك بالنبوة، قال: «إنهم الآن يقرون بأرض غطفان» وأقام يوماً وليلة يتجسس الخير وصلى بهم صلاة الخوف وقسم في كل مائة من صحبه جزوراً ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل: سبعمائة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وخلف سعد ابن عباد في ثلاثمائة يحرسون المدينة وبعث إلى رسول الله ﷺ بأحمال التمر وعشر جزائر فوافته بذي قرد وقال المصطفى: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجائنا سلمة»^(٢).

ورجع قافلاً وأردف سلمة خلفه على العضباء، وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل المصطفى فأخبرته الخبر وأنها نذرت إن نجها الله عليها أن تنحرها فتبسم وقال: «بئسما جزيتها»، وأخبرها بأنه لا نذر في معصية ولا فيما لا تملك، وأخذ ناقته وقال: «ارجعي إلى أهلك»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٦).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١٨٠٧).

(٣) انظر: صحيح مسلم (١٦٤١).

وذكر الزبير هنا معجزة وهو أن المصطفى نزل في هذه الغزوة على ماء فسأل عن اسمه فقيل: بيسان وهو مالخ، فقال: «بل هو نعمان وهو طيب» فغير رسول الله الاسم وغير الله الماء فاشتره طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به، وقال المصطفى: «ما أنت يا طلحة إلا فياض» فسمي طلحة الفياض.

العشرون غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق^(١): والمريسيع ماء لخزاعة من قولهم: رست عين الرجل إذا دمت من الفساد، والمصطلق مفتعل من الصلق وهو: رفع الصوت، بينها وبين الفرع نحو يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد، وهم بنو جذيمة بن سعد بطن من خزاعة. وسببها أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن أمكنه من العرب فدعاهم إلى حرب المصطفى فأجابوه وتبعوا للمسير معه، فبعث المصطفى بريدة بن الحصيب يعلم علم ذلك فلقى الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى المصطفى فأخبره، فأسرع الخروج إليهم وخرج معهم نفر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قبلها، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وكان معه فرسان لزاز والظرب، وبلغ الحارث ومن معه سيره فخافوا وتفرق من معهم، وانتهى المصطفى إلى المريسيع وهو الماء فضرب عليه قبته ومعه عائشة وأم سلمة، فتأهبوا للقتال وصف الرسول أصحابه ودفع راية المهاجرين لأبي بكر والأنصار لسعد بن عباد فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان.

وقتل عشرة منهم وأسر بقيتهم وسبي الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد فاحتبسوا على طلب الماء فنزلت آية التيمم، وغاب المصطفى ثمانية وعشرين يوماً، وكان شعار المسلمين يومئذ: يا منصور أمت أمت، وأصاب يومئذ رجل من الأنصار مسلماً من بني كلب فقتله ظاناً أنه من العدو، وازدحم في الواردة جهجاه الغفاري أجبر لعمر وسان بن وبر حليف الخزرج فاقتلا فصرخ أحدهما: يا معشر الأنصار، والآخر يا معشر المهاجرين، فغضب ابن أبي رأس المنافقين وقال: أَوْ قَدْ فعلوها نافرونا وكاثرونا في بلادنا ما أحدنا وجلايب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يا كلكل» لكن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٨٩).

على من حضره من قومه وفيهم زيد بن الأرقم ذو الأذن الواعية غلام حدث فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فمشى زيد إلى المصطفى فأخبره فقال عمر: مر به عباد ابن بشر فليقتله، قال: «كيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(١).

لكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن ليرتحل فيها، ومشى ابن أبي إلى المصطفى فحلف ما قلت وكان في قومه شريفاً عظيماً فقال من حضر من الأنصار: عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه حدباً على ابن أبي ودفعاً عنه، وجاء أسيد بن حضير فحى رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقال: يا نبي الله رحن في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها قال: «أما سمعت ما قال صاحبكم زعم أنه إذا رجع إلى المدينة أخرج الأعر الأذل»، قال: أنت تخرجه إن شئت هو والله الدليل وأنت العزيز ثم قال: ارفق به صلى الله عليه وسلم فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أن قد استلبته ملكاً، ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس وسار بهم يومهم وليلتهم فأصبحوا سائرين حتى آذقهم الشمس فهب ربح شديدة وخافوها، فأخبر المصطفى أنها لموت عظيم من الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد من عظماء يهود بني قينقاع وكان كهفاً للمنافقين قد مات.

ونزلت سورة المنافقين التي فيها ابن أبي ومن على مثل أمره، فأخذ المصطفى بأذن زيد بن أرقم فقال: «هذا الذي أوفى الله بأذنه» وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي فأتى وقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمربي أحمل إليك رأسه فلقد علمت الخرج ما بها أبر بوالده مني إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعي نفسي أنظر إلى قاتله يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال: «بل تترقب به ونحسن صحبته ما بقي معناه» فلما أراد دخول المدينة وقف عبد الله لأبيه وقال: لا تدخلها حتى تقرأ أنك الدليل ورسول الله ﷺ العزيز ويأذن لك رسول الله ﷺ في الدخول، فأذن فدخل فجعل بعد ذلك إذا أحدث أمراً كان قومه الذين يعاتبونه ويعنفونه، فقال المصطفى حين بلغه ذلك من شأنهم لعمر: «أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف» فقال عمر: قد علمت ولأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة.

(١) انظر: البخاري (٤٩٠٤، ٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤، ٢٧٧٢).

وفيهما سئل عن العزل فقال: «ما عليكم أن لا تعزلوا ما من نسمة كائنة إلا وهي كائنة»^(١) ثم أمر بالأسارى فكشفوا واستعمل عليهم بريدة، وجمعت الغنائم واستعمل عليها شقران مولاه، وجمع الذرية ناحيته، وكانت الإبل ألفين والشاء خمسة آلاف والسيبي مائتين.

وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك^(٢) في حق أم المؤمنين الحصان الرزان عائشة - رضي الله عنها-، وأصله أن المصطفى لما قرب إلى المدينة نزل منزلاً بات فيه بعض الليل ثم أذن بالرحيل فخرجت عائشة لحاجتها وفي جيبها عقد فيه جزع فانسل ولا تدري، فلما رجعت فقدته فذهبت تطلبه فشدوا هودجها على بعير لا يشكون أنما فيه، وانطلقوا فرجعت إلى العسكر وما فيه من داء ولا بحيب فتلفعت بجلابها واضطجعت إذ مر صفوان بن المعطل السلمي فوقف عليها فقال: إنا لله طعينة رسول الله، ولم تكلمه فقرب بعيره فقال: اركبي فركبته وأخذ برأسه فما أدرك العسكر حتى نزلوا فقال أهل الإفك ما قالوا.

وارتج العسكر وهي لا تعلم بشيء، فلما قدموا المدينة شكت وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وأبويها وأنكرت من المصطفى ما كانت تعهده من لطفه بها، وكان إذا دخل يقول: «كيف تيكم» ولا يزيد، فاستأذنته أن تمرض عند أمها فأذن، فلما نقهت بعد عشرين يوماً خرجت لحاجتها ومعها أم مسطح فعثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقالت عائشة: بئس لعمر الله ما قلت، قالت: أو ما بلغك الخير، فأخبرتها بما قال أهل الإفك، فما زالت تبكي حتى كاد البكاء يصدع كبدها فقالت أمها: أي بنية خففي عنك فقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن القول فيها.

وخطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وقال: «يا أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون غير الحق والله ما علمت عليهم إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي»، وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش لمكان أختها

(١) أخرجه البخاري (٤١٣٨)، ومسلم (١٤٣٨).

(٢) انظر القصة في: البخاري (٢٦٦١) وغير موضع، ومسلم (٢٧٧٠).

عند رسول الله ﷺ فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكمهم أو من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك فإنهم لأهل لأن تضرب أعناقهم، فقام سعد بن عبادة فكانت بينهما مقالة حتى كاد يكون بين الحيين شر، هذا هو الصحيح لا ما ذُكر أنه سعد بن معاذ فإنه كان مات.

ونزل المصطفى فدعا علياً وأسامة فاستشارهما فأثنى أسامة خيراً وقال: هذا كذب وباطل، وقال علي: النساء كثير وسل الجارية فإنها تصدقك، فدعا المصطفى بريرة وقام علي يضربها ضرباً شديداً ويقول: اصدقني رسول الله فتقول: لا أعلم إلا خيراً ولا أعيب عليها إلا أني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام فتأتي الداجن فتأكله، ثم دخل رسول الله ﷺ عليها فقال: «يا عائشة إن كنت ألمت بذنب فتوبي إلى الله فإنه يقبل التوبة عن عباده».

قالت: فما هو إلا أن قال ذلك وقلص دمعي وانتظرت أبوي أن يجيبا فلم يتكلما، وأثم الله لأننا كنت أحقر في نفسي من أن يُنزل الله في قرآنًا يُقرأ به ويصلى به، وكنت أرجو أن يرى المصطفى في منامه ما فيه براءتي، وما أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، فما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه ما كان يتغشاه فسجى بشوبه، ثم سرى عنه فجلس وأنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق ويقول: «أبشري يا عائشة قد أنزل الله براءتك»، قلت: بحمد الله لا بحمد أحد غيره.

وفي الطبراني^(١) أن أبا بكر دخل وعندها رسول الله ﷺ فقال: ما تنتظر بهذه التي خانتك وفضحتني فما كان غير يسر حتى نزل الوحي وجاء عذرها من السماء، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما نزل من القرآن، ثم أمر بمسطح وحمنة وحسان بن ثابت وكان ممن أفصح بالفاحشة فحدوا، ولما نزلت الآيات حلف أبو بكر أن لا يُنفق على مسطح ولا ينفعه أبداً فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٢٢] الآية فرجع إليه نفقته، ثم ظهر أن ابن المعتل كان حصواً لا يأتي النساء ومات شهيداً. انتهى.

ثم هذا القول من كون قريظة بعد الخندق ثم لحيان ثم ذو قرد ثم المريسيع، هو القول الأقوى الأسد الأصح من أقوال أهل السير، ووراء ذلك أقوال آخر لا يليق بإيرادها بهذا المجموع الموجز المختصر.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٢٧١).

ثُمَّ تَلِيَهَا عُمَرُو الْحُدَيْيَةِ فَخَيَّرَ فَعُمَرُو الْقَضِيَّةِ

الحادية والعشرون عمرة الحديبية^(١): وهي تلي المصطلق عدها بعضهم من الغزوات، خرج إليها في ذي القعدة سنة ست معتمراً لا يريد حرباً واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب وساق الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس في حربه وليعلم الناس أنه خرج زائراً للبيت معظماً له، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: قريش سمعت بك فخرجوا معهم العوذ المظافل قد لبسوا جلود النمر ونزلوا بذئ طوى وتجاهدوا أن لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد ابن الوليد في خيلهم قدموها إلى كراع الغميم، فقال المصطفى: «يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين أو قاتلوا وبهم قوة، فما تطلب قريش فوالله لا زلت أجاهد على ما بعثت به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة»^(٢).

فسار حتى إذا سلك ثنية المراد بركت ناقته فقالت الناس نحأت فقال: «ما نحأت وما هو لها بخلق لكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»^(٣).

فلما اطمأن آتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فسأله ما جاء به، فأخبرهم أنه لم يأت لحرب بل زائراً فرجعوا لقريش فقالوا: إنكم تعجلون على محمد إنه لم يأت لقتال فاتهمهم وجبهوهم وقالوا: وإن كان لا يريد قتالاً لا يدخلها عنوة أبداً، ثم بعثوا إليه بكرز بن حفص أخي بني عامر فلما رآه مقبلاً قال: «هذا رجل غادس» فكلمه فقال له نحواً مما قاله لبديل فرجع إلى قريش فأخبرهم، ثم بعثوا إليه الخليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش فلما رآه قال: «هذا من قوم يتباهون فابعثوا الهدي في وجهه ليراه» فلما رآه في قلاته رجع إلى قريش ولم يصل إلى المصطفى إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٧٢)، وسيرة ابن هشام (٢/٣٠٨)، وتاريخ الطبري (٢/١١٥).

(٢) انظر: مسند أحمد (١٨٤٣١).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٢٧٣٤).

له: اجلس إنما أنت أعربي لا علم لك، فغضب فقال: ما على هذا حالناكم ولا عليه عاهدناكم أبصد عن بيت الله من جاء معظماً له والذي نفسي بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء به أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد فقالوا: كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما ترضى به.

ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي فأثاه فقال: يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها بهم إنها قريش ليسوا جلود النمر متعاهدين لا تدخلها عنوة أبداً، وأيم الله كأي هؤلاء قد انكشفوا عنك فرد عليه أبو بكر وقال: أنحنُ ننكشف عنه، ثم جعل عروة يتناول لحية المصطفى وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه في الحديد فجعل يقرع يده ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا نصل إليك فيقول عروة: ما أظنك وأغلظك، فتبسم المصطفى فقال: من هذا يا محمد قال: «ابن أخيك المغيرة»، قال: أي غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس يريد أن المغيرة كان قد قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة فودي عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح الأمر، وكلم رسول الله ﷺ عروة بنحو ما كلم أصحابه فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا تسقط منه شعرة إلا أخذوها، فرجع فقال: يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه فما رأيتُ ملكاً قط كمحمد في أصحابه.

رأيتُ قومًا لا يسلمونه أبداً فرؤوا رأيكم، ودعا رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي فحمله على بعير وبعثه لقريش يبلغ أشرافهم ما جاء به، ففعلوا بغيره وأرادوا قتله فمنعه الأحاييش، وبعث قريش خمسين رجلاً طافوا بالعسكر ليصيبوا منهم أحداً فأخذوا فخلى المصطفى سبيلهم، ثم دعا عمر ليعثه إلى مكة فقال: أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريشاً عداوتي إياها وغلظتي عليها، وأدلك على رجل أعز بها مني عثمان، فبعثه فلقية أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة فجعله بين يديه ثم أحاره، وقال: أقبل وأدبر ولا تحف بنو سعيد أعزة الحرم.

فأتى عظماء قريش فبلغهم الرسالة فقالوا: إن شئت أن تطوف فطف، قال: ما أفعل حتى يطوف رسول الله، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ المصطفى أنه قتل فقال: «لا نبرحُ

حتى نناجز القوم» ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعهم على الموت، ثم بان أن قتل عثمان باطل، ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو فلما رآه مقبلاً قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا» فتكلم فأطال وتراجعا ثم جرى الصلح على أن يرجع عنهم عامهم، فوثب عمر رضي الله عنه حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: أليس برسول الله؟ قال: بلى قال: ألسنا بالمسلمين وهم بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، قال: يا عمر الزم غرزه فأنا أشهد أنه رسول الله، قال: وأنا، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ذلك فقال: «أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره» ثم دعا علياً، فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: لا أعرف الرحمن اكتب باسمك اللهم فقال المصطفى: «اكتب» فكتبها ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله» قال: لو شهدنا أنك رسول الله لم نقاتلك اكتب اسمك واسم أبيك قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو».

واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، ومن أحب أن يدخل في عهد محمد دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل، فتوالت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد، وبنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وإن ترجع عنا عامك فإذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها بصحبك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها، وقد كان الصحابة يخرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤية رآها المصطفى فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخلهم أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فقام المصطفى إلى هديه فتحره ثم حلق رأسه وأهدى عامئذ في هداياه جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة ليغيظ المشركين، فلما رآه الناس نحر وحلق فعلوا كذلك فكان صلح الحديبية فتحاً قريباً أمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا وتفاوضوا الحديث فدخل الإسلام في تلك السنتين مثلما كان فيه قبل أو أكثر بدليل أنه خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف ونزل في شأن ذلك سورة الفتح بين الحرمين، والقصة فيها طول وفي هذا القدر كفاية.

الثانية والعشرون غزوة خيبر^(١): لما قدم من الحديبية مكث بالمدينة ذي الحجة وبعض الحرم سنة سبع، ثم خرج فيه إلى خيبر غازيًا وهي بلد بينها وبين المدينة ثلاثة أيام، ذات حصون أعظمها يُسمى القموص وهو الذي فتحه علي وخلع بابه فدفع اللواء إلى علي وسار حتى نزل بساحتهم ليلاً فلم يصح لهم تلك الليلة ديك، وكان إذا غزا قومًا لم يغز عليهم حتى يصبح فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار، فبات فلم يسمع أذانًا فركب فخرج عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوا الجيش قالوا:

محمد والخميس، سمي الجيش خميسًا لأنه خمسة أقسام: ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة، وقلب، ثم أدبروا هربًا فقال المصطفى: «الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» وفرّق الرايات ولم تكن إلا يومئذ وإنما كانت الأولوية وكانت رايته سوداء من برد لعائشة، وتحصنوا في الحصون فدنا رسول الله ﷺ يفتتحها حصنًا حصنًا فكان أول حصونها افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه صخرة، ثم القموص حصن ابن أبي الحقيق وأصاب منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب فاصطفاها لنفسه، وكان بلال هو الذي جاء بها وبأخرى معها، فمر بهما على القتلى فلما رأهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها فقالت لبلال: أنزعت منك الرحمة حين تمر بهما على قتلى رجالهما، وكانت صفية رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع أن قمرًا وقع في حجرها فذكرته لزوجها فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمد ولطمها.

وعرّس المصطفى بها في الطريق في قبة فبات أبو أيوب الأنصاري متوشحًا بالسيف يجرسه فلما أصبح رآه المصطفى فقال: «ها لك؟» قال: خفت عليك من امرأة قتلت أباهما وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر، وأتي بكنانة بن الربيع وكان عنده كثر ليهود بني النضير فسأله فجحده فقال للزبير بن العوام: عذبه وكان يقده بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ ل محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين فنهاهم عن أكل الحمر الأهلية وعن إتيان الجبالى وقال: «لا يحل لامرء يؤمن بالله أن يسقي ماءه زرع غيره».

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٨١/٢)، وفتح الباري (٤٦٣/٧).

ثم انتهى إلى حصنهم الوطيح والسلام وكان آخر الحصون افتتاحاً فحاصروهم بضع عشرة ليلة وخرج مرحب من حصنهم قد جمع سلاحه ونادى: من يبارز، ويرتجز:

قد علّمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطلٌ مُجربٌ
أطعن أحياناً وحيثاً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب

فقال المصطفى: «من لهذا؟»، قال محمد بن مسلمة: أنا، قال: «قم إليه اللهم أعنه عليه»، فبرز كل منهما لصاحبه فحمل مرحب على محمد فاتقاه بدركته فرفع سيفه فيها وضربه محمد فقتله، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وقال: من يبارز، فخرج إليه الزبير فقالت أمه: يقتل ابني يا رسول الله قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله» فقتله، ثم اشتد الحصار فقال المصطفى: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فيفتح على يديه ليس بفرا»، فدعا علياً وهو أرمد فتقل في عينيه ثم قال: «خذ هذه الراية فامض حتى يفتح الله على يدك»^(١) فخرج يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع يهودي فقال: من أنت؟ قال: علي، قال: علوتم وما أنزل على موسى، فخرج إليه أهله فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يديه فتناول باباً عند الحصن فتتس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، فاجتمع ثمانية نفر على أن يقلبوا ذلك الباب فما أمكنهم، ثم حاصر أهل الوطيح والسلام حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ففعل، فسمع بذلك أهل فدك فسألوه في ذلك ففعل، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوه أن يعاملهم في الأموال على النصف فصالحهم عليه على أن إذا شئنا إخراجكم أخرجناكم، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين وكانت فدك خالصة للمصطفى لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فلما اطمأن أهدت له زينب امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وسمتها فلاك منها قطعة ولم يسغها ومعه بشر بن البراء فلاك مضغة فأساغها، ثم قال المصطفى: «إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم»^(٢) ثم دعا بها فاعترفت وقالت: قلت: إن كان ملكاً استرحنا منه وإن

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٩)، ومسلم (٢٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في فقه السيرة (ص ٣٤٧).

كان نبياً فستخبره فتجاوز عنها، ومات بشر، واحتجم المصطفى يومئذ على كاهله ثم بقي بعدها ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه قال: «هذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم»^(١) فكانوا يرون أنه مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة.

ولما فرغ من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي ثم رجع إلى المدينة. الثالثة والعشرون غزوة القضية^(٢): وتسمى عمرة القضاء وعمرة الصلح وعمرة الأمن، وذكرت في الغزوات لتضمنها ذكر الصلح مع المسلمين، فخرج في ذي القعدة مستهل الشهر الذي صده فيه المشركون فهي سنة سبع ولم يتخلف ممن شهد الحديبية أحد، فلما سمع به أهل مكة نفرت أشرافهم إلى البوادي كراهة أن ينظروا إليه غيظاً وحنقاً ونفاسة، وتحدث قريش أن محمداً وصحبه في جهد وشدة وصفوا عند دار الندوة لينظروا إليهم فاضطجع المصطفى بردائه وأخرج عضده اليمنى وقال: «رحم الله امرأاً أراهم اليوم من نفسه قوة» ثم استلم الحجر ثم هرول حتى إذا وراه البيت منهم مشى حتى استلم الركن، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى في سائرهما ودخل مكة وابن رواحة يرتجز بين يديه:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمنٌ بقبيله أعرف حق الله في قبوله

وكان بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب يخاطب ميمونة بنت الحارث الهلالية فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها منه، ثم قضى نسكه وأقام بمكة ثلاث ليال فلما أصبح الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وقالوا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت من أرضنا فقال سعد بن عباد: كذبت ليست بأرضك ولا أرض أهلك لا يخرج إلا راضياً، قال المصطفى: «ويحك يا سعد لا تؤذ قومًا زارونا في رحالنا»، ثم قال: «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً» قالوا: لا حاجة لنا بطعامك اخرج عنا، فأذن بالرحيل وخلف أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بها بسرف وقد لقيت ومن معها عناءً وأذى من سفهاء الكفار وصبيانهم، فبني بها بسرف ثم أدلج فسار حتى قدم المدينة.

(١) التخريج السابق نفسه.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٩٢/٢)، وفتح الباري (٤٩٩/٧).

فَفَتَحُ مَكَّةَ حُنَيْنٌ وَتَلَا غَزَاةً طَائِفٌ تَبُولًا قَاتِلَا
 مِنْهَا بِتَسْعٍ أَحَدٌ وَالْخُنْدُقُ بَدْرَ بَنِي قَرِيظَةَ الْمِصْطَلِقِ
 خَيْرٌ وَالْفَتْحُ حُنَيْنٌ طَائِفٌ وَقَدْ حَكَّوْا عَنْ قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ
 بِأَنَّهُ قَاتِلٌ فِي التَّنْظِيرِ وَغَابَةَ وَادِي الْقُرَى الْمَشْهُورِ

الرابعة والعشرون فتح مكة^(١): في رمضان سنة ثمان، وسبب ذلك نقض قريش بإعتاقهم بني بكر الذين دخلوا في عقدهم وعهدهم على خزاعة الذين دخلوا في عهد المصطفى وعقده، فناصرهم سرًا حتى قتلوا منهم رجالاً فجاء عمرو بن سالم الخزاعي وبديل بن ورقاء إلى المدينة وأخبراه بمظاهرة قريش بني بكر عليهم وإحابتهم إلى مناصرتهم، ثم قدم أبو سفيان المدينة ليشد العقد وي زيد في المدة فدخل على بنته أم حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فطوته فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، فقال: لقد أصابك بعدي شر، ثم خرج فلقي المصطفى فكلمه فلم يرد عليه، فكلّم أبا بكر أن يكلم المصطفى فقال: ما أنا بفاعل، فكلّم عمر فقال: أنا أشفعُ لكم!! والله لو لم أجد إلا الدرة لجاهدتكم بها، فدخل على علي وعنده فاطمة وابنتها حسن فقال: يا علي أنت أمسّ القوم بي رحماً جئت في حاجة وذكرها قال: لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه، فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر قالت: ما بلغ ابني أن يجبر، قال: يا أبا الحسن قد اشتد الأمر فانصحي قال: ما أعلم شيئاً يغني عنك لكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، فقام فقال: أيها الناس قد أجزت بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق، فلما قدم مكة أخبرهم قالوا: فهل أجاز لك محمد؟ قال: لا، قالوا: فما يغني عنك ما قلت، قال: ما وجدت غير ذلك.

وأمر المصطفى الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على عائشة وهي تحرك تصلح بعض الجهاز، قال: أين تريه يريده؟ قالت: لا أدري، ثم أعلم الناس أنه قاصد مكة وأمرهم بالجد ثم قال: «اللهم خذ الأخبار والعيون عن قريش»، ثم خرج في عشرة آلاف وقيل: في اثني عشر حتى نزل بحر الظهران، وعميت أخباره على قريش فلا يأتيهم

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٠٢/٢)، وفتح الباري (٥١٩/٧).

عنه خير، وخرج في تلك الليلة أبو سفيان وحكيم بن حزام يتجسسان الأخبار وكان العباس لقي المصطفى بالطريق مهاجرًا بعياله من مكة إلى المدينة قال العباس: فلما نزل مر الظهران قلت: واصباح قريش إن دخل مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاكهم إلى آخر الدهر، فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرج لعله يجد بعض الخطابة تأتي مكة فيخبرهم وإذا هو يسمع كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء خرجا وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرًا قط، فقال العباس: أبا حنظلة قال: يا أبا الفضل ما لك؟ قلت: هذا رسول الله واصباح قريش، قال: فما الحيلة، قلت: إن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب على عجز هذه البغلة لآتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك، فركب فجئت به كلما مر بنار قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا البغلة قالوا: عم رسول الله على بغلته، حتى مررت بنار عمر فلما رأى أبا سفيان قال: عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدواب الرجل، فدخلت عليه ودخل عمر فقال: هذا أبو سفيان اضرب عنقه، قلت: يا رسول الله إني أجرتة، فقال: «اذهب به إلى رحلك فإذا أصبحت فانتفي به» فغدوت به فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله»، قال: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئًا بعد، قال: «ألم يأن لك أن تعلم أي رسول الله»، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك أما هذه ففي نفسي منها شيء حتى الآن فقال له العباس: أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم، فقال العباس: يا رسول الله إنه رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فذهب لينصرف فقال المصطفى: «يا عباس احبس بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها» ففعل فمرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فيقول: سليم، فيقول: ما لي وسليم، ثم تمر قبيلة فيقول: من هذه؟ فيقول: مزينة، فيقول: ما لي ولزينة، حتى نفدت القبائل فمر المصطفى في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: من هؤلاء؟ قال: رسول الله في المهاجرين والأنصار، قال: يا أبا الفضل قد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، قال: إنها النبوة، قال: فنعم إذا الحق إلى قومك، فجاء فصرخ بأعلى صوته: هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت

بلحيته وقالت: اقتلوا الشيخ الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم، قال: لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، ولما انتهى المصطفى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة بردة حمراء وأنه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى إن عثونه يكاد يحس واسط الرحل، فلما دخل مكة دخل المسجد فأتاه أبو بكر بأبيه يقوده فقال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتية» فقال: هو أحق أن يمشي إليك، فمسح صدره وقال له: «أسلم» فأسلم، ورأى كأن رأسه ثغامة فقال: «غبروا هذه بشيء»^(١).

وأمر رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى الزبير أن يدخل بمن معه من كدى، وكان على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عباد أن يدخل من كدى فذكروا أن سعداً قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمه، فسمعها عمر وغيره فقالوا: يا رسول الله ما نأمن أن يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي: «خذ الراية فادخل بها»، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وكان على الميمنة فدخل من أسفل مكة فلقية بنو بكر فقاتلوه فقتل منهم نحو عشرين وانهمزوا، وارتفعت طائفة على الجبل وتبعهم المسلمون بالسيوف، ولما علا المصطفى بنفسه كدى نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال: «ألم أنه عن القتال؟».

فقال المهاجرون: نظن أن خالداً قُتِلَ وبُدئ بالقتال فلم يكن بُدٌّ من أن يُقاتل من قاتله وما كان ليعصيك، وكان المصطفى عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم لكنه أمر بقتل نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح وكان أسلم وكسب الوحي ثم ارتد، ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاع فغيبه حتى أتى به المصطفى فاستأنه له فسكت طويلاً ثم قال: «نعم»، فلما انصرف قال لمن حوله: «لقد صمْتُ ليقوم عليه أحدكم فيضرب عنقه؟» قالوا له: هلا أوأمت لنا قال: «إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين»^(٢)، ومنهم عبد الله بن خطل كان مسلماً فارتد فقال: «اقتلوه وإن تعلق بأستار الكعبة» فقتلوه، ومنهم الحويرث بن نفيل كان يؤدي المصطفى بمكة،

(١) انظر: مسند أحمد (٢٦٤١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٥٩)، والسنائي (٤٠٦٧)، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٢٤٢٦).

ولما حمل العباس فاطمة وأم كلثوم ابنتي المصطفى من مكة يريد بهما المدينة نخس بهما الحوirth فرمى بهما إلى الأرض فقتله علي يوم الفتح، ولما أناه خالد قال له: «قد هُيتك عن القتال؟» قال: هم بدءونا ووضعوا فينا السلاح وقد كفت يدي ما استطعت قال: «قضاء الله خير».

وفر صفوان بن أمية عامداً للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامداً لليمن فقال عمير بن وهب: يا بني الله صفوان سيد قومه وقد خرج ليقذف نفسه في البحر فأمنه فإنك أمنت الأحمر والأسود قال: «أدرك ابن عمك فهو آمن»، فأدركه قال: هذا أمان قد جئت بك به قال: اغرب عني لا تكلمني، قال: أي صفوان ابن عمك عزه من عزك وشرفه من شرفك قال: أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذلك، فرجع معه إليه فقال صفوان: هذا يزعم أنك أمنتني قال: «صدق»، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين قال: «أربعة أشهر» وأقبلت زوجة عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فاستأمنته له فأمنه فأقبل معها فأسلم، فوثب به رسول الله ﷺ فرحاً به، وأتته أم هانئ أخت علي وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة بنته تستره بثوبه، فلما اغتسل صلى ثمان ركعات من الضحى ثم قال: «مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك؟» فقالت: نفر إلي رجلان من أحمائي فقال أخوي لأقتلنهما فقال: «أجرنا من أجرت يا أم هانئ»^(١).

فلما اطمأن الناس جاء البيت فطاف سبعاً على راحلته يستلم الحجر بمحجنه، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح فدخلها ثم وقف على بابها فقال: «لا إله إلا الله صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس لآدم وآدم من تراب»^(٢) ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣] الآية.

ثم قال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ثم جلس بالمسجد فقام علي بن أبي طالب ومفتاح

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٣٣٦).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١٦١/٢).

الكعبة بيده فقال: اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال: «أين عثمان بن طلحة» فجاء فقال: «هذا مفتاحك اليوم يوم وفاء وبر»^(١)، وكان حول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فلما طاف جعل يشير بقضيب في يده إليها وهو يقول: «جاء الحق وزهق الباطل» فما أشار لصنم إلا وقع لفقاه، ولما دخل الكعبة أمر بلالاً أن يؤذن وكان دخل معه وأبو سفيان وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة وقال عتاب: قد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا، وقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق ما تبعته، وقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصة، فخرج إليهم المصطفى فقال: «علمت ما قلت» ثم ذكر لهم ذلك فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد، ثم قام على الصفا يدعو وقد أحذقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم: أترون إذا فتح الله عليه بلده يقيم بها، فلما فرغ قال: «ها قلت» قالوا: لا شيء فلم يزل حتى أخبروه، فقال: «معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم»^(٢)، ثم أقام بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة وكان فتحها صلحاً عند الشافعي وعنوة عند أبي حنيفة، وقيل: أعلاها كان صلحاً وأسفلها كان عنوة.

الخامسة والعشرون غزوة حنين^(٣): واد بقرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال أو غير ذلك، والأغلب عليه التذكير لأنه اسم ماء وربما أنشؤه نظراً إلى أنه اسم للبقعة، سمي بحنين بن قانية بن مهلايل.

وسببها أنه لما سمعت هوازن بفتح مكة جمعها مالك بن عوف النصري واجتمع عليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت مضر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير لا شيء فيه إلا التيمن برأيه ومعرفته، وجماع الناس إلى مالك بن عوف، فلما أجمع السير إلى المصطفى حط مع الناس ما لهم ونساءهم وأطفالهم، فلما نزلوا بأوطاس وفيهم دريد في شجار له تقاد به قال: بأي واد أنتم، قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهس ما لي أسمع رغاء البعير

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥١٧/١) وعزاه لابن إسحاق.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٨٠/٥).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (١١٤/٢)، وسيرة ابن هشام (٤٣٧/٢).

ونفاق الحمير وبكاء الصغير، قالوا: ساق مالك مع الناس ذلك، فقال: أين مالك؟ فدعى له فقال: إنك أصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده ما لي أسمع رغاء البعير إلخ، قال: اجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاقل عنهم، قال: وهل يرد المنتهزم شيء إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه أو عليك، فضحت في أهلك ومالك يا مالك، إنك لم تصنع بتقدم بيضة هوازن إلى نخور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعلى قومهم ثم ألق الصبا على متون الخيل فإن كان ذلك حق بك شيء من وراءك أو عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا أفعل إنك كبرت وخرفت لتطيعني يا معشر هوازن أو لأنك كنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي فأطاعوه، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده يا ليتني فيها جذع، ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم احملوا حملة رجل واحد.

ثم لما أجمع المصطفى السير إليهم ذكر له أن عند صفوان أدرعاً وسلاحاً وهو يومئذ كافر فقال: «يا أبا أمية أعرونا سلاحك»، فقال: أغصباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة»^(١) فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله المصطفى أن يكفيه حملها ففعل، ثم خرج عامداً لحين معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من الذين فتح الله بهم، وذكر أن المصطفى قال حين رأى كثرة من معه من جنود الله: «لن تغلب اليوم من قلة»، واستعمل المصطفى على مكة عتاب بن أسيد أميراً على من تخلف من الناس، فلما خرج خرج معه أهل مكة ركباً ومشاة حتى النساء على غير دين نظاراً يرجون الغنائم ولا يكرهون أن تكون الصدمة بالمصطفى وصحبه، فاستقبلوا وادي حنين في عمية الصبح وكان القوم سبقوهم إليه فكمّنوا في شعابه وأجنابه ومضايقه حتى تأهبوا فخرجوا عليه وقد شدوا شدة رجل واحد، فائتمر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز المصطفى ذات اليمين ثم قال: «أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله ابن عبد المطلب» فانطلق الناس إلا أنه بقي مع المصطفى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابن عمه أبو سفيان بن الحارث الذي أسلم قبيل دخول المصطفى للفتح والفضل بن عباس وربيعة بن الحارث وأسماء.

(١) انظر: مسند أحمد (٢٧٠٨٩).

فلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ وَرَأَى مِنْ كَانَ مَعَ الْمُصْطَفَى مِنْ حِفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الْهَزِيمَةَ تَكَلَّمُوا بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّعْنِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَإِنْ الْأَزْلَامُ مَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَا بَطَلَ السِّحْرُ الْيَوْمَ، فَقَالَ لَهُ صَفْوَانٌ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ كَافِرٌ: اسْكُتْ فَضَّ اللَّهُ فَكَ فَلَانٌ يَرِينِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرِينِي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ، وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَكَانَ أَبُوهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ: الْيَوْمَ أَدْرِكُ ثَأْرِي أَقْتُلُ مُحَمَّدًا قَالَ: فَأَرَدْتُ قَتْلَهُ فَأَقْبَلَ شَيْءَ حَتَّى تَغْشَى فُؤَادِي فَلَمْ أَطِقْ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنِّي مُنْعَوٌّ مِنْهُ.

فَقَالَ الْمُصْطَفَى^(١) وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ لِلْعَبَّاسِ وَهُوَ آخِذٌ بِلِحَامِهَا يَسْعَى فِي رِكَابِهِ وَكَانَ جَسِيمًا شَدِيدَ الصَّوْتِ: «اصْرُخْ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» فَأَجَابُوا لَبِيكَ لَبِيكَ، قَالَ فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيُثْنِيَ بَعِيرَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيَأْخُذُ دَرْعَهُ فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ وَيَقْتَحِمُ عَنْ بَعِيرِهِ وَيَخْلِي سَبِيلَهُ فَيُؤَمُّ الصَّوْتِ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَائَةٌ اسْتَقْبَلُوا النَّاسَ، فَاقْتَتَلُوا فَكَانَتْ الدَّعْوَى أَوَّلَ مَا كَانَتْ (يَا لِلْأَنْصَارِ) ثُمَّ خَلَصَتْ أُخْرَى (يَا لِلْخَزَرَجِ) وَكَانُوا صَبْرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَأَشْرَفَ الْمُصْطَفَى فِي رِكَابِهِ فَنَظَرَ إِلَى مُجْتَمَعِ الْقَوْمِ فَقَالَ: «الْآنَ حَمَيَّ الْوُطَيْسُ» فَمَا رَجَعَتْ رَاجِعَةً النَّاسُ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارَى مَكْتَفِينَ عِنْدَ الْمُصْطَفَى وَالثَّفَتِ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَكَانَ مِمَّنْ صَبَرَ مَعَهُ يَوْمُئِذٍ وَهُوَ آخِذٌ بِثَغْرِ بَغْلَتِهِ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: ابْنُ عَمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَبْضُ قَبْضَةٍ مِنَ الْخِصَامِ فَحَصَبَ بِهَا وَجْهَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فَهُزِمُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَغَنَمُوا نِسَائِهِمْ وَذُرَارِيَهُمْ وَشَاءَهُمْ وَإِبْلَهُمْ، وَفَرَّ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فَدَخَلَ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي نَاسٍ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ، وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ حِينَ رَأَوْا نَصْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَرَأَى الْمُصْطَفَى أُمَّ سَلِيمَ بِنْتَ مِلْحَانَ، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ وَهِيَ حَازِمَةٌ وَسَطُهَا بَرْدٌ لَهَا وَإِنَّمَا الْحَامِلُ وَمَعَهَا خَنْجَرٌ فَقَالَ الْمُصْطَفَى: «أُمُّ سَلِيمٍ» قَالَتْ: نَعَمْ أَقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْهَزِمُونَ عَنْكَ كَمَا نَقَتِلَ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَا فَإِنَّا نَحْمِلُ لَكَ ذَلِكَ أَهْلٌ قَالَ: «أَوْ يَكْفِيكَ اللَّهُ يَا أُمَّ سَلِيمٍ» وَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا: مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟ قَالَتْ: إِنَّ دَنَا مِنِّي مُشْرِكٌ بَعَجْتَهُ بِهِ، وَاسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ وَحْدَهُ عَشْرِينَ رَجُلًا.

(١) انظر: صحيح مسلم (١٧٧٥).

ولما انقضت هوازن استحر القتل في ثقيف فقتل منهم سبعون تحت رايتهم، وأدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظنه امرأة فأناخ به فإذا شيخ كبير فقال دريد: ما تريد؟ قال: أقتلك، قال: من أنت؟ قال: ربيعة بن رفيع، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، قال: يس ما سلحتك أمك خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أضرب الرقاب، فإذا أتيت أمك فأخبرها بأنك قتلت ابن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك، ثم بعث المصطفى في آثار من فر منهم أقواماً.

وأنزل الله في يوم حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥] الآيات، ثم جمعت سبايا حنين وأموالها فأمر بحبسها في الجعرانة حتى ينصرف عن الطائف.

السادسة والعشرون غزوة الطائف^(١): فلما فر ثقيف إلى الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال، فتوجه إليهم المصطفى في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة وتراموا بالنبل وقتلهم قتالاً شديداً وقتل فيها بنفسه ورماهم بالمنجنيق وقطع أعناقهم ولم يقدر منهم على شيء، وقال المصطفى لأبي بكر وهو محاصرهم: «رأيتُ أني أهديت إلي قصعة مملوءة ثريداً فقرها ديك فأهراق ما فيها»^(٢)، فقال: ما أظن ذلك أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد؟ فقال المصطفى: «وأنا لا أرى ذلك» فأذن بالرحيل واستشهد من الصحابة اثنا عشر رجلاً، ثم انصرف عن الطائف حتى نزل الجعرانة وفيها كان قدم سبي هوازن وأموالهم، وقال له رجل يوم ظعن عن ثقيف: ادع عليهم، قال: «اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم»، ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا وكان معهم من سبيهم ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يدري عدته إلا الله تعالى.

فقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا، وقال رجل من سعد بن بكر: يا رسول الله إنما في الحظائر عمالك وخالاتك

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١٢٠)، وتاريخ الطبري (٢/١٧١).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٧٢).

وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو إنا متحنا للحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه علينا وأنت خير المكفولين، فقال المصطفى: «أحب الحديث إلي أصدقه، ومعني من ترون أبنائكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم» قالوا: خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا فهو أحب إلينا، فقال: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نتشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فأسأطعكم عند ذلك».

ففعّلوا فقال المصطفى: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فلکم» فقال المهاجرون: ما لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار: ما لنا فهو لرسول الله، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وفزارة فلا، وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال العباس: وهتموني، فقال المصطفى: «أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصبيه فردوا إلى الناس أبنائهم ونساءهم»، وسألهم المصطفى: «ما فعل عوف بن مالك»، قالوا: بالطائف، قال: «أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل» فأخبروه فأدركه بالجرعانة أو بمكة فرد عليه ماله وأهله وأعطاها مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه، فاستعمله على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

ولمّا رد السبايا إلى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون: اقسم علينا فيئنا حتى ألجئوه إلى شجرة فاخترطت عنه رداءه فقال: «ردوا عليّ رداي أيها الناس لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته عليكم ثم ما ألتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً» ثم قام فأخذ وبرة من ستام بعير فقال: «أيها الناس ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم فادوا الخياط والمخيط فإن الغلول على أهله عارّ وشنار يوم القيامة».

ثم أعطى المؤلفة وكانوا أشرفاً يتألف بهم قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن كلفة، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، كل هؤلاء من أشرف قريش، والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف، كل واحد مائة بعير، وأعطى

رجالاً دون المائة، وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وعاتبه بقصيدة فقال: «اقطعوا عني لسانه» فأعطوه حتى رضي، ويُقال: أتى به إلى الغنائم فقيل له: خذ منها ما شئت فقال: إنما أراد رسول الله أن يقطع لساني بالعطاء بعد أن تكلمت فتكرم أن يأخذ منها شيئاً فبعث إليه المصطفى بحلة فقبلها، وقيل له: أعطيت عيينة والأقرع مائة وترك جعيل بن سراقه الضمري فقال: «أما والله لجعيل خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع لكني تألفتها ليسلما ووكلتها إلى إسلامه»، وجاءه ذو الخويصرة التميمي وهو يعطي الناس فقال: يا محمد قد رأيت ما صنعت لم أرك عدك، فغضب وقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟» فقال عمر: ألا أقتله؟ قال: «لا»^(١).

ولما أعطى قبائل العرب ولم يُعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة وحتى قال قائلهم: لقي والله قومه، فدخل سعد بن عباد عليه فقال: إن الأنصار قد وجدوا عليك أعطيت عطايا عظاماً ولم تعطهم فقال: «أين أنت من ذلك؟» قال: ما أنا إلا من قومي، قال: «فاجمعهم لي» فجمعهم في حظيرة فأتاهم المصطفى فحمد الله ثم قال: «يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم، ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء ألف بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل، ثم قال: «ألا تحبوني؟» قالوا: بماذا نجيب؟ قال: «أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقم أئيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأريناك وعائلاً فواسيناك، أوجدتم في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أما ترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده لو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار»^(٢).

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم قالوا: رضينا بك قسماً وحظاً، ثم خرجوا فاعتمر ثم انصرف راجعاً إلى المدينة وخلف عتاب بن أسيد على مكة ورزقه في كل يوم درهماً فقام خطيباً فقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم فلا حاجة بي إلى أحد.

(١) انظر: البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣).

(٢) انظر: مسند أحمد (١١٣٢٢).

السابعة والعشرون غزوة تبوك^(١): وتسمى العسرة والفاضحة، بينها وبين مكة أربع عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة وهي آخر غزوة غزاها بنفسه، وسببها أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل فأمر أصحابه بالتأهب لغزوهم وكان ذلك في شدة الحر وجذب من البلاد، وكان كلما يخرج لغزوة إلا ورى عنها إلا هذه فإنه يئنها للناس لبعد المشقة وكثرة العدو ولتأهب الناس لذلك أهبطه، فقال وهو في جهازه للجد بن قيس: «هل لك العام في جلال بني الأصفر» فقال: يا رسول الله أولاً تأذن لي ولا تفتني فلقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه وقال: «أذنت لك» فنزلت: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، أي: وإن كان إئتما خاف الفتنة من النساء وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر لتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عنه، وقال بعض المنافقين لبعضهم: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرهاجاً بالرسول فنزل فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١] الآية.

ثم إنه جد في سفره وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله فحمل رجال من الأغنياء وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فلما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي معه وعلى حدة العسكر أسفل منه نخور باب، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من أهل الريب، وخلف علياً على أهله وأمره بالإقامة فقال المنافقون: ما خلفه إلا استتقلاً وتحقيفاً منه فأتاه فأخبره، فقال: «كذبوا لكن خلفتك لما تركت ورائي فارجع فأخلفني في أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢).

ومضى على سفره ولما مر بالحجر سجد ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً من أن يصيبكم ما أصابهم»^(٣)، وقال: «لا تشربوا من ماء بئرهم ولا تتوضؤوا منه، وما من عجين عجنتموه فاعلفوه الناضح ولا

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٢٥/٢)، وسيرة ابن هشام (٥١٥/٢).

(٢) انظر: البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (٢٩٨٠).

تأكلوا منه»^(١) فأصبح الناس لا ماء معهم فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوتوا وحملوا، ثم ضلت ناقته فخرج صحبه في طلبها فقال بعض المنافقين: أليس يزعم أنه نبي ويخبركم عن خير السماء وهو لا يدري أين ناقته، فأطلعه الله على ذلك فقال: «إن رجلاً قال كذا وأني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي بالوادي من شعب كذا حبستها شجرة بزمامها».

فانطلقوا فوجدوها كذلك، وجعل يتخلف عنه الرجل فيقال له: تخلف فلان فيقول: «دعوه فإن يك فيه خير فسيالحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه». ولما انتهى إلى تبوك أتاه بحنة بن ربيعة صاحب إيالة فصالحه وأعطى الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوها وكتب لهم كتاباً بالأمان، ثم بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة وهو رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً فقال لخالد: «تجده يتصيد البقر» فخرج حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفي ليلة مقمرة وهو على سطحه ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت امرأته: ما رأيت مثل هذا قط، قال: فمن يترك هذه، فأمر بفرسه فأسرج فركب معه نفرٌ من أهل بيته منهم أخوه حسان وخرجوا بطارقتهم فلقيهم خيل المصطفى فأخذوه وقتلوا أخاه، وكان عليه قباء ديباج مخصوص بذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى المصطفى فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه فقال المصطفى: «أتعجبون منه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منه»^(٢)، ثم قدم خالد على رسول الله بأكيدر فحقن دمه وصالحه على الجزية فرجع إلى قومه، فأقام رسول الله بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يتجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة، والقصة فيها طول جداً فليراجعها من المطولات من أراد.

فهذه سبع وعشرون غزوة غزاها المصطفى بنفسه قاتل منها في سبع: أحد، والخندق، وبدر، وبنى قريظة، والمصطلق، وخيبر، والطائف، وحكى أهل السير عن بعض السلف أنه قاتل في بني النضير، وغابة، ووادي القرى المشهور بذي قرد وهو قول الواقدي، والصحيح المشهور الذي عليه الجمهور أنه إنما قاتل في تلك السبع فقط.



(١) انظر: البخاري (٣٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

باب ذكر بعثته وسراياه إلى الملوك والبلاد

البعوث جمع بعث وهو كما في المصباح^(١) وغيره: الجيش تسمية بالمصدر، والسرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش يبلغ أقصاه أربعمئة سموا به لأنهم خلاصة العسكر، والسري الشريف.

عَدَّتْهَا مِنْ بَعَثٍ أَوْ سَرِيَّةٍ سَتُونَ فَالْأَوَّلُ بَعَثُ حَمَزَةٍ
لِتَحْوِ سَيْفَ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعِصِ لَمْ يَقْتُلُوا فِي الْجُمْلَةِ
عدة بعوثه وسراياه ستون على ما ذكره السهيلي عن المسعودي، وقيل: سبع وأربعون، وقيل: ثمان وأربعون.

الأول: بعث حمزة بن عبد المطلب، فعقد له لواء أبيض وهو أول لواء عقده المصطفى فكان أول من غزا في سبيل الله وأول من عقد له راية الإسلام، وذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرته، وقيل: في جمادى الأولى في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيراً لقريش جاءت من الشام فيها أبو جهل في ثلاثمئة رجل، فبلغوا إلى نحو سيف البحر وهو بكسر السين ساحله من ناحية العيص بكسر العين وسكون التحتية وصاد مهملة موضع ببلاد سليم، فالتقوا واصطفوا للقتال وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفرقيين فانصرفوا وَلَمْ يَقْتُلُوا بِالْجُمْلَةِ الكافية أصلاً، هذا معنى كلام الناظم، والإنصاف أن قوله (بالجملة) حشو كمل به الوزن.

فَبَعَثَهُ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ لِرَابِعٍ أَوْ قَبْلَ ذَا أَوْ ثَالِثٍ
بِأَلْفِهِ شَيْءٌ كُلًّا مِنْهُمَا مَعًا لَذَا أَشْكَلَ ذَا وَأُنْهَمَا
وَكَانَ رَمَى بَيْنَهُمْ لَمْ يَفْعُدْ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ سَفْعُدْ

الثاني: بعثة عبدة بن الحارث بن عبد مناف لرابع أو قبل ذا أو ثالث وبغين معجمة موضع بين المدينة والحجفة وهو من منازل خزاعة، خرج إليها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين أو ثمانين من المهاجرين فلقى بهما جمعاً عظيماً من قريش عليهم عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان بن حرب فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف، أو كان بعث عبدة قبل بعث ذا أي: قبل بعث حمزة وهو قول ابن إسحاق،

(١) انظر: المصباح المنير (ص ٢١).

وقول ثالث أنه شيع كلاً منهما معاً ولذا أشكل الأمر على الناس وأهم والأصح الأول، وكان بين المسلمين والكفار رمي بالسهم لم يعد بسكون العين أي: لم يجاوزوا الرمي إلى سل السيوف ولم يصطفوا للقتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان أول من رمى بسهم في سبيل الله سعد، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة ابن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار، وكان لواء أبيض حمله مسطح ابن أثانة بن عباد بن المطلب.

فَبَعَثَهُ سَعْدًا إِلَى الْخُرَارِ لِلْعِيرِ فَاتَتْ رَجَعُوا لِلدَّارِ

الثالث: بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار بفتح المعجمة وراءين مهملتين الأولى مشددة على وزن فعال ماء لبني زهير أو واد بالحجاز يصب على الجحفة، خرج في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة، وعقد لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو وخرج في عشرين من المهاجرين يعترضون العير بكسر العين الإبل تحمل ميرة قريش، فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار ويمشون بالليل فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير مرت بالأمس، فرجعوا للدار أي: إلى الدار يعني المدينة.

بَعَثُ ابْنُ جَحْشٍ بَعْدَهُ أَوْ أَوَّلُ لِنَخْلَةٍ فَغَنِمُوا وَقَتَلُوا فِي سَلَخِ شَهْرِ رَجَبِ إِسْأَنَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ قُرْآنًا أَيْ يَسْأَلُونَكَ أَزَالَتْ كُرْبًا وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِقَبَا

الرابع: بعث عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي في سرية بعد بعث سعد، وهو أول البعوث قولان والثاني هو قول أبي نعيم، (لنخلة) بفتح النون وسكون الخاء المعجمة على لفظ نخلة واحدة النخل موضع على ليلة من مكة وهي التي يُنسب إليها بطن نخلة، ويُقال: إنها بستان بني عامر، فمرت به عير لقريش تحمل تجارة ومعها جماعة منهم فحاربوهم وغنموا ما معهم وقتلوا عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، وأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، واستاقوا العير وما عليها، وهي أول غنيمة في الإسلام وأول قتل بأيدي المسلمين وأول أسر فيه، وكان ذلك في سلخ رجب رأس سبعة عشر شهراً وقالت قريش: سفك محمد الدم وأخذ المال في شهر حرام، وقالت اليهود: يقتل عمرو بن الحضرمي حضرت الحرب ويقتله واقد وقدت الحرب، وأنزل الله به أي: فيه قرآناً وهو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية فأزالت الآية الكرب

الحاصل للمسلمين بما قال الكفار فيهم، وفي هذه السرية لقب عبد الله بن جحش بأمر المؤمنين وقول الناظم: (كربا) بضم الكاف وفتح الراء جمع كربة.

فَبَعَثَهُ عُمَيْرًا الْخَطْمِيًّا لِقَتْلِ عَصْمَا هَجَتِ النَّبِيَّ

الخامس: بعثه عمير بن عدي بن حرشة الخطمي بفتح الحاء المعجمة القارئ إمام بني خطمة، أرسله لقتل عصماء بفتح العين وسكون الصاد بنت مروان من بني أمية بن زيد، وكانت تعيب الإسلام وهجت المصطفى وحرضت عليه، فجهز إليها عميراً في رمضان فدخل عليها بيتها في الليل وحولها ولدها نيام منهم من ترضعه، فجسها بيده وكان ضريراً فنحى الصبي ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ثم جاء فصلي الصبح مع المصطفى فأخبره فقال: «لا ينتطح فيها عنزان»، وهو مثل لم يتمثل به أحد قبله.

فَبَعَثُ سَالِمًا إِلَى أَبِي عَفْكَ وَقَتْلِهِ آذَى النَّبِيِّ وَأَفْكَ

السادس: بعث سالم بن عمير بن ثابت الأنصاري إلى أبي عفك بفتح العين المهملة والفاء وآخره كاف، كان في بني عمرو بن عوف يهودياً بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يؤذي النبي ويحرض عليه ويقول فيه الشعر، وأفك بفتح الهمزة والفاء أي: كذب على المصطفى، فأقبل سالم إليه ليلاً فوضع السيف على كعبه ثم أنفذه من ظهره، وكان ذلك في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

فَبَعَثَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمَةٍ فِي رَفَقَةٍ لِقَتْلِ كَعْبِ الْمَلَأَمَةِ
جَاءُوا بِرَأْسِهِ فَأَقْدَمُوهُ قَالَ لَهُمْ أَفْلَحَتِ الْوُجُوهُ

السابع: بعث محمد بن مسلمة الأوسي في رفقة من الأوس منهم عباد بن بشر والحارث بن أوس، وأبو عيس بن جبر، لقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان شاعراً يهجو المصطفى وأصحابه فقال: «اللهم اكفني ابن الأشرف»، وفي الصحيح^(١) قال: «من لي بكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله» فذهب إليه المذكورون فقتلوه وجاءوا إليه برأسه فرموا به بين يديه فحمد الله وقال لهم: «أفْلَحَتِ الْوُجُوهُ»، فقالوا: وجهك يا رسول الله، وكانت رجل الحارث قد أصابها سيف أحدهم فتفل عليها رسول الله ﷺ فلم تؤذها؟.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣١)، ومسلم (١٨٠١).

وقول الناظم: (المأمة) بفتح الميم والهمزة الثانية هو الذي يفعل ما يلام عليه وهو صفة لكعب كمل به الوزن، وقوله: (فأقدموه) أي: أقدموا رأسه على المصطفى.

فَبَعَثَهُ زَيْدًا إِلَى الْقَرْدَةِ مَاءً بَنَجْدَ بَقْرِبِ غَمْرَةٍ
فَحَصَّلُوا مِائَةَ أَلْفٍ مَغْنَمًا وَأَسْرُوا فُرَاتَ ثُمَّ أَسْلَمَا

الثامن: بعثه زيد بن حارثة في مائه راكب إلى القردة بفتح القاف والراء على الأشهر وضبطه الدمياطي بفاء مفتوحة وراء ساكنة، والبكري بفتح القاف وسكون الراء ماءً من مياه نجد بقرب غمرة بفتح الغين المعجمة وسكون الميم موضع بين نجد وتهامة من طريق الكوفة، وكانت لِهلالِ جهادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرًا من هجرته، فخرج يعترض عيرًا لقريش فيها صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، ومعهم مال كثير منه فضة نحو ثلاثين ألف درهم فحصلوها وأصابوا العير، وقيل: إنما كانت مائة ألف مغنمًا فحسَّسها فبلغ الخمس عشرين ألف درهم وقسم الباقي بين أهل السرية، وأسروا فرات بضم الفاء العجلي دليل قريش فأتوا به إلى المصطفى فأمر بقتله فأسلم فتركه وحسن إسلامه.

فَبَعْدَهُ بَعَثُ ابْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ لَقَطْنِ لَوْلَدِيْ خُوَيْلِدِ
طَلِيحَةَ مَعَ أَخِيهِ سَلْمَةَ قَدْ جَمَعَا حَرْبَ نَبِيِّ الْمَرْحَمَةِ
فَلَمْ يَصْلُ حَتَّى تَفْرُقَ الْمَلَا وَغَنِمُوا شَاءَ لَهُمْ وَإِبِلَا

التاسع: بعث أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي إلى قطن بفتح القاف والطاء المهملة جبل بناحية نجد في بلاد بني أسد على يمينك إذا فارقت الحجاز، وقال ابن إسحاق^(١): (ماءً من مياه بني أسد بنجد)، وعقد له لواء وخرج في مائه وخمسين رجلًا من المهاجرين والأنصار لولدي خويلد هما طليحة مع أخيه سلمة من بني أسد، لأنه قد بلغه أنهما جمعًا جمعًا إلى حرب المصطفى نبي الرحمة فلم يصل الجيش إليهم حتى تفرقوا في كل ناحية، وغنموا شاء جمع شاء لهم وإبلًا كثيرًا ولم يلقوا كيدًا وانحدر أبو سلمة بذلك إلى المدينة، وذكر ابن عبد البر أن مسعود بن عروة قتل في هذه السرية.

يَلِيهِ بَعَثُ ابْنِ أَنَيْسِ الْعَامِدِ لَقَتْلِ سُفْيَانَ هُوَ ابْنُ خَالِدِ

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦١٢/٢).

ابن نُبَيْح كَانَ صَوْبَ عُرْنَةٍ يَجْمَعُ لِلنَّبِيِّ فَلَمَّا أَمَكَّنَهُ
احْتَزَّ رَأْسَهُ فَلَمَّا أَحْضَرَهُ دَعَا لَهُ وَخَصَّهُ بِمَخْصَرَةٍ

العاشر: أي: يلي هذا البعث العاشر وهو بعث عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري. وقول الناظم: (العائد) أي: الذي عمد بإذن المصطفى إلى قتل سفيان بن خالد ابن نُبَيْح مصغراً الهذلي اللحياني وكان صوب عرنة بضم العين المهملة وفتح الراء بعدها نون وهاء التأنيث وهو وادي عرنة.

قال في المعجم: والفقههاء يقولونه بضم الراء وهو خطأ، وسببه أنه بلغه أنه جمع الجموع لحرب النبي، فذهب إليه لخمس خلون من الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من المحرة فوجده يبطن عرنة يمشي ومعه أصحابه فعرفه فقال له سفيان: ممن الرجل؟ قال له: من خزاعة سمعتُ بجمعك لمحمد فجتتك لأكون معك قال: أجل إني لأجمع له فمشى معه يحدثه وتفرق أصحابه، فلما هداً الناس وناموا وأمكنه قتله قام عليه فاحتز رأسه ثم دخل غاراً في الجبل وضرب العنكبوت عليه فجاء الطلبة فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا، فخرج يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى المدينة، فلماً أحضره بين يدي المصطفى دعا له وخصه بمخصرة بكسر الميم وسكون الخاء وصاد مهملة ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من نحو عصي أو عكاز دفع إليه عصاً، وقال: «تَخْصِرُ بِهِذِهِ فِي الْجَنَّةِ»^(١) فكانت عنده، فلما احتضر أوصى بإدراجها في كفنه فجعلوها بين جلده وكفنه، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة.

فَبَعَثَهُ الْمُنْذِرُ وَالْقُرْأُ إِلَى بئر معونة فطأبوا أَوْزلاً
فَاسْتَشْهَدَ السَّبْعُونَ إِلَّا كَعْبَا هُوَ ابْنُ زَيْدٍ كَانَ رُتْئاً صَعْبَا
وَوَجَدَ النَّبِيَّ حُزْناً حَتَّى قَتَتْ شَهْرًا فِي الصَّلَاةِ بَحْتَا
يَدْعُو عَلَى الْقُتَالِ حَتَّى أَتْزَلَا «لَيْسَ لَكَ» الْآيَةُ رُبْنَا عَلا

الحادي عشر: بعثه المنذر بن عمرو الأنصاري الخزرجي وبعث القراء من الأنصار معه وكانوا سبعين لا أربعين على الأصح، إلى بئر معونة بالنون ماءً لبني عامر بن صعصعة، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من هجرته.

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥١/٢).

وسببه أن ملاعب الأسنة الكلاي قدم المدينة فعرض عليه المصطفى الإسلام فلم يُسلم ولم يبعد وقال: لو بعثت معي رجالاً إلى أهل نجد رجوت أن يجيئوا، قال: «أخشى عليهم» قال: أنا لهم جار، وكان شباب من الأنصار يسمون القراء يصلون بالليل ويقرءون بالنهار، فيعثنهم وكانوا سبعين كما تقرر حتى نزلوا بئر معونة فطابوا فيها نزلاً بضم النون والزاي، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب المصطفى إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وقتل الرجل ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيئوه وقالوا لن نخفر جوار ملاعب الأسنة، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية وذكوان وغيرها فنفروا معه حتى أحاطوا بالقوم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى استشهد السبعون إلا كعب بن زيد بن قيس الأنصاري فتركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق، وذلك لأنه (كان رُثًا صعباً) بضم الراء وسكون المثناة فوق ثم همزة أي: شديد القوة صعباً، وقدم عمرو بن أمية على المصطفى فأخبره فوجد أي حزن عليهم حزناً شديداً حتى من شدة حزنه قنت شهراً في الصلاة أي: صلاة الصبح قيل وغيرها بحثاً بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة أي: خالصاً يدعو على القبائل الذين قتلوا القراء حتى أنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وَبُعْثُهُ إِلَى الرَّجِيعِ مُرْتَدًّا	أَوْ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ وَأُسْتَدًّا
هَذَا الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ خَانًا	بِسَبْعَةِ مِنْهُمْ بَنُو لَحْيَانَا
وَأَسْرُوا زَيْدًا خُبِيًّا بِيَعًا	وَقَتَّلُوا ابْنَ طَارِقٍ صَرِيحًا
ثُمَّ الَّذِي ابْتَاعَ خُبِيًّا قَتْلَهُ	كَذَا بَزِيدَ مُشْتَرِيهِ فَعَلَّهُ
وَقَصَدَتْ هَذِيْلُ رَأْسَ عَاصِمِ	حَمَّتْهُ دَبْرُ ثُمَّ سَيْلُ عَاصِمِ

الثاني عشر: بعثه في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً إلى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم وبعين مهملة ماء لهذيل بين مكة وعسفان، وأمر عليهم مرتد بن أبي مرتد الغنوي كذا في الطبقات لابن سعد^(١)، لكن في غيرها^(٢) أنهم كانوا عشرة، وأن أميرهم

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٤٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

عاصم بن ثابت الأوسي وهذا هو الذي أسنده البخاري في كتاب التوحيد وغيره^(١)، وفي هذا البعث خان أي: غدر بسبعة منهم على رواية البخاري^(٢) وعليه جرى الناظم.

وقيل: ستة فقط وحزم به بعضهم، وذلك أنه خرج إليهم بنو لحيان قريب من مائة رام فأحاطوا بهم فقتلوا عاصماً وستة معه وأسروا زيد بن الدثنة الخزرجي، وخبيب بن عدي الأنصاري وبيعا بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبا عقبة بن الحارث فقتله بابنه وكان ممن قتل بيدر، وابتاع زيدا صفوان بن أمية فقتله بأبيه، وقتلوا عبد الله بن طارق وتركوه صريحا، وقصدت بنو هذيل أخذ رأس عاصم لكونه كان قتل يوم أحد أخوين من بني عبد الدار أمهما سلافة بنت سعد فنذرت إن أمكنها الله منه لتشرين في رأسه الخمر وجعلت لمن جاء به مائة ناقة، فتسارع بنو هذيل إلى أخذه لبيعهوه لسلافة فحتمته دبر بفتح الدال وسكون الموحدة أي: نخل أوزناير أرسلها الله ﷻ عليه مثل الظلة، ثم جاءه سيل جار عاصم من أخذه وذلك أنهم قالوا: الدبر يذهب ليلاً فنأخذه فأرسل الله سيلاً فاحتمله فذهب به فلم يقفوا لجنته ولا لرأسه على خير، وكان نذر أن لا يمس مشركاً فإر الله قسسه فلم يروه أصلاً ولا عرفوا له محلاً.

فَبَعَثَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ مَسْلَمَةَ	لِلْقَرْظَا أَصَابَ مِنْهُمْ مَغْنَمَةً
شَاءَ لَهُمْ وَنَعَمًا أَصَابُوا	بَعْضُهُمْ وَبَعْضُهُمْ هَرَابٌ
لَمْ يَعْضُوا لِلظُّعْنِ أَمْرًا	أَمِيرُهُمْ وَأَسْرَوْا ثَمَامَةً

الثالث عشر: بعثة محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي إلى القرظا بضم القاف بعدها راء مفتوحة وطاء معجمة جمع قرظ قبيلة على سبع ليال من المدينة تزوج المصطفى منهم عمرة، فخرج إليهم لعشر خلون من الحرم على رأس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة وثلاثين راكبا، فأغار عليهم وقتل وأصاب منهم مغنمة أي: غنيمة شاء جمع شاة لهم ونعمًا النعم مائة وخمسون والغنم ثلاثة آلاف، وأصابوا من القوم فقتلوا بعضهم وبعضهم هراب جمع هارب ولم يعرضوا بفتح المثناة التحتية وضاد معجمة مخففة للظن بضم الظاء المعجمة وسكون العين سكنت تخفيفا وهم النساء جمع ظعينة سُميت به لأنها

(١) انظر: التخريج السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

تظعن مع زوجها حيث ظعن، وهو أمر رامة أي: طلبه أميرهم محمد بن مسلمة، وأسروا ثمانية بمثلثة مضمومة بن أثال بضم الهمزة الخنفي وانحدر إلى المدينة وغاب سبعة عشرة ليلة وقدم آخر الحرم.

فبعثه عكاشة بن مُحصن لَعَنَ مِرْزُوقُ مَوِيهَ لَبْنِي
أَسَدٌ عَلَى يَوْمَيْنِ أَيُّ مَنْ فَيَدُ فَهَرَبُوا وَمَا لَقُوا مَنْ كَيْدُ

الرابع عشر: بعثه عكاشة -بضم العين وتخفيف الكاف وتشدد- ابن محصن الأسدي إلى غمر بفتح المعجمة وسكون الميم بعدها راء مهملة مرزوق وهو مؤيه تصغير ماء أي: هو ماء لبني أسد، وهو على يومين من فيد بفتح الفاء وسكون التحتية ويُقال: بالنون، وكان في ربيع الأول سنة ست من الهجرة وكان معه أربعون رجلاً فعلم به القوم فهربوا، ووجدوا رجلاً فأمنوه فدلهم على نَعَم لبني عم له فاستاقوها وهي مائتا بعير وما لقوا في سير لهم من كيد وهو المكر والخديعة، وصغر الناظم لفظ ما وزاد أي التفسيرية للوزن.

وبعثه أيضاً إلى ذي القِصَّة مُحَمِّدًا إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةٍ
فِي عَشْرَةٍ فَأَخَذَ الْأَعْرَابُ بِهِمْ وَكَانُوا مَائَةً أَصَابُوا
كُلَّهُمْ قَتْلًا سِوَى ابْنِ مَسْلَمَةَ جَرَحَ جَرْحًا سَالِمًا مَا أَسْلَمَةَ

الخامس عشر: بعثه إلى ذي القصة بفتح القاف وشد الصاد المهملة موضع في طريق العراق من المدينة بينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، سمي به لقصة في أرضه أي: حصن، وقيل: هي على بريد من المدينة إلى بني ثعلبة، في عشرة رجال وكان في ربيع الأول سنة ست فوردوا عليهم ليلاً فأخذ قِهم الأعراب وكانوا مائة فتراموا ساعة ثم حملت الأعراب عليهم فقتلوههم إلا محمد بن مسلمة فإنه جرح جرحاً سَالِمًا ما أسلمه من جرح، ورجع إلى المدينة.

وقول الناظم: (فأصابوا) أي: أصابوهم كلهم وهو بالرفع توكيد للضمير المرفوع، وقوله: (ما أسلمه) حشو كمل به الوزن.

فبعثه لَهُم أَبَا عِيْدة لَمْ يَجِدِ الْقَوْمَ وَحَادُوا حَيْدَةً
لَكِنْ أَصَابُوا رَجُلًا فَاسْلَمًا وَغَنِمُوا شَاءَ لَهُمْ وَنَعَمًا

السادس عشر: بعثه لهم أي: إلى ذي القصة لبني ثعلبة الذين قتلوا العشرة أبا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر سنة ست، فخرج إليهم في أربعين رجلاً فهربوا فلم يجد

منهم أحدًا، وحادوا عن مكانهم حيدَه أي: تنحوا عنه وصعدوا في الجبال، لكن أصابوا منهم رجلًا فأسلم فتركوه، وغنموا شاء بالمد ونعمًا من نعمهم فحَمَسَهَا رسول الله وقسم البقية عليهم.

فَبِعَثْ زَيْدَ لِبَنِي سَلِيمٍ وَهُمْ يَبْطُنُ نَخْلَ الْجُمُومِ
وَقَدْ أَصَابُوا نَعَمًا وَشَاءَ وَأَسْرَوْا مَا اللَّهُ مِنْهُمْ شَاءَ

السابع عشر: بعثه في ربيع الأول سنة ست زيد بن حارثة لبني سليم ببطن نخل عن المدينة بأربعة برد، وهم بالجموم بفتح الجيم وضم الميم الأولى على بناء فَعُول بِلَد بَارِض بني سليم عن يسار بطن نخل ويُقال: الجموح بالحاء، فأصابوا امرأة مزنية تسمى حليلة فدلتهم عليهم فأصابوا نعمًا وشاء وأسروا من شاء الله منهم، وكان فيمن أسر زوج حليلة التي دلتهم فوهب المصطفى للمزنية نفسها وزوجها.

فَبِعْثَهُ لِلْعَيْصِ حَتَّى أَخَذُوا عَيْرَ قُرَيْشٍ كُلَّهَا وَتَفَدُّوا
وَفِضَّةً كَثِيرَةً وَأَسْرَى مِمَّنْ مَعَ الْعَيْرِ أَتَوْا وَالصَّهْرَا
صَهْرَ النَّبِيِّ زَوْجَ زَيْنَبَ اسْتَجَارَ بِهَا أَجَارَتَ وَهُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَارَ

الثامن عشر: بعثه إلى زيد بن حارثة أيضًا إلى العيص بكسر العين وصاد مهملة من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام على أربعة أميال من المدينة، فخرج في جمادى الأولى سنة ست لما بلغه أن عير قريش قدمت من الشام، فبعثه في سبعين ومائة راكب لاعتراضها حتى وافوها، وكانت لصفوان بن أمية كلها فأخذوها وما فيها ونفذوا أي: ذهبوا بها إلى المدينة وأخذوا فضة كثيرة وأسرى ممن كان معهم ومنهم صهر النبي أبو العاص بن الربيع زوج زينب وهو ابن أخت خديجة واسمه على الأصح لقيط، فاستجار بها أي: بزوجه فأجارته وهو أهل أن يُجار من الأسر، وردوا عليه جميع ماله المأخوذ.

فَبِعْثَهُ رَابِعَةً إِلَى الطَّرَفِ مَاءَ قَرِيبٍ مِنْ مَرَاضٍ فَانصَرَفَ
إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ أَصَابُوا أَنْعَامَهُمْ وَهَرَبَ الْأَعْرَابُ

التاسع عشر: بعثه زيد بن حارثة مرة رابعة إلى الطرف بفتح الطاء والراء وهو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلًا من المدينة في جمادى الأولى سنة ست، فانصرف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلًا فأصابوا أنعامهم وشياههم وهرب الأعراب،

وأصبح زيد بالنعم في المدينة وهي عشرون بغيراً ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال.

فبعثه خامسةً لحسنمى	إلى جذام فأتاهم هَجْماً
صُبحاً على القوم أصابوا العارضاً	وأباه هنيئداً المعارضاً
في قومه لدحية الكلبي	فقطّعوا طريقه بالسبي
وكان زيدٌ معه خمسمائة	فأخذوا الأنعام والسبي فنه
مائة النساء والصبيانا	فجاء زيدٌ من جذام كانا
معه كتابُ المصطفى إذا سلماً	له وللقوم فسأل المغنماً
أموالهم مع حريمهم فردّ	كلّاً إليهم وإثماً بما عهد

العشرون: بعثه أيضاً مرة خامسة إلى حسنمى بكسر الحاء المهملة وسكون السين المهملة والقصر على بناء فعلى موضع من أرض جذام وراء وادي القرى، إلى قوم من جذام بضم الجيم قبيلة من اليمن في جمادى الأولى سنة ست، فخرج في خمسمائة رجل فأتاهم فهجم عليهم هجماً على غفلة في وقت الصبح فقتل منهم العارض بعين مهملة وضاد معجمة، و(أبه) أي: وأباه هنيئداً بضم الهاء مصغراً وهو المعارض في قومه لدحية الكلبي، وذلك أن دحية أقبل من عند قيصر وقد أجازته وكساء فلقية الهنيد وابنه في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق بالقي بكسر القاف وشدة الياء، وهي الأرض الخالية، وأخذوا متاعه.

فقدم على المصطفى فأخبره فبعث زيداً أمير هذه السرية ومعه خمسمائة رجل فهجموا عليهم فقتلوا منهم الهنيد وابنه وأخذوا ألف بغير ومعه خمسة آلاف شاة وأخذوا السبي وكان فيه مائة من النساء والصبيان، فجاء زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه إلى النبي وذلك بأنه كان معه كتاب المصطفى إليهم كتبه لهم ليالي قدم عليهم فأسلم واستعذر للقوم عما وقع منهم في حق دحية.

فسأل المصطفى أن يرد عليهم المغنم وهو أموالهم مع حريمهم فقال: يا رسول الله لا تحرم علينا حلالاً ولا تحل لنا حراماً فقال: «كيف أصنع بالقتلى؟» قال أبو يزيد: أطلق لنا من كان حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين، فبعث معهم علياً إلى زيد يأمره برد مالهم وحريمهم إليهم فرد الكل إليهم وإثماً بما عهد إليه المصطفى، ووقع هنا زيد بن

رفاعة وعند ابن إسحاق^(١): رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي وهو الصحيح، وقول الناظم: (وأبى) على لغة النقص كقوله:

بأبه اقتدى عدي في الكرم
فبعثه أيضًا لله مؤمراً
سادسة لوجهة وادي القرى
به أصيب المسلمون قتلاً وارث زيد من خليط القتلى

الحادي والعشرون: بعث لزيد أيضًا مؤمراً له على سرية سادسة، وقوله: (لوجهة) بكسر الواو وتنوين آخره أي: لجهة ثم فسرهما بقوله: (وادي القرى) من أعمال المدينة، في رجب سنة ست وأصيب المسلمون يومئذ قتلاً ذريعاً، وارث بضم المثناة الفوقية وشدة المثناة مبني للمجهول أي: حمل من المعركة قد أثخنته الجراح، والراث والرثيث الثوب الخلق الذي فيه بقية، وقوله: (من خليط القتلى) جمع قتيل، أي: من وسط القتلى المختلطين، فأتى زيد به أي: أقسم أن لا يمس رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فزارة فلما استبل من جراحته غزاهم وسيجيء.

بعث ابن عوف بعده لكلب بدومة الجندل فاز الكلي
أميرهم أصبح بالإسلام ومعه ناس من الأقوام
وأمر النبي أن يصاهروا فكح ذاك ابنة ذا تماضر

الثاني والعشرون: بعث عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة في سرية بعده أي بعد زيد لكلب أي: إلى بني كلب وهم بدومة بضم الدال وفتحها لكن أنكر ابن دريد الفتح، الجندل من بلاد الشام بقرب تبوك في شعبان سنة ست، دعاه المصطفى فأفعبه بين يديه وعممه بيده وأسدل عمامته بين كتفيه قدر شبر وكانت سوداء وقال: «اغز باسم الله وفي سبيل الله قاتل من كفر بالله لا تغدر ولا تقتل وليدًا» فذهب فدعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام فأسلم الكلي أميرهم واسمه الأصمغ بن عمرو وكان نصرانياً وأسلم معه ناس من قومه ومن بقي على دينه بذل الجزية، وأمر النبي عبد الرحمن أن يصاهر الأصمغ إذا استجابوا له فكح ذاك يعني عبد الرحمن ابنة ذا أي الأصمغ واسمها تماضر بفتح المثناة فوق وتخفيف الميم وضاد معجمة مكسورة وقدم بها المدينة وهي أم أبي سلمة بنت عبد الرحمن التابعي الجليل.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٦١٥).

فبعثه لفلدك علياً إلى بني سعد بن بكر أخياً
الليل سيراً وكمين نهاراً حتى أتاهم غفلة أغاراً
فهربوا إذ جاءهم بالظعن واستاق أنعامهم غير وكلي

الثالث والعشرون: بعثه علي بن أبي طالب إلى فذك بفتح الفاء والذال بينها وبين المدينة يومان وحصنها يقال له: الشموخ إلى بني سعد بن بكر في شعبان سنة ست لما بلغه أنهم جمعوا جمعاً يريدون إمداد يهود خيبر، فسار علي إليهم في مائة رجل يحبون الليل سيراً ويكننون نهاراً حتى انتهوا إلى ماء بين خيبر وفذك فوجدوا رجلاً فأمّنوه فدلهم عليه حتى أتاهم غفلة فأغاروا عليهم فهربوا بالظعن بضم الظاء النساء، واستاق أنعامهم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة فقدّموا بها إلى المدينة ولم يلقوا كيداً. وقول الناظم: (غير وني) بفتح الواو اسم فاعل من الونا وهو الضعف كمل به الوزن.

فبعثه زيداً لأم قرفة سابعة فقتلت بعسفة
وصح في مسلم الطريق بأئماً أميرها الصديق

الرابع والعشرون: بعثه زيد إلى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء واسمها فاطمة بنت ربيعة بناحية وادي القرى في رمضان سنة ست بسبب ما مر، وهذه غزوة سابعة لزيد فاجتاز قرفة فقتلت بالبناء للمفعول بعسفة أي: قتلها قيس بن الحسر وهي عجزوز قتلاً عسفاً، أي: بعنف ربط برجلها حبلاً وربطها بين بعيرين وزجرهما فذهبا فقطعاها وذلك لأنها سبت النبي ﷺ، وأخذ سلمة بن الأكوع بنتها حارثة بنت مالك.

وسميت أم قرفة لأنها كانت تعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم لها ذو محرم، وما ذكر من أن زيداً هو أمير هذه السرية هو ما جاء في طريق لكن صح في صحيح مسلم^(١) الطريق من رواية إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه بأن أميرها إنما هو الصديق.

فبعثه لابن عتيك معاً قوّم من الخزرج كيّ تمّعه
لخيبر لابن أبي الحقيق لقتله أعين بالتوفيق
واختلفوا ف قيل ذا في السادسة أو ثالث أو رابع أو خامسة

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٥).

الخامس والعشرون: بعثه عبد الله بن عتيك وأرسل معه قومًا من الخزرج وكانوا أربعة: مسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وخزاعي بن أسود كي تمنعه أي: تمنع هذه الأربعة ابن عتيك من أن يصل إليه أحد، فساروا لخير لأجل قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق مصغراً اليهودي وكان ممن حزب الأحزاب وآذى رسول الله ﷺ، فخرجوا حتى أتوا خير ليلاً فجعلوا لا يمرون بباب إلا أغلقوه فلما انتهوا إلى منزله صعدوا إليه وقدموا ابن عتيك لأنه كان يتكلم باليهودية، فاستأذنوا فخرجت امرأته قال: من أنتم؟ قالوا: من العرب نلتمس الميرة، فلما دخلوا أغلقوا عليها وعليهم الباب فأرادت الصياح فأشاروا إليها بالسيف فسكت، فابتدروه بالسيف فقتلوه في فراشه وما دُلَّهم عليه في سواد الليل إلا بياضه، وتحامل عليه ابن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وكان ابن عتيك ضعيف البصر فوقع من الدرجة فأصابت رجله فحملوه وكنموا به يومين وخرج في طلبهم ثلاثة آلاف فلم يروهم فرجعوا، ثم قدموا على المصطفى فأخبروه فقال: «أفلحت الوجوه».

واختلفوا في قتله فكل يدعيه فنظر المصطفى إلى أسياهم فإذا أثر الطعام في ذباب سيف ابن أنيس فقال: «هذا قتله».

وفي البخاري^(١) أن ابن عتيك قتله وأنه دخل إليه وحده وصحبه خارج الدار، واختلف في أي وقت كانت هذه السرية فقيل: في السنة السادسة من الهجرة، وقيل: الثالثة، وقيل: الرابعة، وقيل: الخامسة، وقيل غير ذلك.

فَبَعْدَهُ بَعَثَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا
أَمِيرُ ذَلِكَ ابْنُ رَوَاحَةَ الْبَطْلُ
لَخَيْرٍ فَقَتَلُوا أَسِيرًا
ابْنَ رِزَامٍ لَا أَصَابَ خَيْرًا
وَمُخْرَشٌ مِّنْ شَوْحُطٍ كَانَ مَعَهُ
فَشَحَّ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا صَرَغَهُ
فَبَصَّقَ النَّبِيُّ فِي شَجَّتِهِ
فَلَمْ تُكُنْ تُؤْذِيهِ حَتَّى مَوْتِهِ

السادس والعشرون: بعث بالثنتين وهم ثلاثون رجل بالوقف وأصله رجلاً لكنه سَكَنَ للضرورة، وكان أمير ذلك البعث عبد الله بن رواحة الأنصاري الرجل البطل أي: الشجاع إلى أسير بن رزام اليهودي بخير في شوال سنة ست، وذلك أنه لما قتل ابن أبي الحقيق أمرت اليهود عليها أسيراً فصار يحزب على المصطفى فساروا حتى قتلوا أسيراً بضم

الهمزة مصغراً وهو ابن رزام بكسر الراء وتخفيف الزاي لا أصاب خيراً، وذلك أهم ساروا إليه وأمنوه وأمنهم وقالوا: بعثنا النبي إليك ليستعملك على خير فطمع فخرج في ثلاثين يهودياً حتى إذا كانوا بالطريق أهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس فقال: اغدر، فضربه بالسيف فسقط من بعيره وبيده مخرشٌ بكسر فسكون عصي معوجة الرأس من شوحط بفتح المعجمة شجر يتخذ منه القسي فشج رأس عبد الله لما صرعه، ثم مالت السرية على أصحابه فقتلوه غير واحد، ثم قدموا على المصطفى فأراه عبد الله الضربة فبصق النبي في شجته فلم تكن تؤذيه حتى مات.

فَبَعَثَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ إِلَى الْعُرَيْنِينَ الَّذِينَ مَثَلَا بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْقَتْلِ كَمَا قَدْ فَعَلُوا هُمْ فِي الرُّعَاةِ مِثْلَ مَا وَمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ كَوْنًا جَرِيرُ الْمُرْسَلِ فَأَرَدُذُ وَهَنَا

السابع والعشرون: بعثه كرزاً بضم الكاف بن جابر الفهري إلى العرينين بضم العين وفتح الراء سما به لأن أكثرهم من عرينة بطن من بحيلة، وفي الصحيحين^(١) أهم كانوا ثمانية نفر وهم الذين مثل بهم رسول الله ﷺ في القتل كما مثلوا هم أي: فعل بهم مثل ما فعلوه في الرعاة بضم الرعاء جمع راع، فإنهم قتلوا رعاء لقاح النبي ﷺ أو الصدقة ومثلوا بهم وذلك لأنهم قدموا على النبي ﷺ مضرورين فأنزلهم فلما أصبحوا قتلوا رعاء اللقاح وأخذوا عامدين إلى أرضهم فأحضروا إليه فقطع أيديهم، وأرجلهم وسمل أعينهم وجعلوا يقولون: الماء فيقول: «النار».

وأما ما رواه محمد بن جرير بفتح الجيم الطبري بسنده من كون المرسل إليهم هو جرير بن عبد الله فاردده وهناً بسكون الهاء أي لضعفه جداً لأن في روايته أن السرية كانت في سنة ست وإسلام جرير في العاشرة هذا ما وجَّهوا به الرد، لكن صار بعضهم إلى الجمع بأن كرزاً كان أمير السرية وكان جابر إذ ذاك كافراً وكانت الكفار تقاتل مع المصطفى حمية فحضر معهم.

فَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ إِلَى مَنْ كُونَهُ جَهَّزَ أَغْرَابِيًّا فَلَمْ يَطَّقْ فَأَسْلَمَ الْأَغْرَابِيُّ قَتَلَ أَبِي سَفْيَانَ فِيمَا فَعَلَا بِخَنْجَرٍ لِيَقْتُلَ النَّبِيَّ فَرَّاحَ عَمْرُو مَعَهُ صَحَابِي

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٢)، ومسلم (١٦٧١).

جَبَّارٌ أَوْ سَلَمَةٌ بَنُ أَسْلَمًا وَقَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَسْلَمَا
فَلَمْ يُطِيقَا قَتْلَهُ وَقَتْلَا عَمَرُو ثَلَاثَةَ وَأَسْرَى رَجُلًا

الثامن والعشرون: بعث عمرو بن أمية الضمري بفتح الضاد المعجمة إلى قتل أبي سفيان بن حرب أفضل قريش رأيًا في الجاهلية بسبب ما فعل من كونه جهز أعرابيًا بخنجر بكسر الخاء المعجمة ليقتل به النبي فلم يطق، وذلك أنه جاءه وهو بمسجد بني عبد الأشهل فذهب ليحجني على المصطفى فحذبه أسيد بن حضير بدخلة إزاره فإذا بالخنجر سقط من يده فقال المصطفى: «اصدقني».

قال: وأنا آمن؟، قال: «نعم» فأخبره فخلى سبيله فأسلم، فحينئذ أرسل المصطفى عمرًا وما راح وحده بل راح ومعه صحابي قيل: هو جبار بن صخر الأنصاري، وقيل: سلمة بن أسلم الأنصاري، وقال: «إن أصبتما منه غرةً فاقتلاه» فدخل مكة ومضى عمرو يطوف بالبيت فراه معاوية فعرفه فأخبر قريشًا فخافوه وطلبوه، وكان فاتكًا في الجاهلية فقالوا: لسم يأت بخير فحشدوا له فهرب ولم يجتمع بأي سفيان، وقدر الله أن يسلم بفتح أوله وثالثه، ولم يطق الضمري ورفيقه قتله، وقتل عمرو في الطريق ثلاثة رجال لقي عبد الله بن مالك فقتله، وقتل آخر من بني الدليل سمعه يقول:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ
وَأَسْرَ رَجُلًا فَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ.

بَعَثُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ نَجْدًا مَنْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرٍ قَدْ عُدَا
التاسع والعشرون: بعث أبان بن سعيد بن العاص الأموي إلى نجد وذلك البعث وقع من بعد فتح خيبر، وقوله: (قد عُدَا) بضم العين أي: قد عد بعض أهل السير هذه السرية من جملة البعوث، ويحتمل أن المراد قد عد بعد فتح خيبر.

ثُمَّ إِلَى ثُرَيْبَةَ بَعَثُ عُمَرُ نَحْوَ هَوَازِنَ أَتَاهُمُ السَّخْبَرُ
فَهَرَبُوا لَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا وَغَادَ رَاجِعًا لَنَحْوِ أَحْمَدَا

الثلاثون: بعثه عمر بن الخطاب في شعبان سنة سبع في ثلاثين رجلاً إلى تربة بضم المثناة وفتح الراء ثم باء موحدة بوزن فعلة موضع في بلاد بني عامر وقيل: واد بقرب مكة قريب من هوازن فأتاهم الخبر فهربوا وجاء عمر فلم يلق منهم أحدًا وعاد عمر راجعًا إلى النبي أحمد.

بَعَثَ أَبِي بَكْرٌ إِلَى كِلَابٍ يَعْقِبُهُ وَمَرَّ فِي كِتَابِي
بِأَنَّ بَعَثَهُ إِلَى فِزَارَةَ فِي مُسْلِمٍ قَدْ صَحَّ مَعَهُ زِيَادَةُ
الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: بَعَثَ أَبِي بَكْرُ الصَّدِيقُ ﷺ إِلَى بَنِي كِلَابٍ بِكُسْرِ الْكَافِ
وَالْتَخْفِيفِ قَبِيلَةَ بَنَجْدٍ، وَكَانَ بَعَثُهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ يَعْقِبُ بَعَثَ عُمَرَ فَقَتَلَ نَاسًا مِنْ
الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ شَعَارُهُمْ أُمْتُ أُمْتِ.

وقول الناظم: (ومر في كتابي) أي: في هذه الأرجوزة المسماة بنظم الدرر السنية
في سيرة خير البرية في البعث الرابع والعشرين أن بعث أبي بكر إلى بني فزارة في صحيح
مسلم قد صح مع زيادة في الحديث.

فَبَعَثَهُ بِشِيرًا الْأَنْصَارِي لَفُذَكَ فَسَاقَ فِي انْحِدَارِ
شَاءَ لَهُمْ وَنَعَمًا فَأَذْرَكُوا أَصْحَابَهُ فَفَقَتُوا وَسَفَكُوا
وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ وَسَلَّمَا مِنْ بَعْدِ مَا ارْتَثَ بِشِيرٌ قَدَمًا

الثاني والثلاثون: بعث بشيرًا بفتح الموحدة الأنصاري البصري والد النعمان إلى فذك
بالتحريك في شعبان سنة سبع إلى بني مرة ومعه ثلاثون رجلاً، فلقى رعاء الغنم فسأل عن
الناس فقالوا في بواديهم فساق النعم والشيء وانحدر بها نحو المدينة فخرج الصريخ إلى
أصحابها فأدركوا بشيرًا فتراموا بالنبل فقتل أصحاب بشير فقتلوه وسفكوا دماءهم
وساقوا أموالهم وسلم بشير من بعد ما ارتث بضمن التاء كما تقدم.

فَبَعَثَهُ اللَّيْثِيُّ غَالِيًا إِلَى مِيفَعَةٍ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ قَتَلَا
قَوْمًا وَسَاقَ نَعَمًا وَشَاءَ لَهُمْ وَلَمْ يَسْتَأْسِرْ مَنْ جَاءَ
قَتَلَ بِهَا أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ قَتَلَ مَنْ طَلَّقَ بِالتَّوْحِيدِ
قَالَ لَهُ لَهُ النَّبِيُّ هَلَّا قَلْبُهُ شَقَقَتْ عَنْهُ هَلْ تُحْسُ كَذِبُهُ
وَفِي الْبُخَارِيِّ بَعَثَهُ أَسَامَةَ لِلْحُرَقَاتِ سَاقَ ذَا تَمَامَةٍ
وَسِجْجِيءُ ذَكَرُ هَذِي الْوَاقِعَةِ مِنْ بَعْدِ ذِكْرِ لِبَعُوثِ عَشْرَةٍ

الثالث والثلاثون: بعثه غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة بفتح أوله وفاء مفتوحة
بعدها عين مهملة قرية أو موضع وراء بطن نخل من أرض نجد في رمضان سنة سبع،
وكان في مائة وثلاثين رجلاً وهجموا عليهم فقتلوا قوماً وساق نعاماً وشاء ولم يستأسرن
بفتح الراء قبل نون التوكيد الخفيفة من جاء منهم.

وقيل كان بهذه الغزوة أسامة بن زيد قُتِلَ فيها من أسلم وهو نَحِيك بن مرداس وكان نطق بكلمة التوحيد فقال: لا إله إلا الله فلما قدم قال له النبي: «أقُلتَهُ بعد أن قالها؟» قال: إنَّما قالها خوفاً من السيف، قال: «هَلَّا شَقَقْتَ عن قلبه هل تحس كذبه؟»^(١) -بكسر الـذال- أي: هل تعلم أنه صادق أو كاذب، قال أسامة: فما زال يكررها حتى تمتيت أُنِي لم أسلم إلا يومئذ، وبوب في البخاري على هذه السرية (باب بعث أسامة للحُرقات).

قال ابن الكلبي: بضم المهملة وفتح الراء، ثم قال نسبة إلى الحرقة من جهينة واسمه جهيش بن عامر، وساق البخاري هذا الحديث بتمامه، وسيجيء ذكر هذه الواقعة بعد ذكر عشرة بعوث وهو البعث الرابع والأربعون. وقوله: (عشرة) بسكون الشين للوزن.

فَبِعَثُّهُ بِشِيرًا الْأَنْصَارِي ثَانِيَةً لِيَمَنَ وَالْجَبَّارِ
لَغَطْفَانٍ هَرَبُوا وَقَدْ هَجَمَ أَرْضَهُمْ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا النَّعَمَ
فَسَاقَهَا وَرَجَلَيْنِ أُسْرَا فَأَسْلَمَا وَأُرْسِلَا إِذْ حَضَرَا

الرابع والثلاثون: بعثه أيضاً بشيراً الأنصاري إلى يمن بفتح المثناة التحتيّة موضع بقرب مكة، وقيل: هو بضم أوله، وقيل: بزيادة همزة مفتوحة أوله والميم ساكنة في الكل للوزن ثم نون آخره أرض لغطفان أو لبني فزارة، والجبار بفتح الجيم وباء موحدة مخففة بعدها ألف وراء اسم موضع بقرب خيبر، أو ماءً بقرب وادي القرى، أو أرض لفزارة وعذرة، أو بين فزارة وكتب، وكانت في شوال سنة سبع فلما قدم عليهم هربوا وهجم على أرضهم فلم يجد إلا النعم فساقها وأسر رجلين فأسلما حين أحضرا إلى المصطفى.

يَلِيهِ بَعَثُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَهُوَ بُعِيْدُ غُمَرَةِ الْقَضَاءِ
إِلَى سُلَيْمٍ جَاءَهُمْ عَنَ لَهُمْ فَجَاءَهُمْ وَقَدْ أَعَدَّوْا تَبْلَهُمْ
ثُمَّ تَرَامَوْا سَاعَةً فَقَتَلَا أَصْحَابُهُ وَهُوَ قَدْ تَحَامَلَا
مَنْ بَعْدَ جُرْحِهِ إِلَى أَنْ قَدِمَا عَلَى النَّبِيِّ سَالِمًا مُسْلِمًا

الخامس والثلاثون: بعث ابن أبي العوجاء بعد بعث بشر واسمه الأخرم بجاء معجمة وراء السلمي، والعوجاء بفتح العين المهملة وسكون الواو ثم جيم، وهذا البعث هو بُعِيد

(١) انظر: البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

بالتصغير أي: بعد عمرة القضاء بأيام قليلة، وعمرة القضاء في ذي الحجة سنة سبع، وكان بعثه إلى بني سليم مصغراً فخرج إليهم في خمسين رجلاً وتقدمه عين أي: طليعة لهم فحذروهم، فجاءهم الأخرم ومن معه وقد أعدوا للحرب ببليهم فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا فيما دعوتنا إليه، ثم تراموا بالنبل ساعة وأتت الأمداد من كل ناحية فقاتلهم الأخرم قتالاً شديداً فقتل عامة أصحابه وأصيب هو جريحاً مع القتلى فتحامل أي: تكلف المشي على مشقة من بعد جرحه إلى أن قدم على النبي سالماً من القتل.

فَبَعَثُ غَالِبٌ إِلَى الْكَدِيدِ إِلَى بَنِي الْمُلُوحِ الرُّقُودِ
شَنَّ عَلَيْهِمْ غَارَةً فَاسْتَأَقَا نَعَمَهُمْ وَأَذْرَكُوا اللَّحَاقَا
بِهِ فَبَجَاءَ اللَّهُ بِالسَّيْلِ فَمَا قَدَّرَهُمْ أَنْ يَسْتَرِدُّوا النَّعَمَا

السادس والثلاثون: بعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الكديد بفتح الكاف ودالين أولاهما مكسورة وبينهما مشاة تحتية موضع بين مكة والمدينة، فيه عين جارية عليها نخل كثير بين قديد وعسفان، إلى بني الملوح بكسر الواو المشددة وهم من بني ليث، وكان معه بضعة عشر رجلاً فشن عليهم الغارة في وجه السحر فاستاق نَعَمَهُمْ وقتل منهم جماعة كثيرة، وخرج صريخ القوم فأدركوا غالباً وأصحابه ولحقوا به بسرعة وجاء معهم ما لا قَبْلَ به لهم ففربوا منهم وما بقي بينهما إلا الوادي، فجاء الله بسيل عظيم فحال بينهما ولم يقدروا أن يستردوا نَعَمَهُمْ وهم ينظرون إليها عياناً مع كثرتهم.

وقول الناظم: (الرقود) أي: في بيوتهم حشو كمل به الوزن.

فَبَعَثَهُ ثَالِثَةٌ إِلَى فُذُكٍ أَجَلَ مُصَابٍ مَنُ بِهِ قَبْلُ هَلَاكٍ
مَعَ بَشِيرٍ فَأَصَابُوا النَّعَمَا وَقَتَلُوا فِي اللَّهِ قَتْلَى لَوْ مَا

السابع والثلاثون: بعث غالب بن عبد الله مرة ثالثة إلى فُذُكٍ في صفر سنة ثمان من أجل من أصيب بها من الصحابة وهلك بالقتل مع بشير الأنصاري في البعث المار، فخرج في مائتي رجل منهم أسامة بن زيد فأغاروا عليهم وقت الصبح فأصابوا منهم نَعَمًا وقتلوا منهم قتلاً ذريعاً في الله تعالى ولا يخافون لومة لائم.

بَعَثُ شُجَاعٌ بَعْدَهُ إِلَى بَنِي
يَسِيرٍ لِيَلَّا يَكُمُنُ التَّهَارَا
أَصَابَ مِنْهُمْ نَعَمًا وَشَاءَ
عَامِرٌ بِالسَّيِّ إِلَى هُوَازِنَ
فَسَارَ حَتَّى صَبَّحَ الدِّيَارَا
وَحَسُّوْا وَقَسَمُوا مَا جَاءَ

الثامن والثلاثون: بعث شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسيء بكسر السين المهملة وبالحمز اسم موضع على خمس ليال من المدينة في ربيع الأول سنة ثمان في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن، فكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً حتى صبحهم على غفلة فأصاب منهم نَعْمًا كثيرًا وشاء فقدموا بها المدينة فحَمَّسوها واقتسموا، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً وغابوا خمس عشر ليلة.

فَبَعَثَ كَعْبُ بْنُ عَمِيرٍ بْنُ غَفَارٍ لَذَاتِ إِطْلَاحٍ فَحَلُّوا بِالْذِيَارِ
فَوَجَدُوا الْجَمْعَ كَثِيرًا قَاتَلُوا مِنْ أَكْثَرِ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا
إِلَّا الْأَمِيرَ ابْنَ عَمِيرٍ كَعْبًا نَجَا جَرِيحًا كَانَ رِزًّا صَعْبًا

التاسع والثلاثون: بعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات إطلاح وهي وراء وادي القرى وقيل: هو أرض الشام في ربيع سنة ثمان في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى حلوا بها فوجدوا جمعاً كثيراً فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ورموهم بالنبل ثم قاتلوا قتالاً شديداً حتى قتلوا وما نجا منهم إلا أميرهم فإنه انفلت منهم وهو جريح، وكان رزاً صعباً على المسلمين شق على المصطفى وهم بالبعث إليهم فارتحلوا فتركهم.

فَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى قُضَاعَةَ بِمَرْمَى قَاصِي
ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَكَانَ مِنْ مَعَةِ غَدٍّ ثَلَاثُمِائَةٍ مَجْتَمِعَةٍ
فَبَلَغَ ابْنُ الْعَاصِ كَثْرَ الْجَمْعِ أَرْسَلَ يَسْتَمِدُّ قَدْرَ الْوُسْعِ
أَرْسَلَ لَهُ أَبَا عُبَيْدَةَ وَرَدَّ فِي مَائَتَيْنِ مِنْهُمَا شَيْخَا الرَّشَدِ
الْعُمَيْرَانِ يَلْحَقَانِ عُمَرَ فَلَاحَقُوهُ ثُمَّ سَارُوا طُرًّا
حَتَّى لَقُوا جَمْعًا مِنَ الْكُفَّارِ فَهَرَبَ الْكُفَّارُ لِلْأَذْبَارِ

الأربعون: بعث عمرو بن العاص إلى قضاة بذات السلاسل بضم السين الأولى وقيل: بفتحها وكسر الثانية ماء بأرض جذام على عشرة أيام من المدينة، وقيل: بها الماء اسمه سلسل فسميت به الغزوة ذات السلاسل، فخرج في جمادى الآخرة سنة ثمان في ثلاثمائة من وجوه المهاجرين والأنصار فسار الليل وكمن النهار حتى دنا منهم فبلغه كثرة الجمع فأرسل إلى المصطفى يستمده فأمدّه بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين منهم الشيخان أبو بكر وعمر، فلاحقوا بهم ثم ساروا جميعاً فلاحقوا جمعاً كثيراً من الكفار فحمل عليهم المسلمون فهربوا وتفرقوا.

فبعثهُ أيضاً أبَا عُبَيْدَةَ فِي عِدَّةٍ وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ
وَهُوَ الَّذِي تَعْرِيفُهُ جَيْشُ الْخَبْطِ يَلْقَوْنَ عَيْرًا لَقْرِيشَ فَفَرَطُ
وَكَانَ زَادُهُمْ جَرَابُ ثَمَرٍ فَأَكَلُوا الْخَبْطَ بَعْدَ الثَّمَرِ
وَفِيهِ أَلْقَى الْبَحْرُ حَوْتًا مَيِّتًا يَدْعُوهُ الْعَيْرَ حَتَّى ثَبَّتَا
شَهْرًا عَلَيْهِ الْجَيْشُ حَتَّى سَمِنُوا مِنْ أَكَلِهِ وَحَمَلُوا وَادَّهَنُوا
وَفِيهِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ نَحَرَ جَزَائِرًا لِلجَيْشِ حَتَّى انْتَمَرَا
عَمَرُ مَعَ أَمِيرِهِمْ فَمَنَعَا وَجَاءَ سَعْدٌ فَاشْتَكَى مَنْ مَنَعَا

الحادي والأربعون: بعثه أيضاً أبا عبيدة في رجب سنة ثمان في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ومنهم عمر إلى حي من جهينة مما يلي ساحل البحر على خمس ليال من المدينة، وهذا هو المعروف بجيش الخبط لأنهم أصابهم في الطريق جوع شديد فأكلوا الخبط وذلك لأنه بعثهم يلقون عيراً لقريش فسبقهم ولم يلقوا كيداً، وكان زادهم جراب تمر ففرغ فأكلوا الخبط بعده، فألقى البحر لهم حوتاً عظيماً ميتاً يسمى العنبر فأكلوا منه شهراً حتى ثابت إليهم أبدانهم حتى سمِنوا وادَّهَنُوا من ودكه.

ولما جاع الجيش في هذا البعث وكان فيهم قيس بن سعد بن عبادة فقال: من يشتري مني تمرًا يجزور يوفني الجزور هنا وأوفيه التمر بالمدينة فجعل عمر يقول: واعجباه لغلام لا مال له يدين في مال غيره، فباعه رجل من جهينة خمس جزائر فنحر لهم ثلاثاً في ثلاثة أيام كل يوم واحدة، فلما كان في اليوم الرابع انتمر عمر وأمير الجيش أبو عبيدة فمنعاه وقالوا: عزمنا عليك أن لا تنحر، فلما قفلوا اشتكى سعد إلى أبيه ممن منعه فلامه ووفى للجهني حقه وحمله وكساه فبلغ النبي فعل قيس فقال: «إنه في قلبه جود».

بَعَثْتُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِي بَعْدُ إِلَى خُضْرَةَ لِلْمَغَارِ
عَلَى مُحَارِبِ بْنِجَدٍ سَارَا لِيلاً بِهِمْ وَكَمَنَ النَّهَارَا
فَقَتَلُوا مَنْ جَاءَ وَاسْتَأْقُوا النَّعَمَ وَأَخْرَجَ الْخُمْسَ الْأَمِيرُ وَقَسَمَ

الثاني والأربعون: بعث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة بضم الحاء وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، وأمره أن يشن عليهم الغارة فصار الليل وكمن النهار فهجم عليهم وقتل من أشرافهم من جاء إليهم واستاقوا النعم وكانت الإبل مائي بعير والغنم ألفي شاة وسبوا سبياً كثيراً، وجمعوا الغنيمة فأخرج

الأمير الخمس وقسم الباقي فأصاب كل واحد اثني عشر بعيراً، وغابوا خمس عشرة ليلة.

قَبْعُهُ أَيضًا إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ حِينَ أَرَادَ غَزْوَ مَكَّةَ وَهُمْ
وَكَانَ فِي الْبَعَثِ مُحَلِّمٌ قَتَلَ عَامِرَ أَشْجَعٍ وَبَنَسَ مَا فَعَلَ
حَيَاهُمْ تُحْيِيَةُ الْإِسْلَامِ قَتَلَهُ قَبَاءٌ بِالْأَثَامِ
وَنَزَلَتْ ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ الْآيَا ثُمَّ لَقُوا النَّبِيَّ عِنْدَ السُّقْيَا
وَلابن إسحاق بأن ذي القصة لابن أبي حذرَدَ وَهُوَ غَزْوَةُ
بَعَثَهُ مَعَ رَجُلَيْنِ نَحْوَا رِفَاعَةَ جَاءَ يَرِيدُ غَزْوَا
لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ بَطْنِ مَنْ جَشَمَ قَتَلَهُ عُرْوَةُ وَاسْتَأَقَ النَّعْمَ

الثالث والأربعون: بعثه أبا قتادة أيضًا في ثمانية رجال في رمضان سنة ثمان إلى بطن إضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة واد دون المدينة قاله الطوسي.

وقال ابن الأعرابي: جبل لأشجع وجهينة، وقيل: واد لهم، وقيل: بين ذي خشب وذي مروة على ثلاثة برد من المدينة، وكان في البعث محلم بن جثامة الليثي فمر عامر بن الأضيظ الأشجعي فسلم بتحية الإسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محلم فقتله وسلبه متاعه وبعيره فلما لحقوا بالنبي نزل بهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] الآيات، فمضوا ولم يلقوا جمعًا فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خشب، فبلغهم أن النبي توجه إلى مكة فلحقوه بالسقيا.

وهذه القصة وهي الغزوة نسبها ابن إسحاق^(١) إلى ابن أبي حذرَدَ وهو عروة الأسلمي فإنه نكح امرأة وجاء إلى النبي يستعينه على نكاحها فقال: «ما عندي ما أعينك به» فمكث أيامًا، وأقبل رجل من بني جشم يُقال له رفاعَة بن قيس في بطن عظيم من بني جشم حتى نزل بهم بالغابة يريد أن يجمع قيسًا على حرب المصطفى فدعاه المصطفى وأرسل معه رجلين فقال: «اخرجوا حتى تأتوا بخبر هذا الرجل» فخرجوا فكمّن له عروة ليلاً حتى أمكن منه فنفضه بسهم فوقع في فؤاده فلم يتكلم فاحتز رأسه وكبر في ناحية العسكر فهربوا، واستاق عروة وصاحبه النعم وهي ثلاثة عشر بعيراً.

قَبْعُهُ أَسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ لِلْمُحَرَّقَاتِ وَهُوَ ذُو تَرْدِيدٍ

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦٢٦/٤).

هَلْ كَانَ فِي السَّبْعِ كَمَا قَدْ مَرَّ
أَوْ فِي الثَّمَانِ كَانَ وَهُوَ آخَرُ
وَفِيهِ قَتْلُهُ لِمَنْ قَدْ ذَكَرَا
كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ حَتَّى أَلْكَرَا

الرابع والأربعون: بعثه أسامة بن زيد إلى الحرقات وهو وقع فيه تردد هل كان في سنة سبع أو في سنة ثمان، والثاني أخرى أي: أحق بالاعتماد، وفي هذا البعث قتل أسامة من نطق بكلمة الشهادة فأنكر عليه النبي ﷺ ذلك كما مر.

فَبِعَثْ خَالِدَ لِهَدْمِ الْعُزَى فَحَزَّهَا بِاثْنَيْنِ حَزًّا حَزًّا
الخامس والأربعون: بعث خالد بن الوليد إلى هدم العزى أعظم أصنام قريش وبني كنانة وكانت بنحلة، فخرج لخميس بقين من رمضان سنة ثمان في ثلاثين فارساً فهدمها ثم رجع إلى المصطفى فأخبره فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «إنك لم تهدمها فارجع فاهدمها» فرجع وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس فضربها خالد فحزها باثنتين أي: قطعها قطعتين ورجع إلى المصطفى فأخبره فقال: «تلك العزى وقد أيسر أن تعبد أبداً».

فَبِعَثْ عَمْرُو ثَانِيًا فَهَدَمَهَا سَوَاعُ وَالسَّادُنُ أَضْحَى مُسْلِمًا
السادس والأربعون: بعث عمرو بن العاص في رمضان سنة ثمان إلى سواع صنم لهدمها فأنتهى إليه وعنده السادان فقال: لا تقدر على هدمهم، فقال: حتى الآن وأنت على الباطل، ثم كسره وهدم بيت خزائنه فلم ير ما يضر، فقال للسادان: كيف رأيت، قال: أسلمت لله.

فَبِعَثْ سَعْدٌ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ هَدَمَ مَنَاتَهُمْ عَلَى قَدِيدٍ
السابع والأربعون: بعث سعد بن زيد الأشهلي في رمضان سنة ثمان إلى مناة وكانت بالمشلل على قديد للأوس والخزرج وغسان، فخرج في عشرين فارساً فوصلها وعندها السادان فخرجت امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس تولول وتضرب صدرها فقال السادان: مناة دونك بعض عصاتك، فقتلها سعداً وكسر الصنم ثم رجع ولم يجد بأساً.

فَبِعَثْ خَالِدٌ إِلَى جُدَيْمَةٍ ثَانِيَةً يَدْعُو لَخِيرِ مَلَّةٍ
لَيْسَ مَقَاتِلًا وَكَانُوا أَسْلَمُوا قَالُوا صَبَّأْنَا وَهُوَ لَفْظٌ مِنْهُمْ
أَمْرُهُمْ خَالِدٌ أَنْ يُقَاتِلَ كُلَّ أَسِيرَةٍ فَبَعْضٌ قَتَلَ
وَبَعْضُهُمْ أَمْسَكَ كَابِنِ عَمْرًا وَصَحْبُهُ لَمْ يَقْتُلُوا مِنْ أَسْرًا
قَالَ النَّبِيُّ إِذْ أَتَاهُ الْوَارِدُ أَبْرَأَ مِمَّا قَدْ أَتَاهُ خَالِدُ

وَذَى لَهُمْ قَتَلَاهُمُ النَّبِيُّ ذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ
 الثامن والأربعون: بعثه خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة ناحية يلملم بأسفل مكة في شوال سنة ثمان داعياً إلى الإسلام ولم يعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين فانتهى إليهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: صبياناً وهو لفظ يُفهم الإسلام عندهم، ثم صرحوا به فقالوا: مسلمون آمنّا بمحمد وصلينا وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنّا فيها، قال: فما بالُ السلاح عليكم؟، قالوا: بيننا وبين قوم من العرب عداوةٌ فخفنا أن تكونوا هم، قال: ضعوا السلاح فوضعه قال: استأسروا فاستأسروا فأمر بعضهم فكف بعضاً وفرقهم في أصحابه، ثم نادى في السّحر من كان معه أسير فليقتله فبعضهم قتل من يده وبعضهم أمسك عن قتله كابن عمر -رضي الله عنهما- وأصحابه، ثم أتوا المصطفى فأخبروه فتبرأ مما فعله خالد ثم جهز لهم ديات من قتل منهم مع علي عليه السلام.

فَبِعَثُّهُ طُفَيْلاً الدَّوسِيَّ لَدِي الْكَفَيْنِ صَنَمًا فَهَيَّا
 نَارًا لَهُ وَمُنْشِدًا فِي ذَلِكَا يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَا
 مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا إِلَيَّ حَشَوْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا

التاسع والأربعون: بعثه الطفيل بن عمرو الدوسي في شوال سنة ثمان إلى هدم ذي الكفين صنم لعمر بن حمزة الدوسي، فخرج سريعاً فهياً له ناراً فحرقه بها وجعل يرتجز ويقول: (يا ذا الكفين لست من عبادك) إلخ. ما في النظم ثم رجع فوأي المصطفى بالطائف في أربعمئة من قومه.

فَبِعَثُ قَيْسٍ وَهُوَ ابْنُ سَعْدٍ إِلَى صَدَاءِ أَمْرُوا بِالرَّدِّ
 لَمَّا أَتَى أَخُو صَدَاءِ التَّزَامَا بِقَوْمِهِ أَتَى بِجَمْعِ أَسْلَمَا
 الْخَمْسُونَ: بعثه قيس بن سعد بن عبادة إلى قبيلة صداء بالمد، فأتى واحد منهم إلى المصطفى والتزم بإسلام قومه أجمعين فأمر المصطفى برد البعث ثم وئى بما التزم.

فَبِعَثُّهُ ضَحَاكَا الْكِلَابِيَّ لِقَوْمِهِ وَهُمْ بَنُو كِلَابٍ
 الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ: بعثه الضحّاك بن سفيان الكلابي ومعه جيش إلى قومه بني كلاب في ربيع الأول سنة تسع فلقوهم بالسرّح فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم.

فَبِعَثُّهُ عُيَيْنَةَ الْفَزَارِيَّ إِلَى تَمِيمٍ أَجْلَلَ أَخَذَ النَّارَ

إذ مَنَعُوا مُصَدِّقَ الرَّسُولِ
يسيراً لئلاَّ يكمنُ التَّهَارَا
أسراً منهم فوق خمسين قدم
فجاء عشرٌ للنبي منهم
عُطَارِدًا خطبَ ثمَّ كَلَّمَا
ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ الْمَنْزَلُ
من أخذ ما أمرَ بالفضول
صَبَّحَهُمْ فَهَرَبُوا فَرَارَا
على النَّبِيِّ بِهِمْ كَمَا عَلِمَ
من رؤساء قومهم فقلدوا
ردُّ لهم أسرارهم والمَعْتَمَا
في الحُجُرَاتِ فيهم ليعقلوا

الثاني والخمسون: بعثه عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم في حرم سنة تسع في خمسين فارساً ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري لأجل أخذ الثأر من بني تميم لكونهم امتنعوا من دفع الزكاة للمصدق وهو الساعي الذي بعثه المصطفى لأخذها، فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم فهربوا فأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً فجلبهم إلى المصطفى فأمر المصطفى بحبسهم، فقدم عشرة من رؤسائهم وقدموا منهم عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فأمر المصطفى ثابت بن قيس فأجابه فرد عليهم المصطفى الأسرى والغنيمة ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية.

فَبِعَثْ قُطْبَةَ هُوَ ابْنُ عَامِرٍ
سَنَةَ تِسْعَ أَنْ يَشْنُوا الْغَارَةَ
فَكَثَّرَ الْقَتْلَى وَسَاقُوا النِّعْمَا
لَخَنَعَمَ بَيْشَةَ فِي صَفَرٍ
فَفَعَلُوا وَأَوْقَعُوهُمْ غَارَةَ
مَعَ نِسَاءِهِمْ فَكَانَ مَغْنَمًا

الثالث والخمسون: بعث قطبة بن عامر بن حديدة إلى خَنَعَمَ بفتح الحاء المعجمة وسكون المثلثة وفتح العين المهملة، اسم جبل بناحية بيشة بكسر الموحدة التحتية وسكون المثناة التحتية وفتح الشين المعجمة واد من أودية تهامة من أعمال مكة، وحذف الأحوص في شعره الهاء وأتى بها على التذكير، وكان في صفر سنة تسع في عشرين رجلاً وأمره المصطفى أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم وجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضر فأغاروا عليهم فاقتلوا قتلاً شديداً حتى كثر الجرحى والقتلى في الفريقين، ثم ساق قطبة النعم شاء والنساء إلى المدينة فكانت مغنماً وافراً فخمس وقسم.

فَابْنُ مُجَزَّزٍ وَالْأَسْمُ غَلَقَمَةَ
وَابْنُ حُدَافَةَ بَعِثَ يَمَمَةَ

للجيش في جزيرة في البحر فهِرَبُوا وفيه بدؤُ أَمْر
ابن حُذَافَةَ لَمَنْ كَانَ مَعَهُ أَنْ يَقْعُوا فِي النَّارِ ثُمَّ مَنَعَهُ
وَقَالَ كُنْتُ مَازِحًا فَأَخْبِرُوا بِذَلِكَ النَّبِيِّ قَالَ مَنَكِرًا
لَا تَسْمَعُوا وَلَا تَطِيعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ بَلْ ذَاكَ فِي الْمَعْرُوفِ

الخامس والخمسون^(١): بعثه علقمة بن مجرز المدلجي في ثلاثمائة منهم عبد الله بن حذافة السهمي إلى ناس من الحبشة في جزيرة في البحر بناحية جدة قصدهم فخاض إليهم البحر فهربوا منه، فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم فأذن لهم وأمر عليهم ابن حذافة وكانت فيه دعاية فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارًا يصطلون عليها فقال: عزمت عليكم أن تقفوا فيها فتحجزوا حتى ظن أنهم واقعون، قال: اجلسوا إنما كنت مازحًا معكم، فلما قدموا أخبروا النبي بذلك فقال منكرًا عليهم إطاعتهم لأمرهم في الثوب في النار: «من أمركم بمَعْصِيَةٍ فَلَا تَطِيعُوهُ إِلَّا طَاعَةً فِي الْمَعْرُوفِ»^(٢).

بَعَثْتُ عَلَيَّ بَعْدَهُ لِيَهْدِمَا الْفُلْسَ بِالْفَاءِ وَكَانَ صَنْمًا
لَطِيءٍ فَشَنْ غَارَةً عَلَى خُلَّةِ آلِ حَاتِمٍ حَتَّى مَلَا
أَيْدِيَهُمْ سَبِيًّا وَشَاءَ وَتَعَمَّ وَخَرَّبَ الْفُلْسَ جَمِيعًا وَغَنَمَ
أَدْرَاعَهُ ثَلَاثَةً وَمَخْذَمًا مَعَ الْيَمَانِيِّ وَرُسُوبَ مَغَنَمَا
وَقَسَمَ السَّبِيَّ وَآلَ حَاتِمٍ عَزَلَهُمْ لِمُصَاحِبِ الْمَرَاحِمِ
قَامَتْ لَهُ سَفَاةٌ فَاسْتَأْمَنْتُ مُحَمَّدًا فَحِينَ مَنَ اسْلَمْتُ
سَافَرْتُ الشَّامَ إِلَى عَدِي بِشُورِهَا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ
وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ الْمُرْسَلَا فِي الْبَعثِ خَالِدٌ كَمَا قَدْ نُقِلَا

السادس والخمسون: بعثه علي بن أبي طالب عليه السلام في خمسين ومائة من الأنصار إلى الفلّس بالفاء المفتوحة وسكون اللام وكان صنمًا لطّي، فشن الغارة على حلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلّس وحرقوه وملؤوا أيديهم من السبي والتّعَم والشاء ووجدوا في خزانة الفلّس ثلاثة أدرع وثلاثة أسياف المخدّم واليماني والرسوب كانوا يسمونها بذلك

(١) كذا في الأصل، والصواب: الرابع والخمسون، فأنبتنا ما في الأصل كما هو، ولتنبه لاضطراب العدد.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

فصار ذلك كله مغنماً، فلما نزلوا ركك عزل للمصطفى الخمس والمخزم والرسوب وقسم السي على من كان معه، وأما آل حاتم فلم يقسمهم بل عزلهم لصاحب المراحم وهو المصطفى فقدم بهم عليه فقامت له سَفَانة بفتح السين والفاء أخت عدي بن حاتم فاستأمنت أي: طلبت أن يؤمّنها ففعل فحين مَنَّ عليها بالعتق أسلمت، وخرجت إلى الشام إلى أخيها عدي بن حاتم فأشارت عليه بالقدوم على المصطفى ﷺ فقدم وأسلم بشورها أي: بإشارتها.

وذكر الحافظ محمد بن سعد^(١) في حديث هشام بن محمد أن المرسل في البعث المذكور إنما هو خالد بن الوليد كما نقله عنه قطب الحلي في السيرة.

فبعثه عكاشة بن محصن ثانياً إلى الجباب مَوطن
لَغَطَفَانَ أَوْ بَلِيٍّ وَعَذْرَةَ أَوْ بَيْنَ كَلْبٍ وَبَنِي فِزَارَةَ

السابع والخمسون: بعثه عكاشة بضم أوله ابن محصن بكسر أوله مرة ثانية في ربيع الآخر سنة تسع إلى الجباب بكسر الجيم وقيل: بل بضمها ثم موحدتين تحتيتين بينهما ألف، ويقال: الجباية بالهاء والجباب موطن أي: أرض لغطفان، أو لبلي بفتح الموحدة وكسر اللام وعذرة بفتح فسكون أو هو مكان بين ديار كلب وبني فزارة خلاف.

فبعثه إلى أكيدر دومة
وقال يا خالد سوف تجده
فأرسلت بقراً وحش حكت
نشطه ذاك يصيد البقرا
أجاره خالد ثم صالحه
مع رماح وجمال ورحل
ابن الوليد خالداً في فئة
وهو يريد بقراً يصيده
قرونها حائطه في ليلة
شدت عليه خيله فاستأسرا
على رقيق وذروع صالحة
معه إلى النبي بعدما فصل

الثامن والخمسون: بعثه أي: المصطفى خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل بضم الدال رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً، ودومة على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق واثنى عشر من

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١٢٤).

مصر، سميت بدومان بن إسماعيل كان نزلها، فبعث إليه خالد بن الوليد في رجب سنة تسع ومعه أربعمائة وعشرون فارساً فقال له المصطفى: «يا خالد سوف تجده يريد يصيد بقر وحش»^(١). فأناه خالد ليلاً وقرب من حصنه فأرسل الله بقر وحش حكمت بقرونها حائط قصره في ليلة مقمرة فنشطه ذلك لأن يصيده، فخرج فشدت عليه خيل خالد فاستأسر خالد أكيدر وأجاره من القتل ثم صالحه على ثمانمائة رأس من الرقيق وأربعمائة درع سالحة للقتال بها وأربعمائة رمح وألفي بعير وفتح له الحصن وقبض ذلك منه، فعزل للمصطفى صفية ثم قسم الباقي، ورحل أكيدر معه إلى النبي فقدموا بعدما انفصل أمر الصلح فصالحه المصطفى على الجزية وخلق سبيله وحقن دمه ودم أخيه وكتب لهم كتاباً بالأمان.

وقول الناظم: (يصيده) بفتح المثناة التحتية أوله وصاد وياء مشددين أي: يصيدها، وقوله: (فأرسلت) مبني للمفعول ونائب الفاعل بقر، وفصل بفتح الفاء والصاد.

فبعثه أيضاً إلى عبد الممدان أو لبني الحارث نحو نجران
أتاهم فأسلموا وأقبلوا معه إلى النبي حتى وصلوا

التاسع والخمسون: بعث خالد بن الوليد أيضاً في ربيع الأول سنة عشر إلى بني عبد الممدان بفتح الميم والداد أو إلى بني الحارث بن كعب نحو نجران بفتح النون وسكون الجيم، مدينة بالحجاز من شق اليمن، سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب أول من نزلها، قالوا: وهي من أطيب بلاد الحجاز، فأتاهم ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا وأقبلوا معه إلى النبي ﷺ حتى وصلوا إليه فأقاموا عنده مدة ثم رجعوا إلى بلادهم.

بعث علي بعده إلى اليمن وهي بلاد مذحج ففرق
أصحابه جاءوه بالنساء وولدهم ونعم وشاء
ثم دعاهم لم يجيبوا فقتل منهم رجالاً نحو عشرين رجل
فأهزموا فكف ثم إذ دعا ثانية أجاب بعض مسرعاً
فأسلموا وجمع الغنائم خمسها لله ثم قسمها

الستون: بعثه علي بن أبي طالب إلى اليمن وكان ذلك بعد بعث خالد إلى بني عبد

المدان في رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده، وقال له: «امض ولا تلتفت ولا تقاثلهم حتى يُقاتلوك» فخرج في ثلاثمائة فارس وهي أول خيل دخلت تلك البلاد وهي بلاد مَذْحِج بفتح الميم، وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة ففرق أصحابه فيهم فغابوا ثم جاءوهم بنسائهم وأولادهم ونعمهم وشائهم، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ورَمَوْه بالنبل فحمل عليهم فقتل منهم نحو عشرين رجلاً فانهمزوا فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام مرة ثانية فأجاب بعض رؤسائهم مسرعاً فتبعوه فأسلموا، فجمع الغنائم وقسمها فأخرج خُمسها لله ولرسوله ثم قسم البقية على من معه، ثم قفل فوافى المصطفى بمكة وقد قدمها للحج.

وقول الناظم: (فقرن) بتخفيف نون التوكيد، وولدهم بضم فسكون ونعم ورجل بالوقف بلغة ربيعة.

بَعَثُ بَنِي عَبْسٍ وَكَانُوا وَفَدُوا	لَهُ إِلَى عَيْرِ قُرَيْشٍ فَهَدُّوا
آخِرُ مَنْ بَعَثَهُ أَسَامَةُ	لَأَهْلِ أَتْبَتِي لَسَمَ يَرْمُ مَقَامَهُ
حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ قَبْلَ سَفَرِهِ	رَدَّ أَسَامَةَ بِجَمْعِ عَسْكَرِهِ
بَعَثَهُ الصَّدِيقُ حَتَّى أَرْهَقَا	فَاتَّلَ زَيْدٌ وَسَبَا وَخَرَقَا

الحادي والستون: بعث بني عبس بفتح فسكون وذكر ابن سعد^(١) في الوفود أنهم كانوا وفدوا له فهداهم الله إلى الإسلام فبايعوه وهم تسعة أنفس فبعثهم إلى عير قريش التي تحمل ميرثهم.

وقول الناظم: (فهدوا) بالبناء للمفعول أي: فهداهم الله إلى الإسلام.

وقوله: (آخر) بالرفع مبتدأ أي: آخر من بعثه المصطفى على سرية أسامة بن زيد بعثه لأهل أتبتي بضم الهمزة وسكون الموحدة التحتية ونون وألف مقصورة موضع بناحية اللقاء من الشام في صفر سنة إحدى عشرة، فخرج إلى الجرف وعسكر به، فبدأ بالمصطفى وجعه وثقل فجعل يقول: «أنفذوا بعث أسامة»^(٢) فلم يرم بفتح فكسر أي: لم يبرح من مقامه بالجرف حتى قضى النبي نجيته.

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٢٢٥).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٤٤).

فلما بويح للصدیق بعثه فسار إليهم فشن عليهم الغارة وقتل من أشرف له حتى أرق دمائهم وقتل أسامة قاتل أبيه زيد وسبا من قدر عليه منهم وحرق، ثم رحل فقدم المدينة ولم يصب من المسلمين أحد. وقول الناظم: (زيد) بالجر بدل من الهاء.

واختلفوا في عددها فالأكثر عن قدر ما عدت منها قصروا ولابن نصر عالم جليل بل فوق سبعين وفي الإكليل أن البعوث عددها فوق المائة ولم أجد ذا لسواء ابتداء

اختلف أهل السير في عدد البعوث والسرايا فالأكثر منهم عن قدر ما عد في النظم منها وهو أحد وستون قصروا بالتشديد أي: لم يزيدوا عليها بل نقصوا، وقال محمد بن نصر: بل هي فوق السبعين.

وفي كتاب الإكليل للحاكم أن عددها فوق مائة، وذكر الناظم أنه لم يجد هذا القول لغيره بل هو ابتداءه لكن تبعه عليه بعضهم.



باب ذكر كتابه - عليه السلام -

جمع كاتب أي الذين كتبوا له.

كتابهُ اثنان وأربعون	زيد بن ثابت وكان حيناً
كاتبه وبعده معاوية	ابن أبي سفيان كان واعية
كذا أبو بكر كذا علي	عمر عثمان كذا أبي
وابن سعيد خالدة حنظلة	كذا شرحبيل أمه حسنة
وعامر وثابت بن قيس	كذا ابن أرقم بغير ليس
واقصر المزني مع عبد الغني	منهم علي ذا العدد المبين
وردت من مفترقات السير	جمعاً كثيراً فاضبطته واخضر

كتابه اثنان وأربعون رجلاً زيد بن ثابت الأنصاري أحد فقهاء الصحابة، وقول الناظم: (وكان حيناً كاتبه) بنصب كاتبه خبر كان، وبعده معاوية بن أبي سفيان وكان واعية أي: كثير الحفظ، وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب كان كاتب العهود والصلح، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب كان هو وزيد يكتبان

الوحي، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي، وحنظلة بن ربيع بن صيفي ابن أخي أكرم ابن صيفي حكيم العرب، وشرجيل -بضم الشين- بن عبد الله بن المطاع الكندي، وتعرف أمه بحسنة وينسب إليها فيقال شرجيل ابن حسنة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وثابت بن قيس بن شماس، وعبد الله بن الأرقم القرشي الزهري، وعلى هذا العدد وهو ثلاثة عشر اقتصر الحافظ جمال الدين المزني بكسر الميم والحافظ عبد الغني المقدسي في سيرتهما^(١)؛ وزاد الناظم عليهما من مفرقات السير جمعًا كثيرًا وبلغت اثنين وأربعين وهي المذكورة في قوله:

طلحة والزبير وابن الحضرمي	وابن رواحة وجهما فاضم
وابن الوليد خالدًا وحاطبًا	هو ابن عمرو وكذا حويطبًا
خديفة بُريدَة أبانا	ابن سعيد وأبا سفيانا
كذا ابنه يزيد بعض مسلمة	الفتح مع محمد بن مسلمة
عمرو هو ابن العاص مع غيرة	كذا السجل مع أبي سلمة
كذا أبو أيوب الأنصاري	كذا معيقب هو الدوسي
وابن أبي الأرقم أرقم أعدو	فيهم كذا ابن سلول المهدي
كذا ابن زيد واسمه عبد الله	والجد عذريه بلا اشتباه
واعدو جهيمًا العلا بن عتبة	كذا حصين بن نمير أثبت
وذكروا ثلاثة قد كتبوا	وارتد كل منهم وانقلبوا
ابن أبي سرح مع ابن خطل	وآخر أبهم لم يسم لي
ولم يعد منهم إلى الدين سوى	ابن أبي سرح وباقيهم غوى

من كتبه طلحة بن عبيد الله أحد العشرة كما ذكره ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم، والزبير بن العوام ذكره ابن عبد البر وغيره^(٢)، والعلاء بن الحضرمي ذكره النيسابوري وغيره، وعبد الله بن رواحة الأنصاري ذكره ابن عبد البر، وجهم بن سعد ذكره القرطبي في الأعلام، وخالد بن الوليد ذكره ابن عساكر وغيره، وحاطب بن عمرو

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ لعبد الغني (ص ٣٣).

(٢) انظر: عيون الأثر (٢/٣٨٣).

الأوسي وحويطب العامري ذكرهما ابن سيد الناس^(١)، وحذيفة بن اليمان ذكره الثعالبي، وبريدة بن الحصيب الأسلمي ذكره هلال، وأبان بن سعيد بن العاص ذكره ابن عبد البر، وأبو سفيان بن حرب وابنه يزيد ذكرهما ابن سيد الناس^(٢) عنه.

وقول الناظم: (بعض مسلمة الفتوح) أي: يزيد هو بعض من أسلم يوم فتح مكة ذكره ابن حزم، ومحمد بن مسلمة الأوسي وعمرو بن العاص ذكرهما ابن عبد البر، والمغيرة بن شعبة الثقفي والسجل بكسر السين المهملة والجيم ذكرهما ابن الأثير وغيره^(٣)، وأبو سلمة عبد الله المخزومي وأبو أيوب الأنصاري واسمه زيد بن سهل ذكرهما اليعمري^(٤)، ومعيقب اللوسي والأرقم بن أبي الأرقم ذكرهما ابن عساكر، وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول.

وزاد الناظم قوله: (المهتدي) إشارة إلى أن المراد الابن لا الأب الذي هو رأس المنافقين، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان ذكره ابن سعد^(٥)، وجهيم مصغراً المطلي ذكره ابن الأثير وغيره، والعلاء بن أبي عتيبة ذكره ابن عساكر، وحصين بن غمير مصغراً ذكره القرطبي.

وذكر أهل السير ثلاثة كتبوا للنبي وارتد كل منهم عن الإسلام وانقلبوا إلى الكفر وهم عبد الله بن أبي سرح وابن خطل وكاتب آخر مبهم ذكره ابن دحية، ولم يُعد من هؤلاء الثلاثة إلى الإسلام إلا ابن أبي سرح وباقيهم الاثنان الآخران ابن خطل والرجل المبهم غوى بفتح الواو أي: مات كل منهم (على الكفر).



(١) انظر: عيون الأثر (٣٨٣/٢).

(٢) انظر: عيون الأثر (٣٨٣/٢).

(٣) انظر: الإصابة للحافظ ابن حجر (١٥٠/٢)، وعيون الأثر (٣٨٣/٢).

(٤) انظر: عيون الأثر (٣٨٣/٢).

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٤٠٦/٣).

باب ذكر رسله عليه الصلاة والسلام إلى الملوك

أَوَّلَ مَنْ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ لَمَلِكَ عَمْرُو هُوَ الضَّمْرِيُّ
إِلَى النَّجَاشِيِّ فَلَمَّا قَدِمَا نَزَلَ عَنْ فَرَّاشِهِ فَأَسْلَمَا
وَأَرْكَبَ الْمُهَاجِرِينَ الْبَحْرَا إِلَيْهِ فِي سَفِينَتَيْنِ طُرَّا
زَوْجَهُ رَمَلَةً عَمْرُو قَبْلَهُ لَهُ وَمَهْرَهَا النَّجَاشِيُّ بِذَلِكَ

أول من أرسل المصطفى للملك من الملوك عمرو بن أمية الضمري أرسله إلى النجاشي أصحمة ملك الحبشة فلما قدم عليه بالكتاب نزل عن فراشه أدباً مع الكتاب فأسلم وحسن إسلامه، وأركب النجاشي المهاجرين البحر وساروا إلى النبي ﷺ في سفينتين مع عمرو بن أمية طراً أي: جميعاً، وزوج النجاشي للنبي أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش فمات هناك، وقيل: عمرو بن أمية عقد النكاح للنبي.

وقول الناظم: (مهرها) بفتح الميم مع سكون الهاء وفتح الراء مع الهاء أي: دفع النجاشي المهر من عنده بدل النبي وهو أربعة آلاف درهم.

وَدَحِيَّةٌ أَرْسَلَهُ لِقَيْصَرَا وَهُوَ هِرْقُلُ فَعَصَى وَاسْتَكْبَرَا
وَابْنُ خُذَافَةَ مَضَى لِكَسْرَى فَمَزَّقَ الْكِتَابَ بَغْيَا نُكْرَا

وأرسل المصطفى دحية الكلبي لقيصر ملك الروم وهو هرقل في دمشق فخاف على ملكه فعصى واستكبر عن الإيمان لكنه أخذ كتابه ووضع في قسبة من ذهب تعظيماً له فدعا له المصطفى بأن يثبت ملكه، وأرسل ابن خذافة لكسرى واسمه أبرويز فقرأ الكتاب ثم مزقه نُكْرَا بضم الكاف أي: مُتَكْرراً فدعا (المصطفى) عليه بأن يُمزق الله ملكه فمزقه.

وَحَاطَبًا أَرْسَلَ لِلْمَقَوْسِ فَقَالَ خَيْرًا وَدَنَا لَمْ يُؤْيَسِ
أَهْدَى لَهُ مَارِيَةَ الْقُبْطِيَّةُ وَأَخْتَهَا سِيرِينَ مَعَ هَدِيَّةٍ
مَنْ ذَهَبَ وَقَدَحٍ مِنْ عَسَلٍ وَطُرفٍ مِنْ مِصرٍ مِنْ بَنَاتِ الْعَسَلِ

وأرسل المصطفى حاطباً للمقوقس ملك الإسكندرية فقال المقوقس خيراً أي: قال: ننظر في أمر هذا الرجل فإنه لا يأمر بمرهوب منه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ودنا أي:

قرب إلى الإسلام ولم يؤمن، وأهدى إلى النبي هدايا منها مارية القبطية وأختها سيرين مع هدايا كثيرة منها ألف مثقال من ذهب وقدح من قوارير وطرف من عسل، وطرف بضم الطاء جمع طرفه ما يستطرف أي: يستملح من مصر بنها العسل، فدعا المصطفى لعسل بنها بالبركة ووصلت الهدية إليه سنة سبع وقيل: ثمان، قال ابن الأثير: ولم يسلم المقوقس.

وأرسل ابن العاص حتى أدى كتابه ابني الجلندى
فأسلمنا وصدقنا وخليانا ما بين عمرو والزكاة هدينا

وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان بضم العين ابني الجلندى بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال مقصوراً، فلما قرأ كتابه أسلمنا وصدقنا الرسول فيما جاء به وخليانا بين عمرو وبين الزكاة أي: مكناه من قبضها من رعاياهم.

وأرسل السليط لليمامة لهوذة ملك بني حنيفة
فاكرم الرسول إذ أنزلته وقال ما أحسن ما يدعو له
سأل أن يجعل بعض الأمر له فلم يعط قضى في الكفر

وأرسل السليط بفتح المهملة إلى اليمامة لهوذة بضم فسكون وصرفه الناظم للضرورة ملك بني حنيفة بفتح الحاء المهملة وصرفه أيضاً للضرورة، فلما قرأ الكتاب أكرم الرسول وأنزله عنده وحياء وأجازه، وقال: ما أحسن ما يدعو إليه وأجله، وأرسل يسأل النبي أن يجعل له بعض الأمر فلم يعط البناء للمفعول أي: ما أجابه النبي إلى ذلك. وجاءه جبريل فأخبره أنه قضى أي: مات على النصرانية.

كذا شجاع الأسدي يلقى الحارث الغساني ملك البلقاء
رمى الكتاب قال إني سائر إليه رده هرقل قيصر
وقيل بل أرسله لخبلة فقارب الأمر ولكن شغلته
الملك ثم في زمان عمرا أسلم ثم ارتد حتى كفرا

وكذا شجاع - بضم المعجمة - ابن وهب الأسدي أرسله يلقى بفتح أوله الحارث الغساني ملك البلقاء من عمل دمشق فأتاه بالكتاب وهو بغوطة دمشق فقراً ثم رمى به وقال: من ينازع في ملكي إني سائر إليه ولو كان باليمن وعزم على ذلك فردده قيصر وهو هرقل، وقيل: إنما أرسل شجاعاً إلى جبلة بالتحريك الغساني آخر ملوك بني غسان فلما قدم عليه قارب الأمر لكن شغله الملك فلم يسلم، ثم أسلم في زمن عمر على يديه ثم لطم

عين رجل من مزينة ففضى عمر بالقصاص فأنف جيلة وقال: عيني وعينه سواء لا أقيم بهذه ولحق بعمورية ثم ارتد ومات بها كافراً.

وابن أبي أمية المهاجرًا أرسله الحارث بن حمير
عبد كلال أبه فردداً أنظر في أمري وبعده وفداً
على النبي مسلماً فاعتقه وفرش الردا له ومقنه

قوله: (وابن) بالنصب ويجوز رفعه من باب اشتغال العامل عن المفعول أي: أرسل المهاجر بن أمية إلى الحارث بن حمير بكسر الحاء، وقوله: (عبد كلال) بضم الكاف، (وأبه) بضم الباء الموحدة أي: هو أبو الحارث على حد: (بأبه اقتدى عدي في الكرم). أي: وبعث رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي شقيق أم سلمة زوجته إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن وأمره أن يقرأ عليه سورة لم يكن يفعل، فتردد وقال: أنظر في أمري، وبعد ذلك هداه الله فوفد على المصطفى مسلماً فاعتقه وفرش له الردا بالقصر للضرورة ومقنه بشد الميم أي: أحبه فقال فيه: «يقدم عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين مليح الخدين» فكان هو^(١).

وأرسل العلاء أي ابن الحضرمي لمنذر وهو ابن ساوى الدارمي
كان مع العلاء أبو هريرة فانقاد منذر بخير ملة
وفد المنذر عام الفتح أو في عام تسعة خلافاً قد حكوا

وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى بفتح المهملة والواو وقيل: بكسرها، الدارمي صاحب البحرين وكان مع العلاء أبو هريرة، فانقاد المنذر لملة الإسلام وهي خير ملة، وفد عام الفتح^(٢) على المصطفى مع الجارود وقيل: إنما قدم في سنة تسع قد حكوا هذا الخلاف ولم يرجحوا.

كذلك قد أرسل معاذاً وأبا موسى إلى مخاليف فافتربا
وقال يسراً ولا تعمسرا وبشراً طوعاً ولا تئفرا

(١) تعقب الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢٨٣/١) هذا بقوله: «والذي تضافرت به الروايات أنه أرسل بإسلامه وأقام باليمن». اهـ

(٢) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (٣٣٤/٢): «وذكر ابن قانع أنه وفد على النبي ﷺ، قال أبو الربيع بن سالم: ولا يصح ذلك». اهـ

وكذا أرسل معاذ بن جبل الخزرجي وأبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري إلى مخالف بفتح الميم وخاء معجمة جمع مخلاف وهو الكورة أو الإقليم.
وقول الناظم: (فاقتربا) أي: بعث كلا منهما إلى مخلاف وتقاربا في المكانين وقال لهما: «يسرا ولا تعسرا ويسرا وكونا طوعا» أي: تطاوعا ولا تنفرا الخلق عن الإسلام، فانطلق كل منهما إلى عمله وقبلا وصيته.

كذا جرير ذي الكلاع ونحو ذي عمرو ونعم الداعي
دعاهما لملة الإسلام فأسلمما لله باستسلام

وكذا أرسل جرير بن عبد الله البجلي نحو ذي الكلاع بالتخفيف ونحو ذي عمرو يدعوها إلى الإسلام ونعم الداعي جرير بن عبد الله دعاهما لملة الإسلام فأسلمما لله باستسلام أي: بانقياد دون محاربة وتوفي المصطفى وجرير عندهم.

وعمر الضمري إلى مسيلمة فلم يؤب عن كذبه ولزمه
أرسل له كتابه مع سائب ثانية فلم يكن بالسائب
وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة باليمامة فلم يؤب أي: يرجع عن كذبه بل لزمه، ثم أرسل له كتابه مرة ثانية مع السائب بن العوام أخي الزبير فلم يكن مسيلمة بالسائب عن كذبه ولا رجع عنه.

وبعد عياشا أيضا أرسل إلى بني عبد كلال قبلا
كلهم كتابه وأسلموا نعيم الحارث مسروح هم
وأرسل بعده أيضا عياش - بشين معجمة - بن أبي ربيعة المخزومي إلى بني عبد كلال بضم الكاف وهم ثلاثة فأقبل حتى انتهى إلى ستور عظام على أبواب دور ثلاثة فقال: أنا رسول رسول الله إليكم، فقبل كل واحد من الثلاثة كتابه وأسلموا وهم نعيم والحارث ومسروح بسين وخاء مهملتين.

وأرسل النبي أيضا إذ كتب لفروة بن عمرو الجذامي
ولبني عمرو وهم من حمير كذاك معدي كرب المشتهر

وأرسل المصطفى رسلا أيضا لأنه كتب إلى عدة من الملوك والكتاب لا بد من رسول يذهب به لكن لم يسم من ذهب به، فكتب لفروة بن عمرو الجذامي بضم الجيم وأفلح كل الفلاح إذ أي حين أقر أي: نطق بالثاني، وكتب لبني عمرو وهم من حمير

ولمعدى كرب الصحابي الجليل المشهور.
ولأساقف بنجران كتب
وابن ضَمَاد خالده الأزدي
وليزيد بن الطفيل الحارث
ولأخي تميم أوس كتب
وكذا كتب لأساقف نجران ولعن أسلم من حدس بفتح الحاء المهمل والدال
وسكنت للوزن ثم سين مهمل وهم عرب، وكتب إلى ابن ضَمَاد بكسر الضاد المعجمة
واسمه خالد الأزدي، وكتب إلى عمرو بن حزم بن زيد من بني مالك بني النجار الرضي
أي: المرضي استعمله المصطفى على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة.
وكتب لنعيم بن أوس (أخي تميم) الداري بأن له حيرى كفعلى قرية بين وادي
القرى والشام، وهذا الاقتطاع عند أولاده قرناً بعد قرن ما ذهب منهم إلى الآن، وكتب
ليزيد بن الطفيل الحارثي أن له المضة كلها (لا يحاقه فيها أحد) ما أقام الصلاة وآتى الزكاة
وحارب المشركين، وكتب لبني زياد بن الحارث الحارثيين أن لهم جماء تأنيث الآجم
موضع من محال المدينة وأذنبه وأنهم آمنون ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحاربوا
المشركين. هذا ما ذكره الناظم وذكر غيره جماعة أخرى كتب لهم.



باب ذكر أولاده من الذكور والإناث

القاسمُ الذي به يَكُونُوا	كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنَاتٍ
وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ وَهُوَ وَاحِدٌ	بِمَكَّةَ قَبْلَ النَّبَاةِ وَلَدٌ
وَقِيلَ بِلِ هَذَانِ فَابْتَنَ سَوَاءُ	وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ
عَاشَ بِهَا عَامًا وَنِصْفَ سَنَةٍ	وَالثَّلَاثُ إِبْرَاهِيمُ بِالْمَدِينَةِ
سِتَّةَ عَشَرَ فَرَطًا لَهُ رَضَا	وَقِيلَ مَعَ ثَقَفَانَ شَهْرَ وَقَطَّيَ
وَعِدَّةُ الْأَوْلَادِ مِنْ نِسْوَانٍ	وَمَاتَ قَاسِمٌ لَهُ عَامَانِ

كان له ثلاثة بنين الأول: القاسم الذي كانوا يكونونه به بمكة قبل النبوة، وولد
القاسم هذا بمكة قبل النبوة وهو أول أولاده، واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها وبه
كان يُكنى أبا القاسم.

الطائي: الطيب الطاهر وهو ولد واحد سُمي بهما معاً لأنه ولد في الإسلام على الصحيح واسمه الذي سمي به أولاً عبد الله ثم سمي الطيب الطاهر، وقيل: الطيب والطاهر اثنان سوى عبد الله ذكره ابن عساکر.

الثالث: إبراهيم ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان وعاش بها سنة ونصف سنة على الأشهر، وقيل: مع نقصان شهر يعني سبعة عشر شهراً ثم قضى أي: مات فرطاً أي: سابقاً لأبويه له -رضي الله تعالى عنه-، ومات ابنه القاسم وله عامان كما في طبقات ابن سعد^(١)، وقيل: أقل، وقيل: أكثر. وقوله: (وعدة الأولاد) إلى آخر يأتي شرحه.

أربعة فاطمة البتول	زوجه عليا الرسول
وزينب زوجها أبا العاص	ابن الربيع وأفيًا ذا إخلاص
بوعده وزوج اثنتين	تعاقبا عثمان ذا النورين
رقية فأم كلثوم تلي	ونعم ذاك الصهر عثمان الولي
وجملة الأولاد من خديجة	لكن إبراهيم من مارية
وليس في بناته من أعقبها	إلا البتول أمًا وأبا

أي: وعدة أولاده من البنات أربعة اتفاقاً، فاطمة البتول سميت به لأن الله فطمها وذريتها عن النار، زوجها الرسول ﷺ علياً عليه السلام وسنها خمس عشرة سنة ونحو نصف وعمر علي يومئذ نحو العشرين.

وزينب زوجها أبا العاص لقيط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها، وأفيًا بما يعد صاحب إخلاص بوعده فإنه شهد بدرًا مع الكفار فأسر فاطمته المصطفى على أن يخلي سبيل ابنته ففعل، وبعد زمن طويل أسلم فردها عليه بنكاح جديد. وزوج اثنتين تعاقبا أي: واحدة عقب أخرى عثمان ذا النورين سمي به لزوجته إياهما واسمهما رقية وأم كلثوم.

وقول الناظم: (أم كلثوم تلي) أي: بعد موت رقية، ونعم ذاك الصهر عثمان الولي لله تعالى.

وجملة أولاده من الذكور والإناث من زوجته خديجة لكن إبراهيم من سريته مارية

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٦٠٦).

القبطية؛ وليس في بناته من أعقب أي: عاش بعده إلا فاطمة فعاشت بعده ستة أشهر على الأصح.

وقول الناظم: (طاب) أي: طابت فحذف التاء للوزن على حد ولا أرض أبقل
إيقالها أي: طاب أصلها أبوها وأمها.



باب ذكر أعمامه وعماته -عليه السلام-

وهم اثنا عشر، وقيل: عشرة، وقيل: تسعة والأول هو ما جرى عليه الناظم حيث قال:

أَعْمَامُهُ حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ	قَدْ أَسْلَمْنَا وَأَرْغَمَ الْخَنَاسُ
زُبَيْرُ الْحَارِثُ حَجَلٌ قَنَمٌ	ضَرَارُ الْفَيْدَاقِ وَالْمُقَوِّمُ
عَبْدُ مَنْافٍ مَعَ عَبْدِ الْكَعْبَةِ	كَذَا أَبُو لَهَبٍ أُرْدِي كَسْبَهُ
عَمَّاتُهُ صَفِيَّةٌ عَاتِكَةُ	أُمُّ حَكِيمٍ بَرَّةٌ أُمَيْمَةُ
أَرْوَى وَلَمْ يُسْلَمْ سَوَى صَفِيَّةٍ	قِيلَ وَمَعَ أَرْوَى وَمَعَ عَاتِكَةُ

اختلف في عدد أعمامه فقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرة، وقيل: تسعة، وعلى الأول: هم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة، والثاني: العباس جد الخلفاء أسلم وحسن إسلامه وأرغم الخناس بإسلامه فإنه لما أسلم شق على كفار قريش وعلموا أن إسلامه عز ومنعة لرسول الله، الثالث: الزبير وكان من أشرف قريش رئيس بني هاشم شاعراً عاقلاً ولم يدرك الإسلام، والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يُكنى ومات في حياة أبيه ولم يدرك الإسلام، وحجل بتقدم الجيم على الحاء المهملة وقيل: عكسه لم يدرك الإسلام، وقثم هلك صغيراً، وضرار بكسر الضاد المعجمة مات في مبادئ الوحى، والفَيْدَاق بفتح المعجمة سمي به لأنه كان أجود قريش، والفَيْدَاق المطر الكثير، والمُقَوِّم بالقاف وشد الواو، وأبو طالب واسمه عبد مناف وهو الذي كفل المصطفى، وعبد الكعبة لم يدرك الإسلام، وأبو لهب واسمه عبد العزى.

وقول الناظم: (أدرى كسبه) أي: أهلك ماله وولده فلم ينفعاه ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢].

وأما عماته فهن ست: صفية أم الزبير بن العوام، أسلمت وهاجرت كانت ذات

جلد وقوة، وعاتكة، وأم حكيم واسمها البيضاء، وبرة بالتشديد، وأميمة، وأروى، ولم يسلم
منهن سوى صفية على الأصح، وقيل: أسلمت أروى أيضًا، وقيل: أسلمت عاتكة أيضًا.



باب ذكر أزواجه - عليه السلام -

زوجاته اللاتي بهنَّ قد دخلَ	ثنا أو إحدى عشرة خُلفَ نُقلَ
خديجة الأولى تليها سودة	ثم تلي عائشة الصديقة
وقيل قبلَ سودة حفصةُ	فزنبُ والدها خزيمَةُ
فبعدها هند أي: أم سلمة	فابنة جحش زنبُ المُكرمة
تلي ابنة الحارث أي جويرية	فبعدها ریحانةُ المسيةُ
وقيل بل ملك يمين فقطُ	لم يتزوجها وذلك اضبطُ
بنتُ أبي سفيان وهي رَمْلَةٌ	أم حبيبة تلي صفيةُ
من بعدها فبعدها ميمونة	حلاً وكانت كاسمها ميمونة

وعدد زوجاته اللاتي دخلَ بهن اثنتا عشرة، وقيل: إحدى عشرة هكذا نُقل هذا
الخلاف، فمن قال: هن اثنتا عشرة أدخل فيهن ريحانة، ومن قال: إحدى عشرة أخرجهما.
أولهنَّ خديجة كما مر، ثم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس فهي بعد خديجة
على الصحيح وأصدقها أربعمئة درهم، ثم عائشة بنت الصديق عقد عليها وهي ابنة ست
وبني بها وهي ابنة تسع ومات عنها وهي بنت ثلثي عشرة، ثم حفصة بنت عمر، وقيل:
تزوجها قبل سودة، ثم زينب بنت خزيمة الحارثية كانت تُدعى أم المساكين لرحمتها لهم
أصدقها اثنتي عشرة أوقية، ثم أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، ثم زينب
بنت جحش وكان اسمها برة فسمها زينب وكانت كثيرة الصدقة والإيثار وكانت هي
التي تسمي عائشة في المنزلة عنده أواهة قوامة صوامة، ثم جويرية بنت الحارث
المصطلقية سبأها يوم من بني قريظة أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية، وقيل:
إنما كانت من ملك اليمين فقط والأول اضبط أي: أقوى وأصح عند الواقدي^(١)، ثم أم

(١) انظر: المغازي للواقدي (٢/٥٢٠، ٥٢١).

حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب هاجرت مع زوجها ابن جحش للجيشة فتنصر زوجها هناك ومات وثبتت هي على الإسلام، وبعث المصطفى عمرو بن أمية إلى النجاشي فزوجه إياها فبلغ والدها فقال: (ذاك الفحل لا يجدع أنفه).

وقوله: (تلي صفية من بعدها) أي: وتلي صفية بنت حسي، ثم ميمونة بنت الحارث وكان اسمها برة فسمّاها ميمونة وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد تزوجها في عمرة القضاء وهو حلال، وقيل: كان محرماً وهي آخر من تزوج، ومن العجب أنه تزوجها بسرف وماتت به وكانت ميمونة كاسمها.

وَابْنُ الْمُثَنَّى مَعْمَرٌ قَدْ أَدْخَلَ	فِي جُمْلَةِ اللَّاتِي بِهِنَّ دَخَلَ
بَنْتَ شَرِيحٍ وَاسْمُهَا فَاطِمَةُ	عَرَفَهَا بِأَنَّهَا الرَّاهِبَةُ
وَلَمْ أَجِدْ مَنْ جَمَعَ الصَّحَابَةَ	ذَكَرَهَا وَلَا بِأَسَدِ الْغَابَةِ
وَعَلَّهَا الْقِيَّ اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ	وَهِيَ ابْنَةُ الضُّحَّاكِ بَانَتْ عَنْهُ
وَغَيْرُ مَنْ بَنَى بِهَا أَوْ وَهَبَتْ	إِلَى النَّبِيِّ نَفْسَهَا أَوْ خُطِبَتْ
وَلَمْ يَقَعْ تَزْوِيجُهَا فَالْعِدَّةُ	ثَلَاثِينَ بِخُلْفِ أَثْبَتُوا

قد أدخل معمر بن المثنى^(١) في جملة اللاتي دخل بهن المصطفى فاطمة بنت شريح، وقال: هي الراهبة نفسها له المذكورة في القرآن، وبحث الناظم فلم يجدها في شيء من كتب من جمع من الصحابة ولا لابن الأثير في أسد الغابة على كثرة جمعه، ولعلها هي التي استعاذت منه حين دنا منها ليقبلها وهي فاطمة بنت الضحّاك فأبأها ولم يصيبها، وهؤلاء الاثنتا عشرة أو الإحدى عشرة غير من عقد عليها أو وهبت نفسها له أو خطبها ولم يبين تزويجها، أما هن فثلاثون امرأة كما قاله الدميّاطي على خلاف في بعضهن.



(١) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده (ص ٦٨).

باب ذكر خدامه من الرجال والنساء

فأنس ألزمهم للخدمة
 كذا بلال عقبه بن عامر
 ربيعة مع ابن مسعود أبو
 وابن شريك أسلع فاريد
 وابن أخيه الحدرجان جزر
 وسابق وسالم قد ذكرنا
 قيس بن سعد أئمن ثعلبة
 كذا أبو السمح أبو الحمراء
 أسماء هند وكذا حارثة
 سعد فتى الصديق مع ذي مخمر
 ذر بكير والليث نسوا
 كذا ابن مالك والاسم الأسود
 له بخدام النبي ذكر
 وقيل سلمى واعد المهاجرا
 كذا نعيم أبه ربيعة
 أبو عبيد ومن النساء

فأول خدامه أنس بن مالك الأنصاري وكان ألزمهم لخدمته، وأسماء وهند ابنتا حارثة الأسلمي، وبلال بن رباح المؤذن، وعقبة بن عامر الجهني كان صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر ابن أخي النجاشي أو ابن اخته، وربيعه بن كعب الأسلمي، وعبد الله بن مسعود وكان صاحب نعله ووسادته، وأبو ذر الغفاري، وبكر بن شريك الليثي ويقال بكر، وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته، وأريد قيل هو ابن حمير وقيل غيره، والأسود بن مالك الأسدي، وابن أخيه الحدرجان بن مالك وقيل: إنما هو أخوه، وجزر بن الحدرجان كذا ذكره ابن منده في خدام النبي ﷺ، وسابق وسالم على ما ذكره ابن عبد البر وقيل لا يصح سابق في الصحابة، وذكر بعضهم أن من خدامه سلمى وقيل هو سالم المذكور، وقيل: هو أبو سلمى وقيل: أبو سلام، ومهاجر مولى أم سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة كان من المصطفى بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان، وأئمن ابن أم أيمن، وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري، ونعيم بن ربيعة بن كعب، وأبو السمح قيل واسمه إياد، وأبو الحمراء هلال بن الحارث أو هلال بن ظفر، وأبو عبيد قاله ابن عبد البر: قيل خادمه وقيل: مولاه، ولم أقف على اسمه. وقول الناظم: (ومن النساء) يأتي شرحه.

مَارِيَّةُ اثْنَانِ مَعَ رَزِيْنَتِهِ وَأَمَّةُ اللَّهِ لِهَذِهِ ابْنَتُهُ
 صَفِيَّةٌ وَخَوْلَةٌ وَخَضِرَةٌ سَلْمَى وَأُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ

وأم عيَّاش كَذَا مَيْمُونَةٌ وفي السَّوَالِي ذُكِرَتْ ذِي الْخُمْسَةِ
وَحَدَّثَاهُمَا مِنَ النَّسَاءِ مَارِيَّةٌ وَهِيَ ابْنَتَانِ مَارِيَّةُ جَدَّةُ السَّمُثْنِيِّ بْنِ صَالِحٍ لَهَا حَدِيثٌ فِي
الْكُوفِيِّينَ، وَمَارِيَّةُ أُمُّ الرَّبَابِ لَهَا حَدِيثٌ فِي الْبَصَرِيِّينَ ذَكَرَهُمَا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ وَقِيلَ: هُمَا
وَاحِدَةٌ، وَرَزِينَةُ لَهَا حَدِيثٌ عَاشُورَاءَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَبَنَتْهَا أُمَةُ اللَّهِ، وَصَفِيَّةُ رَوَتْ عَنْهَا
أُمَةُ اللَّهِ حَدِيثًا فِي الْكُشُوفِ ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَخَوْلَةُ جَدَّةُ حَفْصِ بْنِ سَعِيدٍ لَهَا حَدِيثٌ
فِي تَفْسِيرِ الضَّحَى، وَخُضْرَةُ، وَسَلْمَى، وَأُمُّ أَيْمَنَ وَاسْمُهَا بَرَكَةٌ وَهِيَ حَاضِنَتُهُ، وَأُمُّ عِيَّاشَ،
وَمَيْمُونَةُ وَقَدْ ذُكِرَتْ هَذِهِ الْخُمْسَةُ فِي مَوَالِيهِ.



بَابُ ذِكْرِ مَوَالِيهِ ﷺ

زَيْدٌ أَسَامَةُ ابْنُ ثَوْبَانَ	أَنْسَةُ وَصَالِحٌ شَقْرَانُ
كَذَا أَبُو كَبْشَةَ وَاسْمُهُ سَلِيمٌ	أَوْ أَوْسٌ اسْمُهُ بِهِ أَبُو نَعِيمٍ
كَذَا رِبَاحٌ وَيسَارٌ مُدْعَمٌ	كَذَا أَبُو رَافِعٍ وَهُوَ أَسْلَمٌ
وَقِيلَ إِبْرَاهِيمُ أَوْ فَتَابُ	أَوْ هَرْمَزٌ يَزِيدُ خُلْفٌ ثَابِتٌ
وَرَافِعٌ كَرَكْرَةٌ فَضَالَةٌ	وَوَاقِدٌ سَفِينَةٌ فَزَارَةٌ

أول موالیه زید بن حارثة الکلبی، وابنه أسامة، وثوبان ويكنى أبا عبد الله، وأنسة
ويكنى أبا مسروح، وصالح واسمه شقران، وأبو كبشة واسمه سليم أو أوس كذا سماه به أبو
نعيم، ورباح بموحدة على ما ذكره ابن ماكولا^(١) أسود كان يأذن على المصطفى،
ويسار نوبي، ومدعم أسود وهبه له رفاعه بن زيد الجذامي، وأبو رافع واسمه أسلم وقيل
إبراهيم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل يزيد خلاف ثابت محقق، ورافع كان لسعيد بن
العاص، وكركرة كان على ثقل المصطفى، وفضالة، وواقد، وسفينة، وفزارة بفتح الفاء.

طَهْمَانُ أَوْ كَيْسَانُ أَوْ مَهْرَانُ مَوْلَاهُ أَوْ ذَكْوَانُ أَوْ مَرْوَانُ
يعني هذه الأسماء الخمسة علم شخص وقع في تعيين اسمه خلاف فقيل: كذا، وقيل:
كذا إلخ..، حكاه مغلطاي وغيره، وقال القطب الحلبي: لم يقع لي ذكر مروان.

جَدُّ هَلال بن يسار زَيْدُ حُثَيْنُ مَأْبُورٌ كَذَا عُبَيْدُ
أَبُو عَسِيبٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ مَعَ أَبِي ضُمَيْرَةَ سَعِيدُ

ومن مواليه زيد وهو جد هلال بن يسار وهو زيد بن بولا كان عبداً نوبياً، وحُثَيْنُ بنونين مصغراً كان خادماً أو عبداً له فوهبه لعمه العباس فأعتقه، ومأبور بضم الموحدة القبطي أهداه له المقوقس وكان خصياً، وعبيد بن عبد الغفار، وأبو عسيب واسمه أحرر أو مرة، وأبو عبيد وكان يطبخ له، وأبو ضميرة مصغراً واسمه سعد الحميري من آل ذي يزن.

ومن مواليه أبو موهوية حازوا به فخراً عَلَى الصَّوْتِ
وكل من سُمِّيَ فيها أو كُنِيَ فلم يزد عليهم عبد الغني
وزاد بعضهم عليه في العَدَدِ تسعاً وأربعين كلُّ قَدٍ وَرَدَ
ومن مواليه أيضاً أبو مويهبة من مولدي مزينة قيل: لا يعرف اسمه.

وقول الناظم: (حازوا به فخراً على المرتبة) أي: حازت به مزينة فخراً على مرتبتهم، وهذا حشو كمل به الوزن. وقوله: (وكل من سُمِّيَ) بالبناء للمجهول أي: وكل هؤلاء الذين ذكرتهم فلم يزد عليهم الحافظ عبد الغني في سيرته^(١)، وزاد عليه بعضهم وهو القطب الحلبي تسعاً وأربعين نفراً كل منهم قد ورد عن بعض العلماء.

أَفْلَحُ مَعْلَهُ أُنْجَشَةُ وَأَسْلَمُ أَيْمَنُ بِأَذَامٍ وَبِدَرٍ حَاتِمُ
دَوْسٌ قَفِيزٌ سَابِقٌ زَوْفَعُ سَعِيدُ اثْنَانِ عُبَيْدُ رَافِعُ
سَنْدَرُ سَالِمُ كَرِيبُ غَيْلانُ كَذَا عُبَيْدُ اللَّهِ سَعْدُ سَلْمَانُ
مُحَمَّدُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَكْحُولُ نَافِعُ نَفِيعُ وَرَدَانُ

ومنهم أفلح، وأنجشة بفتح الهزلة والجيم كان حادياً لجماله، وأسلم بن عبيدة حاديه أيضاً، وأيمن - بسكون التحتية - بن عبيد المعروف بابن أم أيمن، وبأذام بموحدة وذال معجمة ذكره ابن الجوزي، وعبيد ورافع ذكره البغوي وغيره، وبدر أبو عبد الله، وحاتم، ودوس، وقفيز بفتح القاف، وسابق بمهملة وموحدة، ورويفع بماتي، وسعيد وهما اثنان سعيد بن زيد ذكره الدمياطي وسعيد بن كنده ذكره ابن الجوزي، وعبيد، ورافع، وسندر بفتح السين ونون ذكره الدمياطي، وسالم، وكريب، وغيلان، وعبيد الله بن أسلم،

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ (ص ٤٤).

وسعد، وسلمان الفارسي المشهور، ومحمد بن عبد الرحمن الحضرمي، ومكحول، ونافع، وأبو السائب، ونفيع بن الحارث وهو أبو بكرة، ووردان ذكره ابن حبيب وغيره.

هَرْمُزٌ وَأَقْدُ يَسَارُ شَمْعُونُ ضُمِيرَةٌ فَضَالَةٌ وَعَمْرُونُ
كَذَا بُيَّةٌ وَنَيْلٌ وَهَالَالُ كَذَا أَبُو رَافِعٍ آخِرُ يُقَالُ
أَبُو الْبَشِيرِ وَأَبُو أَثِيلَةَ أَبُو لَقِيْطٍ وَأَبُو صَفِيَّةُ
كَذَا أَبُو الْحَمْرَى أَبُو سَلَامُ مَعَ أَبِي هِنْدٍ أَيْ الْحَجَّامُ
كَذَا أَبُو الْيَسْرِ أَبُو لِبَابَةَ كَذَا أَبُو سَلْمَى مَعَ أَبِي قَيْلَةَ

ومنهم هرمز أبو كيسان وقيل: هو طهمان المار، وواقد، ويسار بن زيد، وشمعون بشين معجمة وعين مهملة وقيل معجمة وهو ابن يزيد بن حبان أبو ربحانة حليف الأنصار، وضُمِيرَةٌ مصغراً، وفضالة، وعمرون، وثُبَيْه مصغراً وقيل مكبراً من مولدي السراة اشتراه وأعتقه، ونيل بفتح النون، وهلال بن الحارث ويُقال ابن ظفر، وكذا أبو رافع آخر غير أبي رافع المشهور، وأبو البشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة، وأبو أثيلة مصغراً، وأبو لقيط كان حبشياً وقيل نوبياً، وأبو صفية، وأبو الحمرا بالقصر للوزن، وأبو سلام بشد اللام واسمه حرث كان راعياً لنعمه، وأبو هند وهو الحجام اشتراه منصرفه من الحديبية وأعتقه، وأبو اليسر بضم التحتية قيل اسمه كعب بن عمرو، وأبو لبابة بضم اللام كان لبعض عماته فوهبته له، وأبو سلمى قيل: هو راعيه وقيل: غيره، وأبو قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخر ما زاده على عبد الغني.

أَمَّا الْإِمَاءُ فَلَذُكْرُنْ خَمْسَةٌ فِيمَا مَضَى رَضْوَى كَذَا أُمَيْمَةٌ
رُيْحَةٌ رَزِينَةٌ رُكَّائِلَةٌ كَذَلِكَ قَيْسُ أَخْتِهَا مَارِيَّةُ
مَيْمُونَةٌ اثْنَانِ وَالْبَعْضُ جَعَلُ ثَيْنٌ مِنَ الْجِلْدَامِ فِيمَا قَدْ تَقَلَّ

وأما مواليه من الإماء يمد الهمزة فذكرت خمسة أي: خمسة منهن مر ذكرهن فيما مضى من خدامه وهن خضرة، وسلمى، وأم أكن، وأم عياش، وميمونة، ومنهن أيضاً رَضْوَى بفتح الواو وذكرها ابن سعد وغيره^(١)، وأميمة، ورُيْحَةُ بضم الراء وفتح الموحدة، ورَزِينَةُ بفتح الراء وكسر الزاي، وركانة بضم الراء، وكذا قيس بفتح القاف وسكون

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٣٨٥، ٣٨٦).

التحتية وسين مهملة القبطية أهدها له المقوقس، وأختها مارية سريته أم إبراهيم، ومنهن ميمونة اثنتان ميمونة بنت سعد المذكورة في خدامه وميمونة بنت أبي عسيب وجعل بعض أهل السير هاتين مما أهدها له الجذامي كذا نقل.



باب ذكر أفراسه - عليه الصلاة والسلام -

سَكَبَ لِزَاوٍ ظَرْبٌ وَسَبَّخَهُ مُرْتَجَزٌ وَرَدٌ لَحِيفٌ سَيْقَةٌ
وَلَيْسَ فِيهَا عَنْدَهُمْ مَنْ خُلْفَ وَالْخُلْفُ فِي مَلَاوِحِ وَالطَّرْفُ
كَذَاكَ ضَرْسٌ وَشَحَا مُنْدُوبٌ مَرْوَاخٌ بَخْرٌ أَذْهَمٌ نَجِيبٌ
أَبْلَقٌ مَعَ مُرْتَجَلٍ مَعَ يَغُوبُ سَرْحَانٌ وَالْعُقَالُ سَجَلٌ يَغُوبُ

كان للمصطفى أفراس عدة منها السَّكَبُ بفتح فسكون وهو أول فرس ملكه سمي به لسرعة جريه، قال الثعالبي: إذا كان الفرس شديد الجري فهو فيض وسكب شبه فيض الماء وانسكابه، ابتاعه بالمدينة من رجل من فزارة وأول ما غزا عليه أحدًا، وكان أدهم أو كميثًا ثم حصل له خيل عدة.

الثاني: لزاز بكسر اللام وزاي قال السهيلي: معناه لا يسابق شيئًا إلا لزاه أي: أنبته، أهدها له المقوقس وكان معجبًا به.

الثالث: الظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء واحد الظراب وهي الجبال الصغار، سمي به لقوته وصلابة حافره ولكبره وسمته، أهدها له فروة بن عمرو الجذامي وقيل غيره.

الرابع: سبحة بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وحاء مهملة، قال ابن سيرين: وهي أنثى شقراء ابتاعها من جهني بعشر من الإبل.

الخامس: المرتجز بكسر الجيم، سمي به لحسن صهيله كأنه ينشد رجزًا، وهو الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة وكان أبيض.

السادس: ورد أهدها له تميم الداري والورد لون بين الكميث والأشقر شبه بالورد المشموم.

السابع: اللحيف فعيل بمعنى فاعل وقيل فيه بفتح اللام وقيل: بضمها وحاء مهملة كان يلحق الأرض بذنبه، وروي بجيم وحاء معجمة، فهذه السبعة ليس فيها خلف عند أهل السير.

والخلف عندهم في ملاوح وهو الضامر الذي لا يسمن والعظيم الألواح، والطرف بطاء مهملة وهو الكريم الآباء والأمهات كلا طرفيه كريم، والضرس بفتح الضاد المعجمة، وشحا بفتح الشين المعجمة وحاء مهملة، ومندوب من قولهم ندبه إلى الشيء فانتدب أي: دعاه فأجاب، ومراوح بكسر الميم بلا تنوين من أبنية المبالغة كالمقدام سمي به لسرعته كالريح، ومجر سمي به لسرعة جريه شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه، وأدهم بالتثنية للوزن وهو الأسود، ونجيب وهو الكريم من الخيل، وأبلى وهو ما فيه بياض وسواد، ومرجل وهو المبعاد ما بين خطاه أو المقارب بينها مع الإسراع، ويعسوب واليعسوب غرة تستطيل في وجه الفرس أو دائرة عند مريضه، وسرحان، وذو العقال بضم العين، وسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم، ويعوب بموحدة مكررة بينهما واو، هذا ما ذكر من أفراسه.



باب ذكر بغاله وحميزه - صلى الله تعالى عليه وسلم -

بغاله خمسة أو فستة دُلُّلٌ مع فضة والأنياسة
وبغلة أهدي له الأكيدر وجاء من كسرى وفيه نَظَرُ
وبغلة أهدي له النجاشي وهو بأخلاق النبي الفاشي
كانت بغاله خمسة أو ستة.

الأولى: دلل بضم الدالين كانت بيضاء وهي أول بغلة رؤيت في الإسلام أهداها المقوقس فكان يركبها في السفر.
الثانية: فضة أهداها له الجذامي فوهبها لأبي بكر، الثالثة: الألياسة بفتح الهمزة نسبة إلى أيلة أهداها له صاحب أيلة.

وقول الناظم: (وبغلة) مفعول مقدم أي: وأهدى له الأكيدر صاحب دومة الجندل بغلة وهي الرابعة، وجاء في رواية ذكرها الثعالبي في تفسيره أنه جاء له من كسرى بغلة هدية وهذه الخامسة، وفيه نظر لما مر أنه مزق كتابه ورد رسوله، وقوله: (وبغلة) مفعول مقدم أيضًا أي: أهدي له النجاشي بغلة، وقوله: (وهو بأخلاق النبي) أي: أن ما

ذكر من أن النحاشي أهدى له بغلة مذكور في كتاب "أخلاق النبي" لأبي الشيخ^(١).

وقوله: (الفاشي) أي: الكتاب المشتهر المنتشر بين الناس.

حَمَارُهُ عَفِيرٌ أَوْ يَغْفُورٌ أَوْ فَهْمَا اثْنَانِ وَذَا الْمَشْهُورُ
وَكُوْنُهُ كَانَ اسْمُهُ زِيَادَا أَوْ بِيْزِيْدُ مِنْكَرٍ إِسْنَادَا
وِثَالْتُ أَعْطَاهُ سَعْدٌ سَنَدُهُ رَدِيْفُهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَلَكْدُهُ

وأما حميره فمنهم حماره الذي يقال له: عَفِيرٌ بضم العين المهملة وفتح الفاء أهداه له المقوقس، وقيل: اسمه يغفور، وقيل: هما اثنان وهذا هو المشهور، وكون هذا الحمار كان اسمه زياد بن شهاب أو يزيد بن شهاب منكر إسناداً ومتناً، وله حمار ثالث أعطاه له سعد ابن عبادة فإنه كان ماشياً فأركبه في رجوعه حماراً، وأرسل قيس بن سعد خلفه فلما وصل إلى بيته أراد أن يرد الحمار فقال: هو هدية، روى ذلك يحيى بن منده وغيره بسنده عن قيس المذكور.



باب ذكر لقاحه وجماله ﷺ

اللقاح جَمَعَ لَفْحَةً - بالكسر - الناقة ذات اللبن والفتح لغة، والجمال جمع جمل وهو من الإبل بمنزلة الرجل يختص بالذكر قالوا: ولا يُسمى بذلك إلا إذا أنزل.

كَانَتْ لَهُ لِقَاحُ الْحَنَاءِ عُرَيْسٌ بِغُومٍ السَّمَرَاءُ
بُرْدَةٌ وَالْمَرَوَةُ وَالسَّعْدِيَّةُ حَقْدَةٌ مَهْرَةٌ وَالْيَسِيرَةُ
رِيَاءُ وَالشَّقْفَرَاءُ وَالصَّهْبَاءُ عَضْبًا وَجَدْعَاءُ هُمَا الْقَصَوَاءُ
وغيرهنَّ والجمالُ الثَّغْلُبُ وَجَمَلٌ أَحْمَرُ وَالْمُكْتَسَبُ
عَنْمَةٌ فِي يَوْمٍ بَدَرَ مِنْ أَبِي جَهْلٌ فَأَهْدَاهُ إِلَى الْبَيْتِ النَّبِيِّ
فِي أَنْفِهِ بَرَّةٌ أَيْ مِنْ فِضَّةٍ غَاظَ بِهِ كَفَّارُ أَهْلِ مَكَّةِ

وكانت له لقاح كثيرة الحناء بالتشديد، وعريس مصغراً، وبغوم، والرابعة: السمراء - بسين مهملة مدود -، الخامسة: بردة كانت تحلب كما تحلب لقحتان عظيمتان أهداها له الضحاك بن سفيان، السادسة: المروة أهداها له سعد بن عبادة، السابعة: السعدية بفتح

(١) انظر: أخلاق النبي ﷺ (ص ١٣٣).

السين وسكون العين وكسر الدال المهملتين، الثامنة: حفدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء، التاسعة: مهرة بضم الميم أهدها له سعد بن عباد، العاشرة: اليسيرة، بضم أوله. الحادية عشرة: رباء بفتح الراء وتشديد المثناة التحتية، الثانية عشرة: الشقراء بشين معجمة وقاف، الثالثة عشرة: الصهباء، وهي الشقراء، الرابعة عشرة: العضباء بفتح العين للمهملة وسكون الضاد المعجمة وموحدة تحتية، والجدعاء بفتح الجيم وسكون الدال وهما ناقة اسمها القصواء كما رواه ابن إسحاق عن ابن عباس.

وقال ابن قتيبة: بل هن ثلاث. وقوله: (القصواء) بفتح القاف والمد قال عياض: ووقع في رواية العنري بضم القاف والقصر وهو خطأ، وقوله: (وغيرهن) أي: مما يطول ذكرهن. وأمّا الجمال فكثيرة الأول: الثعلب بفتح المثناة وسكون المهملة، الثاني: جمل أحمر رواه ابن سعد^(١)، الثالث: المكتسب غنمه في يوم بدر من أبي جهل وكان مهرياً فأهداه إلى بيت الله في عمرة الحديبية وكان في أنفه برة أي: من فضة وغاز به كفار أهل مكة، وكان لرسول الله ﷺ جمل اسمه عسكر عنده يغزو عليه ويضرب في لقاحه.



باب ذكر منائح وديكه

المنائح جمع منيحة وهي في الأصل الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعمالها حتى أطلق على كل شاة أو بقرة معدة للبنها، والديك ذكر الدجاج جمعه ديوك وديكه وزان عنية.

كَأَنَّ لَهُ مَنَائِحَ بَرَكَهْ	زَمْزَمُ سُقْيَا عَجْرَةَ وَوَرَشَةَ
أَطْلَالُ أَطْرَافٍ قَمَرٍ مَعَ يَمْنِ	غُوبَةٌ أَوْ غَيْثَةٌ بَلَّ فِي السَّنَنِ
كَانَتْ لَهُ مَائَةٌ شَاةٌ غَنَمًا	وَلَا يُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ كَلَمًا
وُلِدَ مِنْهَا بَهْمَةٌ رَاعِيهَا	ذُبِحَ شَاةٌ لَا يَزِيدُ فِيهَا
وَكَانَ أَيْضًا عِنْدَهُ دِيكٌ لَهُ	أَبْيَضٌ فَالْمُحِبُّ قَدْ ثَقُلَ لَهُ

كانت له منائح ترعاهن أم أيمن كان يسميها بأسماء وهن: بركة بالتحريك، الثانية: زمزم، الثالثة: سقيا بضم المهملة وسكون القاف، الرابعة: عجرة بفتح المهملة وسكون الجيم، الخامسة: ورشة بشين معجمة، السادسة: أطلال، السابعة: أطراف، الثامنة: قمر

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٤٩٣).

كما رواه ابن سعد^(١)، التاسعة: يمن، العاشرة: غوثة وقيل اسمها غيثة وهي بالغين المعجمة والمثلثة وقوله: (بل في السنن) أي: في سنن أبي داود^(٢) أنه كانت له مائة شاة من الغنم ولا يريد أن تزيد عليها بل كلما ولد الراعي منها بجمة ذبح مكانها شاة.

وكان أيضاً له ديك أبيض يوقظه إلى الصلاة كما ذكره المحب الطبري عن بعضهم وقد ورد النهي عن سبه، قال الحافظ: زعم أهل الطيرة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب في ماله، قال اليعمرى^(٣): وأما البقر فلم ينقل أنه ملك منها شيئاً.



باب ذكر سلاحه ﷺ

وهو ما يقاتل به في الحرب ويدافع، والتذكير فيه أغلب وجمعه على التذكير أسلحة وعلى التأنيث سلاحات، والسلاح وزان حمل لغة في السلاح.

كان له من الرماح خمسة من قينقاع جَاءَهُ ثَلَاثَةُ ورابعٌ لَهُ يُسَمَّى الْمُثَوِيَّ والخامس المِثْنَى بذاك سَمِياً كان له خمسة أرماع ثلاثة غنمها من يهود بني قينقاع ذكره ابن أبي خيثمة في تاريخه، والرابع يُسمى المِثْوِي كما قاله الدمياطي، والخامس تسمى المِثْنَى ذكره ابن فارس وغيره.

أَقْوَأُ سَهْ خَمْسَةُ الرُّوحَاءُ وَقَوْسُ شَوْحَطٍ هِيَ الْبَيْضَاءُ وَقَوْسٌ نَبْعٌ وَهِيَ الصَّفْرَاءُ كَذَلِكَ الْكُثُومُ وَالزُّورَاءُ

كان له من القسي خمس: الأول: الروحاء، الثاني: البيضاء وهو قوس من شوحط بشين معجمة مفتوحة ثم واو ساكنة فحاء وطاء مهملتين، صنف من شجر الجبال، الثالث: قوس صفراء من نبع بفتح النون وسكون الموحدة وعين مهملة، روى ابن سعد^(٤) أن الثلاثة أصابها من سلاح بني قينقاع.

الرابع: الكتوم سميت به لانخفاض صوتها إذا رمى عنها، الخامس: الزوراء، والقوس

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٤٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢) من حديث لقيط بن صيرة رضي الله عنه وانظر: صحيح أبي داود للألباني - رحمه الله -.

(٣) انظر: عيون الأثر (٢/٣٩١).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (١/٤٨٩).

أننى وقيل: تذكيرها وتصغيرها قويس وربما قيل: قويسة، وتجمع على قسي بكسر القاف وأقوس وأقواس وقياس وهو القياس كنوب وأتواب وثياب، وتضاف إلى ما يخصصها فيقال: قوس ندف وقوس جلاشق وقوس نبل وهي العربية وقوس نشاب وهي الفارسية.

كَانَتْ لَهُ تَرْسٌ بِهِ تَمَثَّالٌ كَرَهَهُ فَنَذَبَ التَّمَثَّالُ
كَذَا الزَّلُوقُ لِلْسَّلَاحِ يَزْلُقُ وَتَرْسُهُ الثَّالِثُ وَهُوَ الْفَتَقُ

كان له ترس أهدي له وبه تمثال عقاب أو كبش فكرهه لذلك فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال معجزة له، وكانت له ترس تسمى الزلوق بفتح الزاي وضم اللام وآخره قاف، سُمي به لكون السلاح يزلق فيها ولا يخرقها، وله ترس ثالث اسمه الفتق بالفوقية بضم الفاء والمثناة الفوقية، وروى الطبراني: (كان له ترس أبيض يسمى الموجز)، وآخر يسمى الجمع، وقول الناظم: (بذاك سميا) حشو كمل به الوزن، فأتراسه ثلاثة، والترس بالضم معروف وجمعه ترسه كعنبه وتروس وتراس كفلوس وسهام وربما قيل: أتراس، قال ابن السكيت^(١): ولا يُقال أترسة كأرغفة، وإذا كان من جلد لا خشب فيه تسمى ورقة.

أَسِيفُهُ الْحَتَفُ وَذُو الْفَقَارِ مَأْتُورُ الْعَضْبِ مَعَ الْبِتَارِ
كَذَاكَ مَخْذَمٌ كَذَا رَسُوبٌ وَالْقَلْعِي لَمْ يُسَمَّ وَالْقَضِيبُ
وَقِيلَ ذَا قَضِيبُهُ الْمَمْشُوقُ كَانَ بِأَيْدِي الْخُلَفَاءِ يَشُوقُ

وأما أسيفه كثيرة، قيل: تسعة على ما ذكره الناظم، وقيل: إحدى عشر كما ذكره بعضهم.

الأول: الحتف بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة فوق وفاء أصابه من سلاح بني قينقاع، والثاني: ذو الفقار بكسر الفاء جمع فقرة وقيل: بفتح الفاء جمع فقارة سمي به لفقرات كانت في وسط ظهره كان للعاص بن منبه فغنمه يوم بدر، والثالث: مأثور بضم المثناة ورثه من أبيه، والرابع: العضب بفتح المهملة وسكون المعجمة أرسله إليه سعد بن عباد عند توجهه لبدر، والخامس: البتار بفتح الموحدة والمثناة فوق وهو القاطع، وكان لبني قينقاع، والسادس: المخذم بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الذال المعجمتين وأصله سرعة القطع.

(١) انظر: المصباح المنير (ص ٢٩).

والسابع: الرسوب براء مفتوحة فسين مهملة أصابها مما كان على الفلّس صنم طيء، والثامن: القلعي بفتح القاف واللام ثم عين مهملة نسبة إلى مرج القلعة موضع بالبادية.

وقوله: (ولم يسم) أي: ولم يكن له اسم، والتاسع: القضيب بقاف وضاد معجمة، فهذه تسعة أسياف، وقيل: هي ثمانية فقط، أما ذا فهر قضيبه الذي كان يسمى المشوق وكان يمسكه بيده الذي كان من شوحط وكان بأيدي الخلفاء العباسيين، وقوله: (يشوق) حشو كمل به الوزن.

وزاد بعضهم في أسيافه الصمصامة وآخر: يسمى اللحييف سيف مشهور.
أذراعهُ سَبْعَةُ السُّغْدِيَّةِ ذاتُ الفضولِ وكذلك فَطَّةُ
ذات الحواشي مَالَهَا كَفَاءُ ذاتُ الوشاحِ الخرنقُ البْتَرَاءُ
وأما أذراعه فسبعة، الأولى: السُّغْدِيَّةُ بسين مهملة مضمومة وغيث معجمة ساكنة أصابها من بني قينقاع وكانت درع داود التي لبسها لقتال جالوت.

والثانية: ذات الفضول بضاد معجمة سميت به لطولها أرسلها إليه سعد بن عبادة عند مسيره إلى بدر، والثالثة: فضة كما قال الدمياطي، والرابعة: ذات الحواشي ولم يكن لها كفؤ في الحسن، والخامسة: ذات الوشاح كان موشحاً بنحاس كما رواه الطبراني، والسادسة: الخرنق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر النون وفتحها وهو ذكر الأرنب وكأنها سميت به لقصرها.

والسابعة: البْتَرَاءُ بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة الفوقية سميت به لقصرها، والأذراع بكسر الدال الزودية ودرع الحديد مؤنثة في الأكثر وتصغر على دريع بغير هاء على غير قياس وربما قيل: دريعة، والجمع أذراع، وأدرع، ودروع.

كَانَتْ لَهُ مِنْطَقَةٌ أَدِيمٌ فَضَّةُ الْحَلْقِ وَالْإِنْزِيمُ
رَأَيْتُهُ الْعِقَابُ كَالثَّمَرَاءِ مَعَ رَايَةِ صَفَرَاءٍ مَعَ سَوْدَاءِ
كَانَتْ لَهُ أَلْوِيَّةٌ يَبِضُّ كَذَا سُوْدُ مَعْ أَغْبَرُ مِنْهَا اتَّخَذَا

كانت له منطقة من أديم منشور يشد بها وسطه بها ثلاث حلق من فضة وإبزيمها الذي في رأس المنطقة من فضة وطرفها فضة ذكره الدمياطي.

وكانت له راية تسمى العقاب سوداء أي: غالب لونها السواد بحيث ترى من بعيد سوداء لا أن لونها كان أسود خالصاً وكانت مربعة مززمة أي: من صوف، وكانت تسمى النمر أيضاً وسميت به لكون لونها لون النمر لما فيها من بياض وسواد. وراية صفراء كما روى الطبراني^(١) (أن المصطفى عقد رايات الأنصار وجعلهن صفراً) ولهذه الراية المخصوصة التي ذكرها الناظم ولم يبين لها اسم.

وراية سوداء أي: غالب لونها السواد بحيث ترى من بُعد سوداء لا أن لونها كان أسود خالصاً وكان مكتوباً على راياته (لا إله إلا الله محمد رسول الله) رواه أبو الشيخ^(٢). وكانت له ألوية جمع لواء بيض وكذا سود ورعا اتخذ بعضها أغبر كما في حواشي السنن للمنذري عن مجاهد: (وكان لرسول الله ﷺ لواء أغبر أي: بين البياض والسواد، والمنطق والمنطقة بكسر الميم ما يشد به الوسط وانتطق شد المنطقة على وسط ويسمياها الناس الحياصة، وقوله: (الأحتم) هو الجلد المدبوغ، والراية العلم الكبير، واللواء العلم الصغير.

جَرَابُهُ الْبِيضَاءُ ثُمَّ النَّبْعَةُ وَحَرْبَةٌ صَغِيرَةٌ عَنْزَةٌ
مَغْفَرُهُ السَّبُوعُ وَالْمَوْشَحُ قُسْطَاطُهُ الْكَنْ كَمَا قَدْ صَرَّحُوا
مَحْجَنُهُ قَدَرُ ذِرَاعٍ يَسْتَلِمُ فِي حِجِّهِ الرُّكْنُ بِهِ كَمَا عَلِمَ

كان له حراب عدة فمنها حربة كبيرة اسمها البيضاء، وحربة تسمى النبعة بنون مفتوحة وموحدة ساكنة وعين مهملة، وحربة صغيرة دون الرمح تسمى عترة بفتح العين المهملة وفتح النون والزاي.

وكان له مغفران السبوع بسين مهملة فموحدة تحتية فواو فغين معجمة ويُقال له أيضاً: ذو السبوع، والثاني: الموشح ذكرهما الدمياطي، وكانت قسطاطه يُسمى الكن بكسر الكاف، وكان له محجن بكسر الميم فمهملة ساكنة فحيم مفتوحة خشبة في طرفها اعوجاج كالصولجان، وروى الطبراني^(٣): "كان له محجن يسمى الذقن" قدر ذراع أو

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٧/٢٠)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢١/٥): "وفيه محمد بن الليث الهذلي ولم أعرفه وبقي رجاله ثقات". اهـ

(٢) انظر: أخلاق النبي ﷺ (ص ١٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩١/١١)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٩٣/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٢/٥): "رواه الطبراني وفيه علي بن عروة وهو متروك". اهـ

أكثر يمشى ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره ويستلم به الركن اليماني عند الطواف في الحج كما قد علم في بابه، والحربة رمح قصير، والمغفر بكسر الميم ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد وغيره تحت البيضة، والفسطاط بضم الفاء وكسرها بيت من شعر لكن ما يستر من الحر أو البرد، والمحجن وزان مقود خشبة في طرفها اعوجاج كالصولجان.

كَانَتْ لَهُ هِرَاوَةٌ بِالنَّقْلِ كَذَا عَسِيبٌ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ
كَانَتْ لَهُ مَخْصَرَةٌ يَخْتَصِرُ بِهَا اسْمُهَا الْعُرْجُونَ فِيمَا ذَكَرُوا
كانت له هراوة بكسر الهاء وهي العصا بالنقل فإن لها ذكرًا في حديث الحوض يزود بها، وكانت له عسيب بعين وسين مهملتين كقريب من جريد النخل، ومخصرة وهي ما يتخصر به الإنسان سواء كان عصا أو مقرعة أو غير ذلك يختصر بها أي يتوكأ عليها اسمها العرجون فيما ذكره أهل السير، والمخصرة بكسر الميم قضيب أو عترة يشير بها الخطيب إذا خاطب الناس.

كَانَ لَهُ خُفَّانِ سَادَجَانِ أَهْدَاهُمَا أَصْحَمَةُ الرَّبَّانِي
كَذَا لَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا أُخْرَى أَصَابَهَا مِنْ سَهْمِهِ مِنْ خَيْبَرِ
كان له خفان أسودان ساذجان أهداهما له أصحمة النجاشي ملك الحبشة الرباني وكان يلبسهما ويمسح عليهما، وكذا له أربعة أزواج خفاف قد أصابها من خيبر، ونعلان سبتيتان، والخف معروف سمى خفًا من الخفا لأنه يستر الرجل.

لَهُ ثَلَاثُ مِنْ جِبَابٍ ثَلَاثُ فِي الْحَرْبِ إِحْدَاهُنَّ مِنْهَا سُنْدُسُ
أَخْضَرُ ثُمَّ جُبَّةٌ طَيَّالَسَةٌ تُغَسَّلُ لِلْمَرْضَى وَكَانَتْ مَلْبَسَةً
وَيُؤَلِّقُهَا سُمِّيَ بِالْمُؤْتَصِّلَةِ وَمِنْهَا مَا سُمِّيَ بِالْمُنْصَلَةِ
كان له ثلاث جباب جمع جبة وهي ما يلبسها في الحرب، إحداهن سندس أخضر، وجبة أخرى طيالة كانت تغسل للمرضى ويشربون غسالتها للتبرك^(١) وكانت ملبسه غالبًا، ونبله كان يسمى بالمؤتصلة وكان منه ما يسمى بالمنصلة؛ لأن للنبل نصلًا يصل إلى السمرمي إليه، ذكره الديماطي.



(١) انظر: صحيح مسلم (٢٠٦٩).

باب ذكر أقداحه وأنيته وركوته وربعته وسريره - عليه السلام -

أَقْدَاحُهُ الرِّيَّانُ وَالْمُغِيثُ وَآخِرُ مُضَبَّبٍ يَغِيثُ
 بِهِ إِذَا مَا مَسَّهُمْ مِنْ حَاجٍ وَقَلْدَحٌ آخِرُ مِنْ رُجَاجٍ
 وَقَلْدَحٌ تَحْتَ السَّرِيرِ عِيدَانُ يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ فِي الْأَخْيَانِ

كان له أقداح كثيرة قدح يُسمى الريان بفتح الراء وشدة المثناة التحتية، وآخر يُسمى المغيث بضم الميم ومعجمة، وآخر مضبب يغيث به إذا ما مستهم حاجة فيشربون فيه وفيه ثلاث ضبات من فضة وحلقة يعلق بها يغيثهم به إذا ما مستهم حاجة فيشربون فيه فيشفون رواه الطبراني^(١)، وقدح آخر من زجاج، وكان له قدح من عيدان بفتح أوله وسكون ثانيه اشتهر نقله قاضي القضاة السعدي الحنبلي وكان يجعل تحت سريره يقضي به حاجته ويول فيه بالليل في الأحيان الباردة.

مَرْكَنُهُ مِنْ شَبِّهِ وَتَوْرَهُ حَجَارَةٌ مِّنْ نَّالٍ يَمِيرُهُ
 رَكْوَتُهُ كَانَتْ تُسَمَّى الصَّادِرَةَ قَصْعَتُهُ الْغَرَاءُ لَيْسَتْ قَاصِرَةً
 كَانَ لَهُ لِأَجْلِ الْفِطْرَةِ وَقَعْبُهُ كَانَ اسْمُهُ بِالسَّعَةِ

وكان مركنه أي: مخضبه من شَبِّهِ وهو ضرب من النحاس تكون فيه الجناء، وكان له تور من حجارة يتوضأ فيه وَالتَّوْرُ بمثناة فوقية إناء كبير يتطهر منه من ناله بغيره، وكانت ركوته تسمى الصادرة سميت به لأنه يصدر عنها بالرحى.

وكانت قصعته تسمى الغراء ليس قاصرة أي: ليست قليلة السعة بل كانت كبيرة جداً بحيث لا يحملها إلا أربعة رجال كما رواه أحمد وغيره^(٢) إذا ما مسهم بزيادة ما، وكان له صاع لأجل إخراج زكاة الفطر به، وكانت له قبة من صفر موسومة بالسعة.

كَانَتْ لَهُ رِبْعَةٌ أَيْ مُرْبَعَةٌ كَجَوْنَةٍ يُجْعَلُ فِيهَا أُمْتَعَةٌ
 سَوَاكُكُهُ وَمَشْطُهُ وَالْمُكْحَلَةُ كَذَلِكَ الْمَرْأَةُ وَالْمَقْرَاضُ لَهُ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، ولم يروه أحمد كما ذكر الشارح - رحمه الله -. والله أعلم .

كان له ربة مربعة اسكندراية أهدها له المقوقس مع مارية أم إبراهيم، وكانت كالجونة بضم الجيم ما يجعل فيه الطيب، وكان يجعل فيها أمتته أي سواكه ومشطه وكان من عاج وقيل من ذبل^(١)، ومكحلته التي كان يكتحلُ منها عند النوم، ومرآته قال السهيلي: (واسمها المدله كان ينظرُ فيها)، ومقراضه يُسمى الجامع كما رواه الطبراني وكانت هذه الأشياء لا يُفارقها في السفر.

كَانَ لَهُ سَرِيرٌ أَهْدَاهُ لَهُ أَسْعَدُ وَهُوَ سَاجٌ اسْتَعْمَلَهُ
مُوشِحٌ بِاللَّيْلِ ثُمَّ وَضَعَا عَلَيْهِ لَمَّا مَاتَ ثُمَّ رُفِعَا
عَلَيْهِ أَيْضًا بَعْدَهُ الصَّدِيقُ كَذَلِكَ أَيْضًا عَمَرُ الْفَارُوقُ

وكان له سرير ينام عليه أهدها له أسعد بن زرارة وهو من ساج أي: قوائمه منه كما روى البلاذري عن عائشة قالت: كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إلينا من السرير ننام عليه، فلما قدم رسول الله المدينة ونزل منزل أبي أيوب قال: «أما لكم سرير؟» قالوا: لا، فبلغ أسعد بن زرارة فبعث له سريرًا له عمود وقوائمه ساج، وكان ينام عليه حتى تحول إلى منزلي وكان فيه، فوهبه لي وكان ينامُ عليه حتى توفي ﷺ وهو فوقه، وطلبه الناس منا يحملون عليه موتاهم، فحمل عليه أبو بكر وعمر والناس طلبًا ليركته، وقوله: (استعمله) أي: استعمله له أسعد وهو موشح بالليف اشترى ألواح عبد الله بن إسحاق مولى معاوية بأربعة آلاف درهم، ذكره ابن حماد، وأنه بيع في ميراث عائشة، ثم وضع عليه لما مات، ثم وضع عليه بعده الصديق، ثم الفاروق، ثم كان الناس يحملون عليه موتاهم تبركًا به، وقوله: (ثم وضعوا) و(رفعوا) بألف الإطلاق.



(١) شيء كالعاج، وقيل: عظام دابة بحرية يتخذ منها الأسورة والأمشاط.

باب ذكر الوفود إليه ﷺ

الوفود جمع وفد وهم الجماعة المختارة من القوم يتقدمونهم للقاء العظماء.

أولُ وفد وفدوا المدينة سنة خمس وافدوا مزينة
وهكذا سعد بن بكر في رجب وعام سبعة جذام وعقب
الأشعريون ودوس القوم وفي الثمان ألفت سليم
ثعلبة ثماله والحدان فيها وفي التاسع وفد همدان
كذا بنو الدار وفيه في صفر عذرة بعدها بلي وخير

أول وفد وفدوا المدينة على المصطفى وفد مزينة في رجب سنة خمس وكانوا أربعمائة
فأسلموا، وكذا وفد سعد بن بكر في رجب منها، وفي سنة سبع وفد جذام قدم رفاعه بن
يزيد الجذامي في جماعة، وأعقبه الأشعريون وهم خمسون رجلاً منهم أبو موسى الأشعري
فوجدوه في خير فبايعوه وأسلموا.

ودوس القوم قدم عليه منهم أربعمائة، وقوله: (القوم) حشو كمل به الوزن، وفي
سنة ثمان ألفت سليم بضم وفتح أي: ألفت الإسلام.

وثعلبة لما قدم من الجمرانة قدم عليه أربعة منهم وقالوا: نحن رسل من خلفنا نحن
وهم مقرّون بالإسلام، وثماله بثلاثة مضمومة فميم فألف، والحدان بجاء مهملة مفتوحة
فدال مهملة، وقوله: (فيها) أي: في عام ثمان قدم عبد الله بن علس الثمالي، وفي عام تسع
قدم وفد همدان بفتح فسكون فدعوا وأسلموا، وبنو عبد الدار وهم عشرة، وفيه في صفر
قدم وفد عذرة اثنا عشر رجلاً حمزة بن النعمان وبشرهم المصطفى بفتح الشام، وفيه قدم
وفد بلي بفتح الموحدة التحتية وكسر اللام فأنزلهم رويغ بن ثابت عنده وقدم بهم
المصطفى وقال: (هؤلاء قومي) فقال: «مرحباً بك وبقومك» فأسلموا، وفيه قدم وفد
حمير.

وبعد في العاشر وفد خولان وكندة وغامد وغسان
وفد الرهايين وفد نجران وفد صُدا والأزد مع سلامان
بجيلة وحضر موت النخع والحداد بن كعب أيضاً أجمع
وقدم بعد بالضم أي: بعد ذلك في شعبان في العام العاشر قدم وفد خولان بفتح

الحاء المعجمة وسكون الواو وهم عشرة نفر، ووفد كندة قدم الأشعث بن قيس الكندي في بضعة عشر راكباً، وقيل: في ثمانين وقيل: في ستين، ووفد غامد بغين معجمة حي من عرب اليمن عشرة أنفس في رمضان سنة عشر، ووفد غسان بفتح المعجمة وشدة المهملة، قدم ثلاثة نفر منهم في رمضان عام عشر المدينة فأسلموا.

ووفد الرهاويين بضم الراء حي من مذحج خمسة عشر، ووفد من نصارى نجران أربعة عشر من أشرافهم، ووفد صدا بضم الصاد المهملة وفتح الدال مقصوراً للوزن، قدم زياد بن الحارث الصدائي ومعه خمسة عشر منهم، ووفد الأزد ويُقال: الأسد قدم صرد بن عبد الله في خمسة عشر منهم، ووفد سلامان بفتح السين المهملة وخفة اللام من قضاة قدم منهم حبيب بن عمرو في سبعة أنفس فأسلموا، ووفد بجيلة فتح الباء وبينهم جرير بن عبد الله ومعه خمسون ومائة، ووفد حضرموت بفتح الحاء والراء والميم قدموا مع وفد كندة، ووفد النخع أرسلوا رجلين بإسلامهم، ووفد الحارث بن كعب.

وفيهما مرة عبس أسد وقد تميم فيهم عطارد
باهلة وجعدة فزارة عقيل عبد أشجع كنانة
لقيط بكر وابن عمار قدز مات رجوعاً وكلات وقد
وقد ثقيف مع عبد القيس رؤاس عامر هلال عنس

وقوله: (وفيهما أي: يُحتمل عود الضمير على سنة عشر وإحدى عشرة أي: في الستين إما هذه أو هذه، قدم وفد مرة ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف منصرفه من تبوك، ووفد عبس بياء موحدة تسعة نفر وكانوا من المهاجرين الأولين، ووفد أسد قدم منهم حضرمي بن عامر في عشرة أنفس، وقيل: في ثلاثين.

ووفد تميم ثمانون أو تسعون وفيهم عطارد بن حاجب، والزبرقان بن بدر، والأقرع ابن حابس، وقيس بن عاصم، ووفد باهلة بموحدة وهاء مكسورة فلام مفتوحة قدم منهم مطرف بن كاهن الباهلي، بعد الفتح فأسلم، ووفد جعدة وهو الرقاد بن عمرو بن زمعة ابن جعدة، ووفد فزارة بفتح الفاء قدم عليه منهم لما رجع من تبوك بضعة عشر رجلاً، ووفد عقيل بفتح العين المهملة وكسر القاف بن كعب، ووفد بني عبد -بتنوين- بن عدي، ووفد أشجع بجمزة فشين معجمة فجميم قدموا عام الخندق وهم مائة وقيل: سبعمائة.

ووفد كنانة ووفد عليه واثلة بن الأسقع فأسلم وبايع ورجع إلى أهله، ووفد لقيط ابن عامر، ووفد بكر بن وائل، ووفد قُدد بن عمار بضم القاف وفتح الدال الأولى وسكون الثانية فأسلم وعاهد على أن يأتي بألف من قومه، فخرج معه تسعمائة وخلف في الحي مائة فأقبل بهم يريد المصطفى فنزل به الموت فلهذا قال الناظم: (مات رجوعاً) أي: مات في رجوعه إلى النبي أي: في ذهابه إليه فلم يصل إليه، ووفد بني كلاب بثلاثة عشر رجلاً منهم لبید بن ربيعة، ووفد ثقيف قدم عليه في رمضان منصرفه من تبوك في سبعين رجلاً وقيل: بضعة عشر رأسهم باليل، ومع وفد ربيعة وفد عبد القيس بفتح القاف بن أقصى بفتح الهمزة وبفاء وصاد ابن دعوى بن جديلة، قيل: قدموا مرتين وكانوا أربعين أو أربعة عشر أو ثلاثة عشر، ووفد رؤاس بضم الراء وفتح الهمزة من كلاب قدم منهم عمرو بن مالك فأسلم، ووفد عامر بن صعصعة، ووفد هلال بن عامر، ووفد عنس بسكون النون فأسلموا.

قشِيرُ تغلب وبعضُ مُسْلِمٍ	أما النَّصَارَى منهم فَأَلْزَمُوا
أَنْ يَمْتَنِعُوا أَوْلَادَهُمْ مِنْ صِبْغَةٍ	فِي دِينِهِمْ وَفِي بَنِي حَنِيفَةٍ
وَمَنْ وَفودَ الْيَمَنِ الْيَمَانِ	وَفَدُ تُجِيبِ طِيءَ جَيْشَانِ
كَلْبُ خُثَيْنٍ وَمِرَادُ وَالصَّدْفِ	وَحَتْمُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ رَدْفِ
أَزْدُ عَمَانَ وَرُيَيْدُ اسْلَمِ	وَبَارِقُ وَابْنُ حُمَيْدِ سَالِمِ
سَعْدُ هُذَيْلٍ جَزْمُ بَهْرَةِ مَهْرَةٍ	وَوَفْدُ جَعْفِي كَذَا جُهَيْنَةٍ
سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ جَاءَ التَّحَعُّ	فِي مَتْنٍ بَعْدَ مَنْ قَبْلُ تَجَعُّ
وَقَدْ السَّبَاعِ وَالذَّقَابِ ذُكِرَا	فِي غَابَةِ وَغَيْرِهَا وَاسْتَنْكَرَا

وفيه بشير بن عمر وربيعة بن عامر بن صعصعة، ثم وفد قشير بن كعب، ووفد تغلب بفتح المثناة فوق وسكون الغين وكسر اللام ستة عشر رجلاً بعضهم مسلمين وبعضهم نصارى أما النصارى منهم فالتزموا أن يمنعوا أولادهم الصغار من صبغة النصرانية في دينهم والصبغة بكسر المهملة وسكون الموحدة، ووفد بني حنيفة بن لجيم بن صعب قدم في بضعة عشر رجلاً.

ومن جملة وفود اليمن اليمان بن جابر والد حذيفة، ووفد تُجِيبِ بضم المثناة الفوقية وكسر الجيم ثلاثة عشر رجلاً سنة تسع، ووفد طيء بتشديد الياء بعدها همزة خمسة عشر

رجلاً، ووفد جَيْشَان بفتح الجيم وسكون المثناة تحت قدم أبو وهب الجيشاني في نفر، ووفد كلب منهم عبد عمرو بن جبلة فعرض عليه الإسلام فأسلموا.

ووفد خُشَيْن بنَاء وشين معجمتين مصغراً، ووفد مراد منهم فروة المرادي، ووفد الصَّدْف بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين وفاء بضعة عشر رجلاً، ووفد خنعم قدم منهم رجال، ووفد سعد العشيرة ردف لهم، ووفد أزد عُمان -بضم العين المهملة فميم مخففة-، ووفد زُبَيْد بضم الزاي وفتح الباء الموحدة عشرة أو أكثر، ووفد أسلم، ووفد بارق بموحدة وراء وقاف قدموا فأسلموا وبايعوه، ووفد ابن حميد واسمه سالم وهو من بني مرة، ووفد سعد هذم بإضافة سعد إلى هُذَم بضم الهاء وفتح الدال المعجمة ومثناة تحتية مصغراً كان عبداً أسود، ووفد جرم بفتح الجيم وسكون الراء، ووفد بمرا بفتح الموحدة وسكون الهاء والملا قدموا من اليمن ثلاثة عشر رجلاً، ووفد مَهرة بفتح الميم وسكون الهاء، ووفد جُعْفِي بضم الجيم وسكون العين المهملة وكسر الفاء وشدة الباء، ووفد جهينة.

وقول الناظم (سنة إحدى عشرة) أي: وفي نصف محرم سنة إحدى عشرة بالتأنيث للوزن جاء وفد التخع من اليمن مرة ثانية وهو أول وفد قدموا عليه في مائتي رجل فأسلموا، وقوله: (بعد) بالنصب، وقوله: (من قبل) بالضم أي: بعد الذي تقدم قبلهم، وقوله: (تَجَع) بفتح النون والجيم أي: نفع فيهم كلام النبي لما قدموا عليه.

ثم وفد السباع جمع سبع الحيوان المفترس المعروف وفدت عليه وهو في غزوة الغابة وسألته أن يتعرض لها ما تأكله ذكره ابن سعد في الطبقات^(١) بسنده عن عبد الله بن حنطب قال: بينما النبي جالس بالمدينة فأقبل له سبعٌ فوقف بين يديه فعوى فقال: «هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن تعرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه وتحوزتم منه فما أخذ فهو رزقه» قالوا: ما تطيب أنفسنا بشيء، فأوماً إليه بأصابعه أن خالبتهم فولّى، ووفد الذئاب جمع ذئب، روى البيهقي^(٢) عن أبي هريرة جاء إلى النبي ذئب فألقى غير بعيد ثم جعل يبصص^(٣) بذنبه فقال النبي: «هذا وافد الذئاب إليكم يسألکم أن

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق الواقدي (٢٦٩/١) وهو متفق على ضعفه.

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤٠/٦).

(٣) قال الفيروزآبادي في القاموس (ص ٢٩١): «ببصص الكلب: حرك ذنبه».

تجعلوا له شيئاً من أموالكم»، قالوا: لا، كذا ذكر أن وفد السباع والذئاب وفدا في غزوة غابة وغيرها، وقد استنكر حديث وفدهما جمع من العلماء فجزموا بأنه منكر.

تنبيه: كان عليه أن يذكر وفد الجن فإنهم وفدوا عليه وفادة كوفادة الإنس فجاءوا فوجاً بعد فوج وقبيلة بعد قبيلة بمكة وبعد الحجرة كما أخرجهم أبو نعيم وغيره^(١)، ولهم معه وقائع كثيرة وأسئلة وأجوبة مذكورة في كتب شهيرة فإهمال ذلك تقصير.



باب ذكر أمرائه ﷺ

أَمَرَ بِأَذَانَ بِلَادِ الْيَمَنِ	ثُمَّ ابْنَهُ شَهْرًا بِصَنْعَا يَمَنِ
وَابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمُهَاجِرَا	كَثْدَةَ وَالصَّدْفَ فَقَبِلَ أَنْ سَرَا
لِعَمَلِهِ قَضَى النَّبِيُّ بِالْمَوْتِ	كَذَا زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ حَضْرَمَوْتِ
كَذَا أَبُو مُوسَى زَيْدًا وَعَدَنَ	وَزَمْعَ وَالسَّاحِلَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ
كَذَاكَ قَدْ وَلَّى مَعَاذًا الْجَنْدَ	كَذَاكَ عَقَابًا عَلَى خَيْرِ بَلَدٍ

أمر بتشديد الميم رسول الله ﷺ بأذان بباء موحدة وذال معجمة على بلاد اليمن ذكره الواقدي وهو أحد من قام في قتل الأسود العنسي، ثم أمر ابنه شهراً بصنعاً على صنعاء اليمن، وأمر المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي واسمه الوليد استعمله على صدقات كندة بكسر الكاف والصدف بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين وتشديد الفاء فقبل أن سرى من المدينة لعمله بسكون الهاء للوزن، أي: قبل مسيره إلى عمله لكندة فالصدف قضى النبي بالموت في ربيع الأول، وكذا أمر زياد بن لبيد بن ثعلبة البياضي على حضرموت، وأمر أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري ولاية زيد بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة، وعدن بفتح العين والدال فتون، وزمع بفتح أوله وسكون ثانيه وعين مهملة، وعدن أرض باليمن وهي من مخاليف وإلى الساحل من مخاليف أرض اليمن أيضاً.

وكذا ولّى معاذاً بن جبل وبعثه قاضياً للجند بفتح الجيم والتون بلد باليمن، وولى عتاب بفتح المهملة وشدة المثناة فوق بن أسيد بن أبي العيص الأموي مكة خير بلد على وجه الأرض فلم يزل أميراً عليها حتى مات.

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص (٣٥٨ - ٣٧٢).

كَذَاكَ قَدْ وَلَّى أَبَا سُفْيَانَ
صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ بَعْدَ ذَا نَجْرَانَ
كَذَا ابْنَهُ يَزِيدُ فَيُتِمَّاءَ
وَإِبْنَ سَعِيدٍ خَالِدًا صَنْعَاءَ
كَذَاكَ عَمْرًا أَخَاهُ وَادِي الْقَرْيَ
وَحَكَمًا أَخَاهُمَا عَلَى قَرْيَ
عُرَيْنَةَ كَذَلِكَ أَيْضًا أُعْطِيَ
أَخَاهُمَا أَبَانَ مِنْهُ الْخَطِيَّ
كَذَاكَ ابْنُ الْعَاصِ عَمْرًا يُعْمَانُ
كَذَا عَلَى الطَّائِفِ وَلَّى عُثْمَانُ

وكذلك ولَّى أبا سفيان واسمه صخر بن حرب بن أمية القرشي بعد ذلك الزمان لأن أبا سفيان أسلم يوم الفتح واستعمله على بلد نجران بفتح النون وسكون الجيم مدينة بالحجاز من شق اليمن وهي أطيب بلاد الحجاز سميت بنجران بن زيد، وولى ابنه يزيدًا أي: استعمله على تيماء بفتح المثناة فوق والمد من أمهات القرى، وأمر خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء اليمن فلم يزل عليها حتى مات المصطفى، وكذا أُمّر عمرًا أخه بفتح الحاء المعجمة أي: أخاه، فهو على لغة القصر أي: استعمل عمرًا أخا خالد بن سعيد على وادي القرى.

وأمر الحكم أخاهما على قرى عرينة بالإضافة لا ينصرف قرى بالحجاز معروفة، وكذا أعطى المصطفى أخاهما أبان بن سعيد منه أي: من عنده الخطي بفتح الحاء المعجمة وشد الطاء المهملة ساحل ما بين عمان إلى البصرة أو هي قرية على ساحل البحرين، وكذا أُمّر عمرو بن العاص السهمي على عُمان بضم العين وتخفيف الميم وهي من اليمن، أما عُمان بفتح العين وشد الميم فهي عمان البلقاء من أكناف دمشق، وولى عثمان بن أبي العاص السهمي أخا عمرو على الطائف.

ابن أبي العاص كذاكَ وَلَّى
مَحْمُتَةَ الْأَخْمَاسِ ثُمَّ وَلَّى
عَلِيًّا الْقَضَاءَ وَالْأَخْمَاسَ
بِيَمْنٍ فَكَانَ فِيهِ رَأْسًا
كَذَاكَ أُمْرَ ابْنِ حَاتِمٍ عَدِي
فِي صَدَقَاتِ طِيءٍ وَأَسَدٍ
وغيره من أمراء الصَّدَقَةِ
تَجْمَعُ مِنْ قِبَائِلٍ مُفْتَرَقَةٍ

قوله: (كذاكَ ولي) مبني للمفعول أي: وكذا ولي النبي محمته بفتح الميم الأولى وكسر الثانية فهمزة مفتوحة وهو ابن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي، ابن عبد يغوث الزبيدي على الأخماس، وولى علي بن أبي طالب القضاء والأخماس الأربعة بالقضاء وضرب بيده في صدره وقال: «اللهم اهد قلبه وسدده»، فكان في القضاء رأسًا لقول النبي:

«أقضاكم عليّ»^(١). وكذا أمر عدي بن حاتم الطائي واستعمله على صدقات قومه طيء بتشديد الباء وهززة، وولى غيره أي: غير ابن حاتم من أمراء الصدقة لجمع الصدقات من قبائل متفرقة.

وأمر الصديق في الحج لدى سنة تسع وعلياً في النداء
أن لا يحج بعد عامي مشركاً ويقرأ السورة خاب المشرك
أما الأولى أمرهم بالبعث فذكروا في كل بعث بعث

وأمر أبا بكر الصديق على الحج بالناس سنة تسع من الهجرة ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة لدى سنة تسع بتقلص التاء يؤذن بسورة براءة.

ولما نزل العرج بمن جاء معه على نحو ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة وهي أول تمامة أدركه علي فقال له أبو بكر: فيم جئت؟ قال: مبلغاً للناس بالنداء لا أميراً عليهم بأن أنادي أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وأقرأ على الناس سورة براءة، وقوله: (خاب المشرك) أي: خسر حشو كمل به الوزن.

وقوله: (أما الأولى) بالقصر للوزن أي: وأما الذين أمرهم المصطفى في البعث والسرايا فذكروا في كل بعث وسرية ذكر من بعث فيها أميراً عليها كما مر مفصلاً.



(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/١٨٤)، وقال: «رواه البغوي في شرح السنة والمصابيح، عن أنس، ورواه البخاري وابن الإمام أحمد عن ابن عباس بلفظ قال: قال عمر بن الخطاب: «عليّ أقضانا...»، والمحاكم وصححه عن ابن مسعود بلفظ: «كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة عليّ». اهـ. وانظر ضعيف الجامع للعلامة الألباني - رحمه الله - (٧٧٥).

باب ذكر مرضه ووفاته ﷺ

مرضَ في العشر الأخير من صفر
أو عشرًا أو أقام أربع عشرة
كذا ابن عبد البرّ في ربيع
وفاته إما بشاني الشهر
وهو الذي أوردّه الجمهور
لأن وقفة الوداع الجمعة
وقيل بل في ثامن بالجزم
وكان ذلك عندما اشتدّ الضحى

أقام في شكواه ذلك اثني عشر
أو ثلاث عشرة قد ذكره
في يوم الاثنين لدى الجميع
أو مستهل أو بثنائي عشر
لكن عليه نظر كبير
فلا يصح كونها فيه معة
وهو الذي صحّحه ابن حزم
أو حين زاع الشمس خلف صرحا

كان ابتداء مرض المصطفى في العشر الأخير من صفر، وكانت بداية وجعه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة، ثم انتقل حين اشتد وجعه إلى بيت عائشة، وأقام في مرضه اثني عشر يومًا حكاه ابن الجوزي.

وفي مراسيل الحسن: «مرض عشرة أيام»، وقيل: أربعة عشر يومًا حكاه ابن الجوزي، وقيل: ثلاثة عشر وهذا القول ذكره ابن عبد البر النمري الأندلسي، وتوفي شهيدًا في ربيع الأول في يوم الإثنين ففیه ولد وفيه هاجر وفيه مات عند جميع أهل العلم.

وكانت وفاته إما في ثاني الشهر عند جمع منهم ابن مندة والطبري، وقيل: في مستهله، وقيل: في ثاني عشره وعليه الجمهور من أهل السير وغيرهم؛ لكن فيه نظر كبير كما قاله الواقدي والسهيلي وغيرهما^(١).

قال السهيلي: اتفقوا على أنه مات يوم الإثنين، قالوا: كلهم وفي ربيع الأول غير أنهم قالوا، وأكثرهم: في الثاني عشر من ربيع، ولا يصح أن يكون مات يوم الاثنين، إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، وذلك لأن وقفة حجة الوداع كانت يوم الجمعة بإجماع المسلمين، فيكون أول ذي الحجة يوم الخميس ويكون أول المحرم إما الجمعة أو السبت.

(١) انظر: عيون الأثر (٢/٤٠٨).

فإن كان الجمعة فيكون صفر السبت أو الأحد، فإن كان السبت فيكون أول ربيع الأول الأحد أو الاثنين، وكيف كان فلم يكن ثاني عشر ربيع الاثنين بوجه، وكذا قال الناظم.

ولا يصح كونها أي: الوقفة فيه مع كون موته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سواء تمت الشهور كلها أم نقصت أم تم بعض ونقص بعض، وقيل: إنما كانت وفاته ثامن ربيع جزماً وصححه ابن حزم^(١).

وكان ذلك الوقت الذي مات فيه عند اشتداد الضحى في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة ذكره ابن عبد البر، وهذا قول أكثر المؤرخين، أو حين زاعت الشمس وصححه الحاكم^(٢).

وقوله: (خلف) بضم الخاء فسكون اللام، وقوله: (صرحا) مبني للمجهول أي: صرح به العلماء.

غَسَلَهُ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَقَتَّمُ وَالْفَضْلُ ثُمَّ نَاسُ
أَسَامَةَ شَقْرَانُ يَصْبِيَان الْمَا وَأَوْسٌ حَاضِرُ الْمَكَانِ
وَقِيلَ كَانَ يَنْقُلُ الْمَاءَ لَهُ وَأَنْ عَمَّهُ لَمْ يَشَاهِدْ غَسْلَهُ

وغسله علي والعباس وابناه قثم والفضل يعيناهما ثم ناس آخرون وهم أسامة بن زيد، وشقران بضم المعجمة مولاه وكانا يصبان الماء عليه، وأوس بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ومثناة تحتية ساكنة بعد اللام على ما ذكره القطب الحلبي، ثم نقل عن شيخه الشاطبي والعسكري أنه بفتح الخاء والواو وشدة الواو، وهو ابن عبد الله الخزرجي السالمي أحد بني عوف شهد بدرًا والمشاهد كلها، حاضر المكان الذي غسل فيه من غير أن يلي شيئاً.

(١) ما ذكره ابن حزم في جوامع السير أن وفاته ﷺ كانت في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول.

(٢) قال الحافظ في فتح الباري (١٤٣/٨، ١٤٤): «وقوله: وتوفي من آخر ذلك اليوم يخدش في حزم ابن إسحاق بأنه مات حين اشتد الضحى، ويجمع بينهما بأن إطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال، واشتداد الضحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس. وقد حزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاعت الشمس وكذا لأبي الأسود عن عروة، فهذا يؤيد الجمع الذي أشرت إليه» اهـ.

وقيل: بل كان ينقل الماء له أي: لغسله كما رواه البغوي عن ابن عباس، وقيل: إن عمه العباس وقف بالباب ولم يُشاهد غسله، وقال: كان يستحي أن أراه حاسراً فلا أحضره.

وَلَمْ يُجَرِّدْ مِنْ قَمِيصِ اللُّبْسِ	غَسَلَ مِنْ بَثْرِهِ بَثْرَ غَرَسٍ
مِنْ تَحْتِهِ وَهُوَ لَهُ وَلِيٌّ	يَذُلُّكَ بِخَرْقَةٍ عَلَيَّ
وَفِي ثَلَاثَةِ ثِيَابًا جُعِلَا	بِالْمَاءِ وَالسِّدْرِ ثَلَاثًا غَسَلًا
وَلَمْ يَكُنْ قَمِيصُهُ فِي الْكَفَنِ	وَتِلْكَ بَيْضٌ مِنْ سَحُولِ الْيَمَنِ
فِي سَبْعَةٍ وَبِالشَّدُوذِ وَهَنَا	وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ أَنَّ قَدْ كَفَّنَا

وغسل من بثره بثر غرس بفتح الغين وسكون الراء فمهمة وكان يشرب منها، ولم يجرد من قميص اللبس بضم اللام، وجعل علي يدلكه بخرقه أي: جعل علي يده خرقه وأدخلها تحت قميصه، وعلي هو له ولي الغسل والدلك بوضعية منه كما رواه الواقدي عنه.

وغسله بالماء والسدر ثلاث غسل، أي: غسلات كما رواه الواقدي أيضاً عنه، وروى الشيخان^(١) عن عائشة: «كفن رسول الله ﷺ في ثلاث أثواب ممانية»، وتلك الثياب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، وتلك الأثواب من سحول بفتح السين المهمة وضمها، قال النووي^(٢): والفتح أشهر ورواية الأكثر وضم الحاء المهمة قرية من بلاد اليمن نسبة إلى سحولة قرية باليمن، ولم يكن قميصه الذي كفن فيه في الكفن بل نزع حين كفن؛ وقد روى الحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه كفن في سبعة أثواب ووهن بأنه شاذ.

صَلُّوا فَرَادَى وَمَضُوا خُرُوجًا	ثُمَّ أَتَى الرَّجَالَ فَوْجًا فَوْجًا
وَفِي حَدِيثٍ وَبِهِ جَهَالَةٌ	ثُمَّ النَّسَاءُ بَعْدَهُمُ وَالصَّيِّتَةُ
ثُمَّتْ مِيكَائِيلُ إِسْرَافِيلُ	صَلَّى عَلَيْهِ أَوَّلًا جَبْرِيلُ
جُنُودُهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُجْتَمِعَةُ	ثُمَّ يَلِيهِمْ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَهُ
وَانصَرَفُوا وَذَا ضَعِيفٌ وَرَوَّاءٌ	وَقِيلَ مَا صَلُّوا عَلَيْهِ بَلْ دَعَا
تَسْعُونَ وَاثْنَانِ مِنَ الْمَرَّاتِ	عَنْ مَالِكٍ أَنَّ عِدَدَ الصَّلَاةِ

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١).

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١٤٦/٣).

وليس ذا متصل الإسناد عن مالك في كُتُب التَّفَاد
ثم جاء الرجال فوجاً فوجاً أي: فوجاً بعد فوج فصلوا عليه فرادى أي: أفراداً،
فكان فوج يدخلون فيصلون فرادى ثم يخرجون ويدخل غيرهم يصلون كذلك، ومضوا
خروجاً أي: ويمضون بعد أن يصلوا عليه خارجين من عنده، ثم صلى عليه النساء بعدهم
فالصبية ثم دخل العبيد فصلوا عليه إرسالاً لم يؤمهم أحد كما رواه البيهقي^(١).
وروي في حديث ضعيف رواه مجهولون عن ابن مسعود أنه صلى عليه أولاً جبريل
ثم ميكائيل فإسرافيل فملك الموت ومعه جنوده من الملائكة يحذف الهاء للوزن ثم الإنس
كما رواه البزار والحاكم^(٢). وقيل: لم يصلوا عليه بل دعوا له لأنه غني عن الصلاة عليه
وهذا قول ضعيف.

وقول بعضهم: لم يكن هنا إمام غلط فإن أبا بكر يبيع قبل دفنه، وروى أهل
السيرة عن مالك بن أنس أن عدد الصلوات التي صليت عليه اثنتان وتسعون صلاة، قال
القطب الحلبي: وليس هذا متصل الإسناد عن مالك في كتب الثقات من المحدثين، لكن زعم
بعضهم أنه رواه مالك عن نافع، عن ابن عمر، وقوله: (متصل) بالنصب.

ودفنه في بقعة الوفاة	بخبر الصديق بالإثبات
ودخل القبر الأولى في الغسل	قيل سوى أسامة وخولي
زاد ابن سعد أيضاً ابن عوف	مع عقيل أمئوا من خوف
وفرشت في قبره قطيفة	وقيل أخرجت وهذا أثبت
ولحدوا لحداً له ونصبت	عليه تسع لبنات أطقت
وسطحوا مع رثهم بالماء	واشترك الأنام في العزاء

وكان دفن المصطفى في البقعة التي توفي فيها بالخبر الذي رواه الصديق بالإثبات
لأنه قال سمعته يقول^(٣): «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» فرفع فراشه وحفر له تحته،

(١) انظر: دلائل النبوة (٢٥٠/٧).

(٢) انظر: كشف الأستار (٣٩٨/١)، (٣٩٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (٥٦٧٠).

ودخل القبر الجماعة الأولى أي: الذين تقدم ذكرهم في الغسل وقيل: دخلوا كلهم إلا أسامة وأوس بن خولي، وزاد ابن سعد في طبقاته^(١) أيضاً عبد الرحمن بن عوف مع عقيل بفتح العين ابن أبي طالب، وقوله: (أمنوا) بقصر الهمزة، وقوله: (من خوف) أي: نار جهنم أو عذاب القبر حشو كمل به.

وفُرشَت في قبره قطيفة كان يلبسها ويفترشها وهي كساء له حمل بخرانية كان يغطي بها، وقيل: أدخلت ثم أخرجت قبل إهالة التراب رواه الواقدي عن علي بن الحسين، وهذا أثبت وأصح.

ولحدوا له لحداً أي: شقوا له في جانب القبر ونُصبت عليه تسع بتقدم المثناة على السين لِبَنَات بكسر الموحدة جمع لبنة وهي ما ضرب من الطين قبل الطبخ، ثم أطبقت عليه أي: جعلت على مقداره من جميع جهاته كالغطاء، وقوله: (وسطحوا) بتشديد الطاء أي: جعلوا قبراً مسطحاً لا مُسنماً ولا لاطياً بالأرض، وذكر ابن الأثير أن الذي حفر قبره ولحده أبو طلحة زيد بن سهل ورشوا عليه ماء بارداً.

روى البيهقي^(٢) عن جابر رش على قبر المصطفى الماء رشاً فكان الذي رش بلال بدأ من قِبَلِ رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجله، واشترك الأنام أي: الخلق كلهم في العزاء وطاشت العقول وأظلمت الدنيا.

وَذَاكَ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ أَوْ قَبْلَهَا بَلِيلَةَ الْيَلَاءِ
وَقِيلَ يَوْمَ الْمَوْتِ بِالْتَعْجِيلِ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ فِي الْإِكْلِيلِ

وقوله: (وذاك) أي: تجهيزه ودفنه فرغ منه في ليلة الأربعاء بفتح الهمزة وكسر الموحدة، قال ابن عبد البر: قبلها بليلة يعني ليلة الثلاثاء، قال: (قبض يوم الاثنين ضحى ودفن يوم الثلاثاء حين زاعت الشمس)، وكانت ليلة ليلاء أي مظلمة لفقد الرسول ﷺ وانقطاع الوحي.

وقيل: بل دفن يوم موته فجهزوه بالتعجيل وصحح هذا القول الحاكم في كتاب الإكليل.

وَقَسَّرَ الصَّدِيقُ لِلصَّدِيقَةِ مَنَامُهَا أَنْ سَقَطَتْ فِي الْحُجْرَةِ
حُجْرَتُهَا ثَلَاثَةَ أَقْمَارًا هَا خَيْرُ أَقْمَارِكَ حَلَّ الدَّارَا

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢٧٩).

(٢) انظر: دلائل النبوة (٧/٢٦٤).

صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا وَصَاحِبِيَّهِ نَعَمًا وَأَنْعَمًا
هُمَا الضَّجِيعَانِ مِنَ الْأَقْمَارِ قَدْ جَاوَرَا فِي اللَّحْدِ خَيْرَ جَارِ
ثُمَّ عَلَى عِثْمَانَ مَعَ عَلِيٍّ وَسَائِرِ الْأَصْحَابِ وَالْوَلِيِّ
كانت عائشة رأت أن ثلاثة أقمار سقطت في حجرها أي: بيتها فقصتها على أبيها
فقال: إن صدقت رؤياك يدفن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض، فلما دفن المصطفى
قال لها: خير أقمارك الثلاثة الذين نزلوا حجرتك قد حلّ الدار، ثم دفن أبو بكر وعمر
معه فيها ﷺ وعلى آله وصاحبيه أبي بكر وعمر.

وقول الناظم: (ثلاثة أقماراً) بتوئين ثلاثة للوزن، وقوله: (نعما) بضم النون وشد
العين المكسورة وبعد الميم ألف التثنية فهي من النعمة بالفتح وهي المسرة أي نعمهما الله
بنعمته الواسعة، وقوله: (وأنعما) بفتح الهمزة والعين المهملة، وفي الخبر أن أبا بكر وعمر
منهم، وأنعما أي: فزادا فضلاً.

يقال: أحسنت إليه وأنعمت أي: زدت في الإنعام، أو معناه صاراً إلى النعيم ودخلا
فيه، وهما الضجيعان للمصطفى من الأقمار الثلاثة كما تقرر قد جاورا في اللحد محمداً ﷺ
أفضل الأنبياء فهو خير جار في السموات وخير جار في الحياة، ثم رضوان الله مع الصلاة
والسلام على عثمان بن عفان مع -بسكون العين- علي بن أبي طالب وعلى سائر الأصحاب،
وقول الناظم: (والولي) بشدة الباء، أي: الناصر وأل فيه للاستغراق أي: وعلى كل
الأنصار والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، والحمد لله على الإتمام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
خير الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم ما أشرق صباح وعقب ظلام.
وقد وقع الفراغ من تحرير هذه السيرة النبوية يوم الأحد لوقت الضحى اثني عشر
شهر ربيع الأول لسنة سبع وخمسين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.

تمت على يد الفقير ملا علي بن عبد الله رحم الله من دعا له بخاتمة الإيمان والسلامة
في سنة ١١٥٧ هجرية.



الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة التحقيق	٣
ترجمة المؤلف	٥
ترجمة الشارح	٨
وصف النسخة الخطية	١١
مقدمة المؤلف	١٥
أَسْمَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ	١٨
باب ذكر نسبه الزكي الطيب الطاهر	٢٣
ذكر مولده الشريف وإرضاعه -عليه السلام- وما وقع فيهما من	
العجائب والآيات الْخَوَارِقُ الغرائب	٢٨
باب ذكر كفالة أبي طالب له ومتعلقات ذلك والكفالةُ القيام	
بأمر الطفل وتربيته	٣٣
بابُ قصة بناء الكعبة الشريفة	٣٦
باب كيف كان بدء الوحي	٣٧
باب ذكر قدر إقامته -عليه السلام- بِمكة بعد البعثة	٤٣
باب ذكر السابقين للإسلام	٤٤
باب ذكر إسلام عبد الله بن مسعود المذكور	٥٤
باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم	٥٥
باب ذكر تأييده -عليه السلام- بِمعجزة القرآن الْمَحِيد	٥٦
باب كفاية الله تعالى نبيه المستهزئين به من كفار قريش ومن تبعهم	٥٩

- باب مشي كفار قريش أي رؤسائهم ووجوههم في أمره أي: النبي
 ٦٠ إلى عمه أبي طالب بن عبد المطلب
- ٦٢ باب ذكر وفد نجران
- ٦٣ باب ذكر قدوم ضماد بن ثعلبة عليه
- ٦٤ باب ذكر أذى قريش لنبي الله ﷺ وللمستضعفين الذين اتبعوه
- ٦٥ باب ذكر انشقاق القمر
- ٦٧ باب ذكر الهجرتين إلى النجاشي ملك الحبشة
- باب وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد زوجة المصطفى وذلك
 ٧٣ في عام واحد
- ٧٦ باب ذكر وفد الجن من جن نصيبين
- ٧٧ باب ذكر قصة الإسراء
- باب ذكر عرض النبي نفسه على القبائل من العرب وبيعة الأنصار
 ٨٣ لَمَّا هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ
- ٨٧ باب ذكر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة
- ٩٠ باب ذكر مروره ﷺ بأم معبد
- ٩٢ باب ذكر وصوله -أي: رسول الله- إلى قُباء
- ١٠٤ باب ذكر صفته ﷺ أي أوصافه الطاهرة
- ١٠٨ باب ذكر وصف أم معبد الخزاعية له وقد تقدم ذكر اسمها
- ١١١ باب ذكر وصف هند بن أبي هالة له
- باب ذكر أخلاقه الشريفة -جَمَعَ خُلُقَ- بضمين، صورته الباطنة،
 وهي نفسه وأوصافها ومعانيها
 ١١٤
- ١٢٣ باب ذكر خُلُقَه بضمين في الطعام والشراب ومتعلقاتهما

- ١٢٦ باب ذكر خُلُقِه في اللباس
- ١٣٠ باب ذكر صفة خاتمِه
- ١٣١ باب ذكر فراشه
- ١٣٢ باب ذكر طيه الذي كان يتطيبُ به وكحلِه
- ١٣٣ باب ذكر شيء من معجزاته
- ١٤٤ باب ذكر خصائصه
- ١٦١ باب ذكر حجِه وعُمُرِه
- ١٦٣ باب ذكر مغازيه
- ٢٢٢ باب ذكر بعوثِه وسراياه إلى الملوك والبلاد
- ٢٥٠ باب ذكر كُتَّابِه -عليه السلام-
- ٢٥٣ باب ذكر رُسُلِه -عليه الصلاة والسلام- إلى الملوك
- ٢٥٧ باب ذكر أولاده من الذكور والإناث
- ٢٥٩ باب ذكر أعمامه وعماته -عليه السلام-
- ٢٦٠ باب ذكر أزواجه -عليه السلام-
- ٢٦٢ باب ذكر خُدَّامِه من الرجال والنساء
- ٢٦٣ باب ذكر مواليه ﷺ
- ٢٦٦ باب ذكر أفراسِه -عليه الصلاة والسلام-
- ٢٦٧ باب ذكر بغاله وحَمِيرِه ﷺ
- ٢٦٨ باب ذكر لِقَاحِه وجماله ﷺ
- ٢٦٩ باب ذكر منائحِه وديكِه ﷺ
- ٢٧٠ باب ذكر سلاحِه ﷺ
- ٢٧٥ باب ذكر أقداحِه وآنيته وركوته وربعته وسريه -عليه السلام-

٢٧٧	باب ذكر الوفود إليه ﷺ
٢٨١	باب ذكر أمرائه ﷺ
٢٨٤	باب ذكر مرضه ووفاته ﷺ
٢٩١	الفهرس

